



الاقتباس من القرآن الكريم

لأبى منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى
٣٥٠ - ٤٢٩ هـ

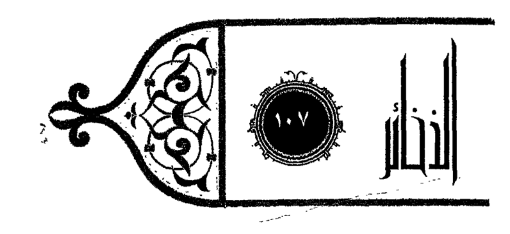
الجزء الأول

تحقيق
الدكتورة
إبتسام مرهون الصفار

قدم هذه الطبعة
د. عبد الحكيم راضى



الهيئة العامة لقصور الثقافة



الاقتباس من القرآن الكريم

لأبى منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى
٣٥٠ - ٤٢٩ هـ

الجزء الأول

تحقيق

الدكتورة

ابتسام مرهون الصفار

قدم هذه الطبعة

د. عبد الحكيم راضى



الهيئة العامة لقصور الثقافة

الذخائر (١٠٧)
نصف شهرية

إصدار
أول نوفمبر ٢٠٠٣

الاقتباس من القرآن الكريم

لأبى منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى

الجزء الأول

تحقيق
د. ابتسام مرهون الصفار

تصميم الغلاف
محـــمد بغدادى

رقم الإيداع : ١٩٠٢٤ / ٢٠٠٣
الترقيم الدولى :
I.S.B.N. 977 - 305 - 612 - 0

الشركة الدولية للطباعة ٦ أكتوبر
ت : ٨٣٣٨٢٤٠

المراسلات باسم سكرتير التحرير على العنوان التالى
١٦ أ ش أمين سامى قصر العينى - القاهرة
رقم بريدى ١٢٥٦١



الهيئة العامة
لقصور الثقافة

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف و تقديم

- ١ -

عزيزى القارئ . . هذا كتاب لافت بمؤلِّفه ، وبموضوعه ، وبعنوانه الذى يحمله .

أما أنه لافت بمؤلِّفه - وهو أبو منصور الثعالبى [٣٥٠ / ٤٢٩ هـ] فيكفى لذلك أن الناظر فى مؤلفات الرجل يَحار إلى حدّ أنْ يختلط عليه الأمر إذا ما أراد أن يحمله على مجال محدد من مجالات العلوم عند العرب .

فهو أمام **مؤرّخ للأدب** إذا شاء ، وشاهده كتابه (يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر) وكتابه (ماجرى بين المتنبى وسيف الدولة) . وهو أمام **لغوىٍّ متمكن** إذا شاء ، وشاهده كتابه (فقه اللغة وسرّ العربيّة) وكتابه (خصائص اللغة) .

وهو أمام **مؤرّخ بالمعنى العــام** ، وشاهده الكتاب المنسوب إليه (غرر أخبار ملوك الفرس) .

وهو أمام **أديب صاحب اختيارات** وكتب فى **(علم الأدب)** بالمفهوم العامّ للأدب ، وشواهده كثيرة ، منها : (أحسن ماسمعت) و (التمثيل والمحاضرة) و (الظرائف واللطائف) و (مرآة المروءات) و (نتائج المذاكرة) و (لباب الآداب) .

وهو أمام **دارس للظاهرة الأدبية** متابع لطرائق الإبداع فى النتاج الأدبى ، وشاهده كتبه : (تحسين القبيح وتقبيح الحسن) و (نثر النظم وحل العقد)

و (سجع المنثور) و (صنعة الشعر والنثر) و (التوفيق للتلفيق) .

وهو أمام **عالم بلاغى** متعمّق وشواهده كتبه : (أجناس التجنيس) و (الأنيس فى غرر التجنيس) و (الكناية والتعريض) و (جوامع الكلم) و (غرر البلاغة) .

وللحقيقة فإن هذه مجرّد نماذج من كتبه التى يصعب حصرها مابين مطبوع ومخطوط ومفقود .

أما كتابه **(الاقتباس من القرآن الكريم)** فينتمى إلى أحد مجالات اهتمام الثعالبى وهو الدرس القرآنى ، الذى أفرز له أكثر من كتاب منها : (الإعجاز والإيجاز) ومنها (الأشباه والنظائر) - وهو فى ألفاظ القرآن - ومنها - كما سبق - كتاب (الاقتباس) .

على أننا نسارع إلى القول بأن من الإخلال بموضوع الكتاب أن نصفه بأنه من كتب الدراسات القرآنية ، أو على الأقل أن نقصره على هذا المجال الذى لا يربطه به سوى عملية الإفادة من نصوص القرآن وأساليبه ، بينما يتقاطع الكتاب بعد ذلك مع أكثر من مجال من مجالات التأليف فى الثقافة العربية ، وهو ما سنتعرّض له فيما بعد .

اختار الثعالبى لكتابه عنوان **(الاقتبـــاس من القـــرآن الكريم)** ، وهو - كما نرى - عنوان يتضمّن أمرين :

أحدهما : تلك العمليّة التى يقوم بها الأديب ، والتى أطلقت عليها أسماء عديدة باعتبارات مختلفة وهى - بصرف النظر مؤقتًا عن المصطلح المستخدم - ضرب من انتفاع الأديب فى إنشاءِ كلامه بكلام غيره ، على تباين فى طرائق هذا الانتفاع، وفى طبيعة الكلام المنتفَع به، والكلام الذى أفاد منه .

أما الأمر الآخر : – ويمثله المركّب الوصفى (القرآن الكريم) – فهو المصدر ، أو المادة التى يجرى الانتفاع بها فى عملية (الاقتباس) التى تدور عليها النماذج التى يشتمل عليها الكتاب .

مصطلح **(الاقتباس)** – شأنه شأن مجموعة المصطلحات الأخرى الدالّة على عملية ، أو عمليات ، الانتفاع المشار إليها [1] – يشير إلى عملية تتم بين طرفين ، أو – إذا شئنا التدقيق – بين قطبين ، **أولهما** : **هو النصّ الأصل** ، أو – إذا استعرنا مصطلح علماء الترجمة بتصرُّف – النصّ المصدر ، وهو النصّ الذى يُنتزع منه الجزء المقتبس ، والذى يطلق عليه بعض أصحاب نظرية التّناصّ hypotext أى النص المؤثر .

أما القطـب الثانى : **فهو النصّ الفرع** ، أو – باصطلاح علماء الترجمة بتصرُّف – النصّ الهدف ، وهو ما يسميه أصحاب التّناص hypertext أى النصّ المتأثّر ، [المصطلحات الأدبية الحديثة . محمد عنانى ص٤٧] وهو النصّ الذى جرت فيه عملية الانتفاع بالجزء المقتبَس من النصّ المصدر .

هناك – إذًا – النصّ المصدر ، والنصّ الهدف ، وهناك الجزء المقتبَس . وباختلاف اعتبارات النظر إلى هذه الأركان الثلاثة ، تعددت المصطلحات التى أُطلقت على عملية إفادة اللاحق من كلام السابق ، فالنصّ المصدر قد يكون شعرًا ، كما قد يكون نثرًا ، والنصّ الهدف كذلك ، والجزء المقتبَس يختلف حجمه كما يختلف مصدره ، وتختلف طرائق التعامل معه ، بدءًا من الإبقاء عليه بلفظه ومعناه فى النصّ الهدف

---

(١) مثل مصطلحات : التضمين والإيداع والاستعانة والعنوان والتلميح ، وغيرها . انظر كتبا مثل : (تحرير التحبير) لابن أبى الإصبع و(الإيضاح) للخطيب القزوينى ومجموعة (شروح التلخيص) لعدد من المؤلفين و(المطوّل) للتّفتازانى و (خزانة الأدب) لابن حجة الحموى و(أنوار الربيع) لابن معصوم المدنى .

- النص الجديد - إلى التصرّف فى لفظه والتغيير فى معناه .. لتختلف دلالته - وربما وظيفته - فى النصّ الجديد عنها فى مصدره القديم ..

عنوان الكتاب يشير إلى العملية التى تجرى - عملية الاقتباس - وإلى النصّ الذى تُنتزع منه الأجزاء التى يجرى الانتفاع بها - وهو القرآن الكريم - ولكنه لا يدلّ - صراحة - على النوع الجديد أو الأنواع التى يُنتفَع فيها بالأجزاء المنتزعة من النصّ الأصل ، حيث يبدو أن الثعالبى قد ترك تحديد ذلك لواقع المادة التى يعرضها الكتاب .

- ٢ -

يقوم كتاب الثعالبى - أساسًا - على إيراد النصوص المشتملة على مقتبسات من القرآن الكريم ، وهى نصوص نثريّة غالبا ، شعريّة فى أحيان غير قليلة ، وفى بعض الأحيان يعمد المؤلِّف إلى إيراد النصوص القرآنية الملائمة للاقتباس فى غرض معين .. إيرادها متتابعةً وعلى نحو مباشر ، مفردةً غير مدرجة فى نصوص أدبيّة من أى نوع ، وكأنها المفردات القائمة بذواتها فى المعاجم التى تحصى مفردات اللغة ، أو التراكيب المستقلة التى ترد متتابعة على المعنى الواحد فى المعاجم السياقية ، وهو منحى من شأنه - إلى جانب الطرائق الأخرى من الاقتباس - أن يثير السؤال عنَ الغاية التى قصد إليها الثعالبى من وراء صنيعه فى هذا الكتاب .

هذا من ناحية ، **ومن ناحية أخرى** يلفتنا توزيع مادة الكتاب على عدد من الأبواب ، يصل إلى خمسة وعشرين بابا ، يرجّح المتأمّل فيها أن الثعالبيَّ قد انتخبها ورتّبها على حسب تصوّره للمجالات التى تحتمِل الكتابةُ فيها - واقعا أو تصورًا - الانتفاعَ بنصوص القرآن الكريم - وأحيانا نصوص الحديث - من خلال عملية الاقتباس فى صورها المختلفة .

ولأن القرآن الكريم قد تعرّض في نصوصه لكل ما يمسّ الإنسان المسلم في حياته وبعد موته ، وفي علاقاته بربّه ونبيّه ، وولاة أمره وذويه ومواطنيه وسائر البشر مسلمين وغير مسلمين .. ولأن كلّ هذه الموضوعات قابلة لأن تكون موضوعاتٍ للكتابة ، بل إنها كانت كذلك فعلا ، مع ماهو معروف من مسلك الخطباء والكتّاب والشعراء في استغلال نصوص القرآن واقتباسها في آثار أقلامهم وإبداعات قرائحهم ، انطلاقا من إقرارهم بإعجازه وروْعة بلاغته .. لكل ذلك كانت الفرصة مهيّأة أمام الثعالبي لاستخراج تلك المواضع التي اقتُبِست من القرآن - أو التي يمكن اقتباسُها - في مختلف الموضوعات : جليلها وبسيطها ، المقدّس منها والدنيوي ، العام والخاصّ ، الغيريّ والذاتي .. إلخ .

وبهذه الصفة يقف الكتاب في تصوري - أو يتقاطع - مع المؤلَّفات في عدد من المجالات المتصلة بظروف إنتاج الأدب بكل أنواعه ، ومن أبرز هذه المجالات اثنان على وجه الخصوص ..

أحدهما : تلك الكتب التي عُنيت بتقديم الزاد الثقافي للأديب .

والآخر : الكتب الدائرة حول تنظيم عملية إفادة اللاّحق من السابق ، وهو المبحث الذي حمل عناوين مثـــل : (السرقات) أو (المآخذ) أو (الاتّباع) .. وغيرها .

النوع الأول من المؤلفات يمكن التمييز فيه بين مايُعنى بالثقافة اللغويّة العامة ، على نحو مانجد في:(أدب الكاتب) لابن قتيبة ، وكتاب (الفرق) لابن فارس ، و (الفروق في اللغة) و(التلخيص في معرفة أسماء الأشياء) لأبي هلال العسكري ، و (فقه اللغة وسرّ العربيّة) للثعالبي .

وهناك كتب عنيت بالثقافة اللغوّية الفنيّة ، وهي الكتب التي تقدّم المفردات التي يمكن إحلالُ بعضها محل الآخر في الاستعمال ، وكذلك

التراكيب التى تصلح لنفس الغرض ، تسهيلا على الأديب وتمكينًا له عند تعرضه للكتابة فى الأغراض المختلفة ، ومن هذا القبيل : (الألفاظ الكتابيّة) لعبد الرحمن بن عيسى الهمذانى ، و (كتاب الألفاظ) لابن مرزبان الباحث ، و (جواهر الألفاظ) لقدامة بن جعفر .

وهناك كتب الثقافة الفنيّة الخالصة ومن بينها كتب الاختيارات الفنيّة من المنظوم والمنثور ، سعيًا إلى صقل ملكة الأديب وتهذيب موهبته ، مثل : (اختيار المنظوم والمنثور) لأحمد بن أبى طاهر طَيْفور ، ومثل : (كتاب تهذيب الطبع) لابن طباطبا العلوى ، و(ديوان المعانى) لأبى هلال العسكرى .

ومن كتب الثقافة الفنيّة أيضا تلك الكتب التى تعنى برصد الظواهر الفنيّة بصفة خاصّة كالكتب التى تجمع التشبيهات أو الكنايات ، وغيرها ، مثل كتاب (التشبيهات) لابن أبى عون و (التشبيهات من أشعار أهل الأندلس) لابن الكتّانى الطبيب و (غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات) لعلى بن ظافر الأزدى ؛ وكتاب (الكناية والتّعريض) للثعالبى ، و (المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء) لأحمد بن محمد الجرجانى .

هذا إلى ما تضمنته كتب الاختيارات الأدبيّة كالبيان والتبيين للجاحظ ، و(الكامل) للمبرّد و(عيون الأخبار) لابن قتيبة و(العقد الفريد) لابن عبد ربه وغيرها من ثقافة جامعة تهدف إلى الارتقاء بلغة الأديب وتنمية الإطار الفنى الذى ترقى به موهبته وترسخ به ملكته .

النوع الثانى من المؤلفات التى يتقاطع معها موضوع كتاب الثعالبى هو تلك المؤلفات التى تنظر فى تنظيم العلاقة بين السابق واللاحق ، وقد بُحِثَ موضوع هذه العلاقة وتنظيمُ عملية إفادة اللاحق من سابقيه فى كتب

مستقلة مثل: (سرقات الشعراء وما اتفقوا عليه) لابن السِّكيت ، و (إغارة كثيرّ على الشعراء) للزبير بن بكار و (سرقات أبى نواس) لمهلهل بن يموت و (الموضحة فى ذكر سرقات المتنبى وساقط شعره) للحاتمى ، و (الإبانة عن سرقات المتنبى) للعَميدى ، بل إن بعضهم تناول سرقات الشعراء من القرآن الكريم ، كالذى نجده فى كتاب (سرقات الكميْت من القرآن وغيره) لابن كناسه ، كما بحث الموضوع فى ثنايا كتب النقد أولا مثل : (طبقات فحول الشعراء) لابن سلاّم ، و (الشعر والشعراء) لابن قتيبة ، و (عيار الشعر) لابن طباطبا ، و (الموازنة) للآمدى ، و (الوساطة) للقاضى الجرجانى . ثم دلف إلى الكتب التى جمعت بين الطابع البلاغى والنقدى مثل: (حلية المحاضرة) للحاتمى و (الصناعتين) للعسكرى ، و (العمدة) لابن رشيق القيروانى ، ثم استقرت فى كتب البلاغة الخالصة مثل : (دلائل الإعجاز) ، و (أسرار البلاغة) لعبد القاهر، و (تحرير التحبير) لابن أبى الإصبع ، و (المثل السائر) لابن الأثير ، و (الجامع الكبير) له أيضا ، وأخيرًا آلت إلى مجموعة المؤلفات المتأخرة التى عُرفت بالبديعيّات ومادوّن عليها من شروح مثل: (خزانة الأدب) لابن حجّة الحموى .

فى هذا النوع الأخير من المؤلفات يلفتنا أمران :

الأول : المنطلق النظرى الذى صدر عنه النقاد والبلاغيون العرب فى تناولهم للعلاقة بين السابق واللاحق ، خلاصة ذلك المنطلق أنه يحق للاّحق الإفادة من السابق ، من معناه مطلقًا ، ومن لفظه بشرط أن يغيّر فيه : بالنقص منه ، أو الزيادة فيه ، أو بنقله من معنى إلى معنى ، أو تحويله من قالب فنى إلى قالب آخر .

الأمر الآخر : هو تلك المجموعة من المصطلحات التى خلّفها البحث في الموضوع ، والتى تزايدت بمرور الوقت بفعل تعدّد النظر إلى الظاهرة وكثرة الجهات - أو الاعتبارات - التى كان على واضعى المصطلحات أخذُها فى الحسبان . من هذه المصطلحات : الإيداع ، الاستعانة ، العنوان ، التلميح ، التضمين ، الاقتباس وغيرها [١] .

وهنا نضع يدنا واثقين على محور التقاطع بين كتاب الثعالبى (الاقتباس من القرآن الكريم) ومجموعتى المؤلفات اللتين أشرنا إليهما قائلين : إن إحداهما تتناول ثقافة الأديب وإطاره الفنىّ ، والأخرى تتناول كيفيّة تعامل اللاّحق مع السابق .

نعم ، لأن نصوص القرآن فى كتاب الثعالبى تقف باعتبارها مادةً ثقافية وأمثلة يُنتفع بها وتحتذى فى لفظها ومعناها وما تشتمل عليه من صور البيان وألوان الفن عمومًا ، ويفيد منها الأديب كما يفيد من التراكيب المنتقاة ومن التشبيهات والكنايات المنتخَبة ، والمقطوعات الممتازة التى تقدمها له كتب الاختيارات على اختلاف مادة الاختيار فيها ، وتتمّ هذه الإفادة وفقا للمبادئ التى ارتضاها المتحدثون فى السرقات ، أو الأخذ ، أو تأثّر اللاحق بالسابق ، بل ووَفق مفهوم محدد خاصّ بالإفادة من القرآن الكريم أطلقوا عليه - غالبا - مصطلح الثعالبى فى كتابه ، وهو (الاقتباس) ، وخّصوه - كما سنرى فيما بعد - بتضمين المتكلم - أو الشاعر - كلامَه شيئا من القرآن أو الحديث .

---

(١) انظر فى هذه المصطلحات : (تحرير التحبير) لابن أبى الإصبع ، (الإيضاح) للخطيب القزوينى ، و (خزانة الأدب) لابن حجة . ويجب أن يكون معلوما أن مصطلحات الأخذ أو السرقة ليست قاصرة على هذه المجموعة ، بل إنها كثيرة ومتنوعة - انظر كتاب (العمدة) لابن رشيق على سبيل المثال .

هكذا نجدنا أمام كتاب تتنازعه انتماءات عديدة : **فهو من حيث البنية ينتمى إلى الكتب القائمة على نظام المجالات** ، وهو ما يشركه فيه كثير من الكتب السابقة ، كتُب الألفاظ وكتب الاختيارات وكتب التشبيهات والكنايات ، بل إنّ عددًا من كتب الثعالبى الأخرى مثل : (لُباب الآداب)، و (الكناية والتعريض) ، و (نظم النثر وحل العقد) ، و (مرآة المروءات) . . تقوم بنيتُها على فكرة المجالات حسب موضوع كلٍّ كتاب. وسبق أن أشرنا إلى كتابه (فقه اللغة وسرّ العربيّة) الذى تقوم بنيته هو أيضا على فكرة المجالات .

أمّا من حيث الهدف فنراه يتغيّى هدفًا ذاشقّين : التثقيف، والتدريب.

التثقيف بما يقدّمه من هذه المادة القرآنية الغزيرة ، سواء تلك التى استُعملت فى نصوص أدبيّة فعلاً ، أو تلك التى يقدّمها الثعالبى على سبيل الترشيح لتكون تحت أعين الأدباء جاهزةً للاستعمال عند اللزوم .

والتدريب حين يُطْلِعُنا من وقت لآخر على كيفيات سبْك هذه المقتَبسات فى نسيج النصوص الجديدة التى تتطلّبها فى المناسبات أو الموضوعات المختلفة .

وخلاصة ماتقدّم **أننا بصدد كتاب تعليمىّ فى المقام الأول** ، موضوع التعليم فيه هو الإنشاء نثرًا ونظما ، مع الاقتباس من كتاب الله تعالى ، وحديث رسوله فى بعض الأحيان ، وبهذا الهدف المزدوج يمكن تعليل بنيته - المجالات، أو الأبواب والفصول التى يشتمل عليها - ومكونات هذه البنية - محتوى هذه المجالات وموضوعاتها والنماذج التى تشتمل عليها .

- ٣ -

ولا تحتاج بنية الكتاب على أساس المجالات إلى تعليل ، إذْ إن تقسيم مادة الكتاب على هذا النحو من شأنه أن يسهّل عرض مادته ، ثم

إنه نابع من نوعيّة الموضوعات التى كانت مثار اهتمام الأدباء ناثرين وناظمين ، وهى موضوعات تضم - على نحو طبيعى - كلّ ماكان يشغل الإنسان فى عصر الثعالبى وقبله ، كما تضمّ بعضَ ما تصوّر المؤلف أن فى الإمكان أن يُقتبس كلامُ الله عند الكتابة فيه ، كالكلام فى (ظرائف التلاوات) أو فى (الرُّقى والأحراز) كما تضم مايمكن أن يكون منهجا فى التفسير ، كالكلام فى (الرؤيا وعجائبها) . أما بقيّة المجالات الكبرى التى تضمّها الأبواب ، والمجالات الصغرى التى تضمها الفصول ، فقد جاءت كلُّها فى إطار ماجرى فيه الاقتباس من القرآن أو مايمكن ، على نحو طبيعى ، أن يجرى فيه هذا الاقتباس .

من هنا كنا لانرى داعيا للقول بأنّ الثعالبى تتبّع فى **الأبواب الأربعة الأولى** - (وهى : فى التحاميد المقتبسة من القرآن ، وذكر النبى وبعض محاسنه ، وذكر العترة الذكيّة ، وذكر الصحابة . .) - والتى يمكن أن يضم **إليها الباب الخامس** - (وهو فى ذكر الأنبياء عليهم السلام) - أقول : لا نرى داعيا للقول بأن الثعالبى « تتبّع فى هذه الأبواب منهجا لعلنا نستطيع وصفه بأنه منهج دينى » ذلك هو قول محققة الكتاب الدكتورة ابتسام الصفّار ، بحجة أن الثعالبى «اختار موضوعاته حسب أهميتها من الناحية الدينيّة» [١/٢٩ من مقدمة التحقيق] وفى رأينا أن الأهميّة المشار إليها ، أو - للحقيقة - الأوّلية فى الترتيب، لاترجع إلى رؤية دينية بمقدار ماترجع إلى **(الأهميّة الفنيّة) أو (الأهمية العملية)** فى مجال الإنشاء ، والبدء بالتحاميد المقتبسة من القرآن والتثنية بذكر النبى عليه السلام ثم العِتْرة الذكية ثم الصحابة . . لايعدو أن يكون انعكاسًا لترتيب هذه (العناصر) عند ذكرها فى مفتتحات الخطب والرسائل التى جرى العرف الأدبى على أن تبدأ بحمد الله ثم الصلاة على رسوله والسلام على

آله ثم صحبه [1] ، فضلا عن أنّ هذه (العناصر) تتكرر فى نهايات الخطب والرسائل أيضا .

وبالتالى فلا محل للزجّ بالبعد الدينىّ فى ورود هذه الأبواب أو ترتيبها ، والأوْلى تفسير ذلك - كما سبق القول - بالعرف الفنّى المعمول به ، وكوْنِ هذه (العناصر) هى أول مايرد فى مفتتحات الخطب والرسائل والمكاتبات بصفة عامة .

ولاشك أن للتداعى دخلا فى مجىء الباب الخامس - وهو فى ذكر الأنبياء - بعد هذه الأبواب الأربعة ، ذلك أن قصص الأنبياء عليهم السلام بوقائعها وتفاصيلها كانت - وماتزال - مادة للاقتباس ، وعنوان الباب الخاصّ بهم صريح فى التوجّه بهذه القصص نحو هذا الهدف ، فهو (فى ذكر الأنبياء عليهم السلام وغيرهم ممن نطق القرآن بأخبارهم وما اقتبس الناس فى فنون أغراضهم من قصصهم وتمثّلوا من أحوالهم) [١/١٤٣] وهو ما تؤيّده - أيضا - عناوين الفصول الفرعية التى يشتمل عليها هذا الباب .

وعلى سبيل المثال : (فصل فى الاقتباس من قصة آدم) [١/١٤٣] ، (فصل فى الاقتباس من قصة إبراهيم عليه السلام) [١/١٥٢] ، (فصل فى الاقتباس من قصة يعقوب ويونس عليهما السلام) [١/١٥٨] . . وهكذا . فلا الأنبياء ، ولا تاريخهم ، هدف فى ذاته ، وإنما باعتبار هذه القصص وهذا التاريخ مادة جاهزة للاقتباس فى إنشاء الأدباء حين تلوح مناسبتها فى هذا الموضوع أو ذاك .

---

(١) يقول الجاحظ : « على أن خطباء السلف الطيّب ، وأهلَ البيان من التابعين بإحسان ، مازالوا يسمون الخطبة التى لم تبدأ بالتحميد وتُستفتح بالتمجيد : البتراء . ويسمون التى لم توشّح بالقرآن وتزيّن بالصلاة على النبى ﷺ الشوْهاء » . [البيان والتبيين ٢/٦] .

فالذنب الذى أتاه آدم أخرجهُ من الجنة ، وقد استغلّ الشعراء هذه الواقعة ، فقال محمود الورّاق :

يا ساهرًا يرنو بعينى راقد ومشاهدًا للأمر غيرَ مشاهد
تصلِ الذنوبَ إلى الذنوب وترتجى دركَ الجنان بها وخوفَ العابد
أنسيتَ أن الله أخرج آدمًا منها إلى الدنيا بذنب واحد

وقال الله تعالى عن آدم :

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾

[طه : ١١٥]

فقال أبو الفتح على بن محمد البستى :

يا أكثر الناس إحسانا إلى الناس وأعظم الناس إغضاء عن الناس
نسيت وعدك والنسيان مُغْتَفَر فاغفر فأول ناسٍ أولُ الناس

و(أول الناس) هو آدم دون شك . [١/١٤٣]

وكذلك الحال مع قصة نوح وإغراق الله الكافرين ، وإعلامِه نوحًا أن ابنه الكافر المنشقّ ليس من أهله . فالشاعر أبو الحسين المرادى يمدح الأمير نوح بن نصر السّامانى ويُشيد بانتصاره :

إنْ كنت نوحًا فقد لاقيتَ كفّارًا فلا تذر منهم فى الأرض ديّارًا
فإنْ تذرهم يُضلوا ثم لايلدوا إلاّ - بربكَ - كفّارًا وفجارًا
غَرّقْهمُ تحتَ طُوفان السّيوف وذَرْ مَنْ فى السّفينة محمودِين عُمّارا

[١/١٥١] .

ومن قبل اقتبس أحمد بن يوسف الكاتب قوله تعالى لنوح : ﴿ يانُوح إنه ليس من أهلك إنه عملٌ غير صالح ﴾ [هود : ٤٦] فى رسالة إلى المأمون فى شأن قتل أخيه الأمين . [١/١٤٩]

كما استغلّ بعضهم من قصة إبراهيم عليه السلام ماجاء فيها من قوله تعالى: ﴿ وإبراهيم الذى وفّى . ألاّ تزِرُ وازرةٌ وِزْرَ أخرى ﴾ - قالها

رجل لزياد وهو على المنبر حين هددهم بأنه سيأخذ الجار بالجار والمقبل بالمُدْبِر . [١/ ١٥٤] (١) .

وتمضى بقية الأبواب - أو لنقل المجالات - على نفس المنوال ، لكلٍّ منها مايُبَرر إيراده كمجالٍ حياتىّ وموضوع من الموضوعات التى خاض فيها الناثرون أو أبدع فيها الناظمون ، ولكلٍّ منها نصيبه من المقتبسات التى تلائمه من نصوص القرآن ، فهذا بابٌ فى (فضل العلم والعلماء . .) وهذا فى (ذكر الأدب والعقل) وآخر فى (ذكر محاسن الخصال) وغيره فى (ذكر النساء والأولاد والإخوان) . . إلخ .

وإذا كانت عملية الاقتباس تجرى بين نصّ سابق هو الأصل - أو المصدر - ونصّ لاحق هو الفرع - أو الهدف - وكان كلاهما الأصل والفرع - عبارة عن إطار يحوى الجزء المقتبَس فى حالتى وجوده - مع الأصل أو الفرع - اللذين يمكن أن يكون كلّ منهما نثرًا أو نظما -

(١) مما يوضّح رأينا فى دور قصص الأنبياء واقتباس الشعراء والأدباء منهم . . هذان النصّان :
أ- « لبعض العرب :

لها حكْمُ لقمانٍ وصورةُ يوسفٍ ومنطقُ داودٍ وعفّة مريم
ولى سُقْم أيوبٍ وغُربة يونسٍ وأحزان يعقوبٍ ووحشة آدم

جاء هذان البيتان فى آخر (فصل فى قصص لهم عليهم السلام) . [١/ ١٨٠]
ب- قال ابن السمّاك :
« طلبتُ المال ففكّرتُ فى قارون، ثم طلبتُ الرئاسة ففكّرتُ فى فرعون ، ثم طلبت الجَلادة ففكّرتُ فى عاد ، ثم طلبتُ الزهد ففكرت فى بلعم بن باعور [رجل آتاه الله علما ثم جحد بنعمة ربه - يذكر فى قصة موسى] ثم ما رأيتُ شيئا يقرب إلى الله تعالى كقلب ورع ولسان صادق وبدن صابر » .
[١/ ١٨١]

فإن الثعالبى قد جعل من هذا الإطار نفسه مجالاً للحديث وموضوعًا للاقتباس من القرآنِ الكريم .

من هنا تضمنت أبوابُ كتابه - أو مجالاته - مايخدم هذا الجانب ، فجاء الباب الثالث عشر **(فى ذكر البيان والخطابة وثمرات الفصاحة)** . [٢/ ٢٣]

وجـــــاء الباب الثامن عشر **(فى ذكر الخط والكِتاب والحساب)** [٢/ ٧٢]. أما الباب العشرون فقد جاء **(فى ذكر الشعر والشعراء وأنواع اقتباساتهم من ألفاظ القرآن)** ويلاحظ المتأمِّلُ أن الاقتباسات فى هذا الباب شركة بين ماجاء فى القرآن عن الشعر والشعراء ، ثم ماوقع من اقتباسات الشعراء من القرآن الكريم فى أشعارهم .

[انظر ٢/ ١٦١ ، ١٦٣ ومابعدها] .

ويبدو من متابعة الأبواب والفصول المدرجة فيها **قدرٌ من حرص الثعالبى على نوع من التوافق - قدر الإمكان - بين أبواب الكتاب وفصوله بعضها وبعض** . وعلى سبيل المثال يتحدث فى أحد فصول الباب الأوّل عن بغلةٍ ولدت فَلُوّةً [أنثى الفرس أو البغل الصغيرة] تامّة الخَلْق كبقية الدوابّ ، وهى حادثة غريبة لما هو معروف من أن البغال لا تتناسل ، وقد تناول الكتّابُ هذه الواقعة الغريبة ، ودارت المقتبساتُ بين **(يقرّ فى الأرحام مايشاء)** - من قوله تعالى : ﴿ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ ﴾ - [الحج : ٥] وقوله : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون ١٤] [٥١/١، ٥٢] . وهنا يطالعنا الثعالبى بعنوان الفصل التالى . . إنه **(فصل فى عجائب الخلق)** [٥٣/١] ليعقبه بفصل فى **(لمع من صفاته عزّ ذكره)** . [٥٧/١] .

وفى نهاية الباب الســادس - وهو (فى فضل العلم والعلماء ومحاسن ابتداعاتهم ولطائف من استنباطاتهم) - نراه يورد فصلا **(فى فضل**

العقل) [١/١٩٦] ليجيءَ البابُ السابعُ **(فى ذكر الأدب والعقل والحكمة والموعظة الحسنة)** [١/١٩٧] .

والباب الخامس عشر **(فى ملح النوادر)** ينتهى بفصل **(فى نوادر عقلاء المجانين)** ، ومصدر الطّرافة فى الاقتباس مجيءُ الجزء المقتبَس فى غير موضعه من القـول الجديد ، وكذلك مجيئه غير مناسب لمقتضى الحال - حال المتكلم على وجه التحديد - فأحد المجانين قد أقبل وهو يقول : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ - [الأعراف : ١٥٨] - فيلطِمُه أحدُهم قائلا: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ [طه : ١١٤] .

هذا الفصل - بما هو ملاحَظ فيه من إساءة استخدام الاقتباس - يعقبه البابُ السادس عشر وهو **(فى الاقتباس المكروه)** وأمثلته القليلة فى الحقيقة قد يُختَلَف حولها ، وإنْ كان منها مامن شأنه أن يخدش الشعور الدينى ، كقول الشاعر :

يابنى طاهر أتتكم جنود الله والموتُ بينها مثبورُ
فى جيوش إمامُهن أبو أحـ ـمدَ (نعم المولى ونعم النصيرُ)

والاقتباس هنا من الأنفال/ ٤٠ - ﴿ وإنْ تولّوا فاعلموا أنّ اللهَ مؤلاكم نعمَ المولى ونعم النّصير ﴾ [٢/٥٨] .

وعادةً مايكون التوافق وراء التداعى، ولكنّ التداعى قد يكون بالمخالفة أيضا، ففى أعقاب (فصل فى الإنفاق والجود) [١/٢٢٠] يجىءُ (فصل فى الاقتصاد) [١/٢٢٣] .

وإذا كان الباب الثامن (فى ذكر محاسن الخصال) فإن الباب التاسع هو (فى ذكر معائب الأخلاق من الخلال ومقابح الأعمال ، وذم الغاغة والسّقّاط والجهّال وعورات الرجال) [١/٢٣٧] .

وفى الباب الثامن عشر - وهو (فى ذكر الخطّ والكتاب والحساب ونصوص من فصول العهود وكتب الفتوح . .) [٢/ ٧٥] يصادفنا (فصل فى فضل الكِتاب والكُتّاب) [٢/ ٧٣] يعقبه (فصل فى ضدِّ ذلك) [٢/ ٧٧] .

هكذا تتابع أبواب الكتاب ، أو مجالاته المختلفة على نحو من الاتّساق أحيانًا كثيرة ، وإن لم يكن على نحو دائم ، إذ نفتقد هذا الاتساق أو التلاؤم بين بعض الأبواب التى تتوالى متتابعةً فى الكتاب رغم تباعدها في الموضوع . أكثر من هذا تصادفنا بعض الأبواب التى يصعب للوهلة الأولى الإمساكُ المحكم بموضوعاتها كالباب العاشر **(فى ذكر أنواع من الأضداد والأعداد)** حيث يتحدث فى عدد من فصوله عن موضوعات معينة وأضدادها : الغنى والفقر ، التأنّى والعجلة ، الشباب والشيْب ، القلة والكثرة . ولكن علينا لكى نفهم هذا المنحى فى إيراد الفصول والموضوعات أن نتذكّر أمرين .

أحدهما : عام ، وهو صعوبة ، بل استحالة ، حصْر الموضوعات التى يمكن القولُ أو الكتابةُ فيها فضلا عن اختلافها الطبيعىّ وتعدّدها .

الأمر الآخر : خاصّ بالثعالبى المؤلف ، صاحب كتب الاختيارات الكثيرة ، بما هو معروفٌ من اشتمال موضوعات كلامه فيها على الأضداد . وعلى سبيل المثال يتحدث فى كتابه **(الكناية والتعريض)** عن النساء والحرم ثم عن الغلمان والذُّكران [انظر ص ٩ ، ص ٥٢] . ونجد فى كتابه **(لباب الآداب)** عدة أبواب فى مثل هذا النوع من الأضداد : فهناك باب فى أوائل الأشياء وأواخرها وباب فى صغار الأشياء وكبارها ، وباب فى الطول والقِصَر ، وآخر فى اليُبْس واللين ، وغيره فى الكثرة والقلة وغيرها - وهو باب جامع - فى سائر الأوصاف والأحوال المتضادّة [انظر كتابه (لباب الآداب) ١/ ٣٢-٤٢] أما كتابه **(تحسين القبيح وتقبيح الحسن)**

فعنوانه أوضح من أن يحتاج إلى شرح فى دلالته على غرام الرجل بإيراد الحديث فى المتضادّات ، وهو ما انعكس فى طبيعة موضوعات كتابه الذى نحن بصدده وهو كتاب **الاقتباس** ، هذه الموضوعات التى تبدو وثيقة الصلة بمثيلاتٍ لها فى موضوعات كتبه الأخرى [(١)] ، بل وبموضوعات الكتب التى رجع إليها لغيره من المؤلفين ونقل عنها فى كتابه ، ومنها كتب الجاحظ مثل :(البيان والتبيين) ، و (الحيوان) ، و (كتاب الشعراء) لدعبل بن على الخزاعى ، وكتاب (الفرج بعد الشدّة) لأبى على المحسّن التنوخى وكتاب (المستنير) للمرزبانى ، و كتاب (فضل الشباب على الشيب) للصولى ، و (أخبار الوزراء والكتّاب) للجهشَيارى ، وكتاب (الجوابات المسكتة) لإبراهيم ابن محمد بن أبى عون ، وغيرها .

- ٤ -

ذلك عرض خارجىٌ لبنية الكتاب ونظام الأبواب - أو المجالات - الذى انبنى عليه والذى يمثل الهيكل الحامل لمادة الكتاب . وبقى علينا أن ندْلِفَ إلى قلْب هذه المادّة ، إذْ إنّ هناك أسئلةً كثيرةً تحتاج إلى إجابة صريحة إذا ما أردنا التعرّف على الكتاب بدرجة كافية . من هذه الأسئلة :

- **ما مفهوم الاقتباس عند الثعالبى ؟ .**
- **ما مصدره** ، أى : النوع الأدبى الذى انتُزِع منه المقتبَس ؟
- **ما مَقرُّه ، أو هدفه** ، أى : النوع الأدبى الذى آل إليه المقتبَس ، أو انتُفِعَ به فيه ؟

(١) انظر - على سبيل المثال : « فصل يليق بهذا المكان من الكتاب المبهج يشتمل على فصول مقتبسة من القرآن » [الاقتباس ١ / ٦٨] ومعروف أنّ كتاب المُبْهِج هو للثعالبى .

- **ماجهة الاقتباس** ، أى : ما الذى يتّجه إليه المقتبس بعمله ، المعنى ؟ اللفظ ؟ كليهما ؟ بتصرّفٍ أو بدون تصرف ؟ . . إلخ .

- **وما وظيفته ، أو دوره ؟.**

من المناسب قبل التعرّض لإجابات هذه الأسئلة أن نستمع إلى حديث الرجل عن كتابه : لقد قدّم الثعالبى كتابه معجبا بعمله فيه أشدّ الإعجاب ، ثم قال :

« وجعلته مجتمعا على كلّ ما استحسنته واخترته من اللّمع والفقر ، من اقتباس الناس على اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم ، من كتاب الله عزّ اسمُه ، فى خطبهم ومخاطباتهم وحكمهم وآدابهم ، وأمور معاشهم ومعادهم ، وفى مكاتباتهم ومحاوراتهم ، ومواعظهم وأمثالهم ونوادرهم وأشعارهم ، وسائر أغراضهم .

وضمّنته من محاسن انتزاعاتهم وبدائع اختراعاتهم وعجائب استنباطاتهم واحتجاجاتهم منه ، ماليس السُّوقَةُ بأحوجَ إليه من الملوك ولا الكّتاب والشعراء بأرغبَ فيه من الفقهاء والعلماء . . . . إذ هو مُقتَبَسُ الألفاظ والمعانى من أحسن الكلام وأقوم النظام . . . ذلك كلام ربِّ العزّة وبيانه ووحْيه وفرقانه » [١/٨٣] .

وإنما قصارى المتحلّين بالبلاغة والحاطبين فى حبْل البراعة أن يقتبسوا من ألفاظه ومعانيه فى أنواع مقاصدهم ، أو يستشهدوا ويتمثلوا به فى فنون مواردهم ومصادرهم ، فيكتسى كلامُهم بذلك الاقتباس معرضًا ما لحسنه غاية ، ومأخذا ما لرونقه نهاية ، ويكتسب حلاوة وطلاوة ما فيها إلاّ معسولة الجملة والتفصيل ، ويستفيد جلالة وفخامة ليست فيهما إلاّ مقبولة الغرّة والتحجيل » [١/٣٩] .

وخلاصة هذه الفقرة من حديث الثعالبى عن كتابه :

١ - جَمْعه فى الكتاب كلّ ما استحسنه واختاره من اقتباس الناس وانتزاعهم من كتاب الله، فى كلّ أنواع كلامهم ، فى جميع أغراض حياتهم .

٢- الربط بين مكانة هذا المجموع ومستواه وكونه منتزعًا من كلام الله المعجز .

٣- لجوء الأدباء كافّة إلى الاقتباس من ألفاظ القرآن ومعانيه ، أو الاستشهاد والتمثُّل به فى شتى أغراضهم . إذ لا يستغنى عنه أحد أيًّا كان اهتمامه أو منزلته .

٤- أثر الاقتباس من القرآن ، أو الاستشهاد والتمثُّل به ، فى تحسين كلام المنشئين وتفخيمه .

وعلى الرغم من طابع العموم وعدم التحديد فى الفقرة التى سبق نقلها ، هناك أسئلة مما سبق طرحه يمكن - فى ضوء الفقرة السابقة - الفراغُ منها بسهولة ، والانصراف إلى غيرها .

من هذه الأسئلة ما يتعلق **بالمصـــدر** ، مصدر الاقتباس . والإجابة - ببساطة - إنه النصّ القرآنى - من صريح منطوق العنوان - مضمومًا إليه الحديث النبوىّ - من واقع النصوص الواردة فى الكتاب .

ومنها ما يتعلّق بـ **(المقرّ) أو النصّ الهدف** الذى سُلِك فيه الجزء المقتبَس ، والجواب أن الثعالبى قد أوسع هذا الجانبَ حديثا فى الفقرة المنقولة ، حين ذكرَ كلَّ أنواع الفنّ القولى المتصوّرة حتى وقته ، والتى ذكر أن الناس ينتفعون فيها بالاقتباس من القرآن الكريم ، من خُطب ومخاطبات ، وحكم وآداب ، ومكاتبات ومحاورات ، ومواعِظَ وأمثال ونوادر وأشعار . على أن هذه الفنونَ كلها تندرج فى النهاية تحت النوعين الكبيرين ، أعنى : الشعر والنثر .

أما وظيفة الاقتباس فيحتاج الحديثُ عنها إلى شىء من التفصيل .

وفى البداية فإننا لانعدم فى الكتاب بعض بيانات تنظيريّة – خلاف ماسبق – تشير إلى أهمية الاقتباس وموقعه فى الخطب على وجه الخصوص . وينقل الثعالبى فى هذا الصدد قول الهيثم بن عدىّ (ت ٢٠٩ هـ) إنهم «كانوا يستحبّون أن يكون فى الخطب يوم الحفل، والكلام يوم الجمْع آىّ من القرآن، فإنّ ذلك مما يُورث الكلامَ البهاءَ والوقارَ والرقّةَ وحُسنَ الموقع».

[٢/ ٢٥، ٢٦ وكلام الهيثم بن عدى فى البيان والتبيين ١/ ١١٨ ، ٢/ ٦] .

كما يورد الثعالبى فى أعقاب هذا البيان عددًا كثيرا من خطب الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين وخلفاء بنى أمية وخلفاء بنى العباس . . تشهد كلّها بمدى حرصهم على الاقتباس من كتاب الله [٢/ ٢٥-٣١] .

من هنا كانت ملاحظته **لحالات السبق إلى اقتباسات معينة** ، شأن البلاغيين والنقاد فى تسجيل الأساليب والصور التى يسبق إليها الشعراء والأدباء . يقول الثعالبى : إنّ . . .

« أول مَنْ قال : إن الله تعالى أمرَكم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنّى بملائكته فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ الهادى بن المهدى بن المنصور ، ثم تلقّاه الخلفاءُ والخطباء بعده إلى يومنا هذا .

وقال بعض الشعراء :

صلى الإلهُ على ابن آمنةَ التى ... جاءتْ به سبطَ البنان كريما
قل للذين رجَوْا شفاعةَ أحمد ... صلّوا عليه وسلِّمُوا تسليما

[١/ ٧٥]

وتقديرًا لأهمية الاقتباس وإعلاءً من دوره فى النصّ الجديد يتحدّث الثعالبى عن **وجوب أن يدل الاقتباس فى مطلع الرسالة على موضوعها** . ففى الباب الأول من الكتاب - وهو (**فى التحاميد المقتبسة من القرآن وما يتّصل بها من الثناء على الله**) - يخصص الثعالبى فصلا (**فى دلالة التحميد على مايكتب من أجله**) ، ويقول : «إذا كان المنشئ مبرّزًا أشار فى أول كلامه إلى غرضه » ، ثم يذكر أن « هذه عادة لابن عبدكان المصرى مشهورة مستحسنة » لقد «كتب فى رسالة ذكر فيها استقامة الحال من والى الجيش وأمنه فقال : (الحمد لله مقلّب القلوب وعلّام الغيوب الجاعل بعد العسر يُسرا وبعد التفرّق اجتماعًا) [المقتبس من سورة الطلاق ٧] والنصّ المصدر قوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [٥١/١] .

ذلك عن قيمة الاقتباس من القرآن فى ذاته وسعى المنشئين إلى السّبْق فيه ثم وجوب أن يُفتَتَح به وأن يجىء دالاّ من البداية على موضوع الكلام .

غير أن حديث الوظيفة والقيمة لا يتوقّف عند هذا الحد ، فهناك أحاديث أخرى عن أثر الاقتباس فى جمال الكلام وتحسين العبارة . ومرّ بنا ماجاء فى مقدّمته من قوله : إنّ « قصارى المتحلّين بالبلاغة والحاطبين فى حبل البراعة أن يقتبسوا من ألفاظه ومعانيه فى أنواع مقاصدهم ، أو يستشهدوا ويتمثّلوا فى فنون مواردهم ومصادرهم ، **فيكتسى كلامُهم بذلك الاقتباس معرضا ما لحسنه غاية ، ومأخذا ما لرونقه نهاية ، ويكتسب حلاوة وطلاوةً ما فيها إلاّ معسولة الجملة والتفصيل ، ويستفيد جلالة وفخامة ليست منهما إلاّ مقبولة الغرّة والتحجيل** » [٣٩/١] .

وهذه - دون شك - **وظيفة فنيّة** ينوطها الثعالبى مباشرة بمصطلح الاقتباس . غير أن النصّ يشتمل - كما نـــرى - على مصطلحات ثلاثة - **الاقتباس ، الاستشهاد ، التّمثل** - دون محاولة للتفريق بينها فى الوقت الذى نراه يتوقّف عند وظيفة واحدة - **(اكتساء الكلام معرضا حسَنا ورونقا وحلاوة وطلاوة وجلالة وفخامة .. إلخ)** - فهل تؤدّى المصطلحات - أو الإجراءاتُ - الثلاثة وظيفة واحدة ؟ وإذا صحّ ذلك فهل تكون هذه المصطلحات من قبيل المترادفات ؟ أم أننا أمام إجراءات متعددة تفضى كلها إلى أثر واحد ؟ أم أن المؤلف قد فاته توفيةُ الحديث عن وظيفة كل إجراء على حدةٍ ؟

على أن من الممكن القول إننا أمام نوعين من الوظائف - على الأقل - **أحدهما** منوط بالاقتباس ، وهو وظيفة التحسين والتجميل التى جاء التعبير عنها واضحًا فى النقل السابق . **والآخر** : عدد من الوظائف يسهل وصفها بـ**(الوظائف التعليمية)** كما يمكن القول : إنها منوطة بـ(الاستشهاد) و (التمثّل) .

ومن هذا النوع الآخر :

إثبات أن القرآن يشتمل على كل المعانى التى يتكلّم بها الناس :

« قال بعض الحكماء : الظلم خطة فى الحيوان لاسيّما فى الإنسان ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم : ٣٤] ...

سمع ابنُ عُيَيْنَةَ قائلا يقول : الظّلم مرتعه وخيم . فقرأ : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه : ١١١] . و ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٢٧] - [الاقتباس ١/ ٢٤٠] .

«وسُئل [سفيانُ بن عيينة] عن قولهم : (الناسُ الأشراف بالأطراف) هل تجد معناه فى كتاب الله ؟ قال : نعم فى سورة يس ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا

﴿ ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس : ٢٠] فلم يكن فى المدينة خير وكان ينزل أقصاها .

وسئل عن قولهم (الجار ثم الدار) هل تجد معناه فى كتاب الله ؟ فقال : بلى ، هذه امرأة فرعون تقول : ﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ ﴾ [التحريم :١١] أما تراها أرادت الجارَ ثم المنزل ؟» .

[١٩٣/١] .

إثبات أن في القرآن مايوافق معاني كلام الرسول :

يقول الثعالبى «كان محمد بن كعب القُرَظِىّ من أقدر الناس على مقابلة أخبار النبىّ ﷺ بآى القرآن . فلما رأى قوله عليه السلام : من جدّد وضوءه جدّد الله مغفرته . قال : سوف أجد فى كتاب الله تعالى مايوافق معناه . ثم قال بعد أيّام : قد وجدتُ ذلك ، وهو قوله فى آية الوضوء : ﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ﴾ إلى قوله ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة : ٦] أمَا ترى أنه بالتطهير تمام النعمة وهو المغفرة »؟ [١٩٢/١] .

وكان سفيان بن عُيَيْنَةَ يجرى فى طريق القرظىّ ، يردّه [أى يرد الحديث] على الاستخراجات والانتزاعات [يعنى من القرآن]. فسئل : هل يجد فى القرآن مايصدّق الذى يروى عن النبى ﷺ أنه قال : ما مِنْ مؤمن يموتُ إلاّ ماتَ شهيدًا . فقال : أمهلونى ثلاثة أيام . فأُمهل ، ثم قال : قد وجدت ظاهرًا مكشوفا وهو قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ .

[الحديد : ١٩] - [الاقتباس : ١/ ١٩٣] .

إثبات أن في القرآن مافي الكتب السماوية الأخرى:

« جمع ابنَ عباس وكعبَ الأحبار مجلسٌ جرى فيه ذكر الظلم والظلَمة ، فقال كعب : إني واجد في التوراة أن من يظلم يخرب بيته ، فقال ابن عباس : أنا أوجدك هذا في القرآن ، فقال : هات . . فقرأ ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾ ومن هاهنا رُوى عنه عليه السلام «اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع» . وقد اقتبس أبو تمام هذا المعنى فقال :

وبلاقعًا حتى كأنّ قطينها حلفوا يمينا خَلّفَتْك غَموسا

. [٢٤١/١]

الإعلاء من شأن المقتبَس القرآني أمام المقبَس الشعري - معنًى وتعبيرًا :

ويبدو هذا جليا في (**فصل في المعارضات والمناقضات**) من الباب الثالث عشر وهو (**في ذكر البيان والخطابة وثمرات الفصاحة**) .

فعائشة - رضي الله عنها - تتمثّل عند احتضار أبي بكر بقول حاتم الطائي :

لعمرك مايغني الثراءُ عن الفتى إذا حشرجتْ يومًا وضاق بها الصدرُ

فيقول لها أبو بكر رضي الله عنه: «لاتقولي يابُنيّة هكذا ، ولكن : ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق : ١٩] .

ويسمع عليّ عليه السلام رجلا من أصحابه ينشد - وقد مرّ بإيوان كسرى - قول الأسود بن يَعْفُر :

أرض تخيّرها لطيب مقيلها كعبُ بنُ مَامَةَ وابنُ أمّ إياد

جرتْ الرياح على محلّ ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

« فقال له : قل كما قال الله تعالى : ﴿ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴾ .

[الدخان: ٢٥-٢٩] - [وانظر بقية الفصل ٢/ ٣٢، ٣٣] .

ولما سمع الأخطلُ قولَ جرير :

مازلتَ تحسبُ كلَّ شيءٍ بعدهمْ   خيلا تكرّ عليكُمُ ورجالاَ

قال : قد - والله - استعان عليٌ بكلام صاحبه - يعنى القرآن - إذْ قيل هذا المعنى بأجلّ لفظ وأحسن إيجاز ﴿ يحسبون كلّ صيحة عليهم ، هم العدوّ ﴾ [المنافقون :٤] - [٢/ ١٦٧]

الاحتجاج بالقرآن لما يُختلَف فيه من المظاهر الاجتماعية وألوان السلوك :

« دعا بعض العلماء رئيسا باسمه، فغضب وقال له : أين التّكْنية لا أبا لك ؟ فقال : إن الله تعالى قد سمّى أحبّ خلقه إليه فقال ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ - [آل عمران: ١٤٤] وكنّى أبغض خلقه إليه ، فقال : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ - [المسد: ١] - [١/ ١٩٤].

«لما حجّ أبو مسلم تحفّى بالحرم ، وتحفّى الناس ، فقيل له فى ذلك ، فقال سمعت الله يقول لموسى: ﴿ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ - [طه: ١٢] وهذا الوادى أكرم من ذلك الوادى » [١/ ١٦٩] .

« تعرض رجل للرشيد وهو فى الطواف فقال : يا أمير المؤمنين إنى مكلِّمُكَ بكلام غليظ فاحتمِله . فقال : لا ، ولا كرامة لك . إنّ الله قد بعث مَنْ هو خير منك إلى مَنْ هو شرّ منى فقال : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ - [طه ٤٤] - [١/ ١٦٨] .

الاقتباس بمعنى استنباط أمر يحتاج إلى تأمّل ، واستخراج فائدة علمّية :

فى (فصل فى لمع وفقر من استنباطات العلماء وفقر ودُرَر من انتزاعاتهم) نلاحظ أن الاقتباس عبارة عن نصّ أو أكثر يحمل شيئا من الأحكام أو الإرشادات ، وأن النصّ القرآنى يأتى فى أعقاب ما شُرِحَ به . مثال ذلك ماجاء بعد عنوان الفصل : « قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : من كان ذا داء قديم ، فليستوهب امرأته درهما من مهرها ، وليشتر

به عسلاً ، وَلْيشربْه بماء السماء ، ليكون قد اجتمع له الهنيءُ والمريء والشفاءُ المبارك . يريد قوله تعالى : ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ - [النساء : ٤] وقوله تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ - [النحل:٦٩] وقوله عزّ ذكره : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا ﴾ - [ق :٩] .

وفى العسل بماء السماء يقول مساور الورّاق :

وبدأتُ بالعسل الشديد بياضُه عمدًا أباكِرُه بماء سماء

إنى سمعتُ بقول ربّكَ فيهما فجمعتُ بين مبارك وشفاء

. [١٩٢/١]

الاستشهاد على دلالة لغوية :

« وقد سمّى الله تعالى العمّ أبًا إذْ ذكر إسماعيل فى جملة الآباء ، وهو عمّ يعقوب فقال حكاية عن أبناء يعقوب : ﴿ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ - [البقرة :١٣٣] والعرب تسمى العمّ أبًا .

ويروى عن النبى ﷺ أنه قال : « ردُّوا علىّ أبى » يعنى عمّه العبّاس . [الاقتباس ١٥٦/١] .

« قال سفيان الثورى : الكاتب : العالِم . واحتجّ بقوله تعالى : ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ - [الطور : ٤١] أى : يعلمون »[١٨٧/١] .

« قال المبرّد : تكلّمتُ يومًا بين يدى جعفر بن القاسم الهاشمى ، وأنا حَدثٌ . فاستحسن ماجئتُ به . وقال : أنت اليوم عالم ، ولا تظن قولى لك : (أنت اليوم عالم) أعنى به أنك لم تكن عندى قبل ذلك ، إن الله تعالى يقول : ﴿ والأمر يومئذ لله ﴾ وقد كان له الأمر قبل ذلك اليوم » [١٨٨/١ ، وينظر ١٩٣/١] .

« قال المبرّد سمعت ابن الأعرابىّ يقول : إذا سمعت الرجلَ يقول : ﴿رأيتُ فلانا **يذكر** فلانا﴾ فاعلم أنه قد عابه . فقلت : أوُجِدَ من ذلك فى القرآن ؟ فقال : نعم ، قول الله عزّ ذكره فى قصة إبراهيم ﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ [الأنبياء :٦٠] أى يعيبهم . وفى الشعر قول عنترة :

لا تذكرى فرسى وما أطعمتُه فيكون جلدُكِ مثلَ جلد الأجربِ

. [١٥٣/١]

أهداف تعليميّة فى الإنشاء والأخلاق والسلوك :

يصعب حصر المجالات التى جاءت فيها الاقتباسات لغرض تعليمى ، بل إنّ الكتابَ كلّه قد جاء - فيما أتصور - لغرض تعليمى متشعّب ، سواء فى ذلك تعليم الإنشاء أو القدوة الأخلاقية أو القدوة فى السلوك وأساليب التعامل المختلفة ، ولاشك أن كلّ مامضى مما أطلقنا عليه (**الوظائف التعليمية**) داخل فى هذا الإطار ، ولا أدلَّ على صحّة هذا الرأى من عناوين الفصول التى تحويها أبواب الكتاب ، والتى تضمّ تحتها نماذج من المقتبسات فى هذا الغرض أو ذاك ، سواء جاءت المقتبسات فى نصوص إنشائية فعلا ، أو جاءت على نحو مباشرٍ كمشروعات أفكارٍ أو نماذجَ لأساليبَ جاهزةٍ لأنْ يُفاد منها فى بنىً إنشائيّة محتمله . .

وعلى سبيل المثال نجد بابًا (فى ذكر البيان والخطابة وثمرات الفصاحة) ، من فصوله : (فصل فى المعارضات والمناقضات) و (فصل فى المحاضرات) و (فصل فى مقامات السؤال) و (فصل فيمن تكلّم لحاجته وهو فى الصلاة) . أما الباب الرابع وعشر فهو (فى الجوابات المسكِتة) ، من هذه الجوابات ماصدر عن الصدر الأول من السلف ، ومنها ماصدر من جوابات الكتاب والأدباء والظرفاء [٣٧/٢ ، ٤٧] .

وانظر الباب الثامن (فى ذكر محاسن من الخصال) ومن فصوله : (فصل فى الصبر) ، (فصل فى الشكر) ، (فصل فى العفو) ، (فصل فى صلة الرحم) ، (فصل فى حسن القول للناس) .

وأوضح ما يتجلّى الهدفُ التعليمي فى تلك المقتبسات القرآنيّة المتتابعة التي يسوقها المؤلّف فى الموضوع الواحد بين يدى بعض الفصول ، وكأنها المادّة الخام القابلة لأنْ يُفيدَ منها من يشاءُ من المنشئين .

وهذه - على سبيل المثال - متقبسات من (فصل فى التقوى) :

« قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة :٣٥] .

وقال : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ٧٦] .

وقال : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة : ٢٧] .

وقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٢٨] .

وقال : ﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾ [الأنفال : ٢٩] .

وقال : ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وقال : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجًا ﴾ [الطلاق : ٢،٣] .

وقال : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرًا ﴾ [الطلاق : ٤] .

[الاقتباس ١/ ٢٠٩ . ويُنظَرَ (فصل فى الصبر) ١/ ٢١١ و (فصل فى الشكر ١/ ٢١٢، ٢١٣] .

وتأكيدًا للهدف التعليميّ يسوق الثعالبى خطبة للرسول (ﷺ) اقتبس فيها أحد النصوص التى ساقها من الآية ١٣ من سورة الحجرات « أما بعد . . . ألا إن الدين هو الإسلام، والقرآن هو الإمام، وآدم هو السبب ، خلق من طين ، وأنا رسول الله إلى الناس كافة و ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ [١/ ٢١٠] .

ليس هذا فحسب وإنما يتجلى الهدف التعليمى أيضا فى إيراد الأسئلة التى تتطلب إجابتُها استظهارًا كاملا للقرآن الكريم ، وقدرة على التقاط المواضع الصالحة للاقتباس فى المناسبة التى يحملها السؤال .

وإليك هذا النموذج : ففى (فصل فى كلام لعلىّ فى عثمان ، وكلام فيهما) تصادفنا هذه الحكاية : « التقى الزهرىّ وأبو مسلم فى الطواف ، فقال له أبو مسلم : **ماتقول فى على وعثمان** ؟ فتحيّر الزهريُّ ولم يُجِرْ جوابًا ، فقال أبو مسلم : ويحك ، **هلاّ قلتَ كما قال الله تعالى** : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[البقرة: ١٣٤] - [١٢٢/١] .

وهذا نموذج آخر : من (فصل فى الاقتباس من قصة موسى عليه السلام) :

قال لى أبو نصر بن سهل بن المرزبان : هل تعرف بيت شعر فيه بشارة وشماتة ومجازاة واعتراض وانفصال ، فقلت : لا ، ولكنّى أعرف آية من كتاب الله تعالى فيها خبران وأمران ونهيان وبشارتان . فقال : عرفْنى هذه الآية لأنشدك ذلك البيت . فقرأتُ عليه قوله تعالى فى قصة موسى عليه السلام : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص : ٧] .

فأنشدنى - من أبيات :

سوف نبرا ويمرضون ونجفو فإن عاتبوا أقل ذا بذاكا

[١٦٧/١] .

- ٦ -

جهات الاقتباس

المقصود بجهات الاقتباس : **المنحى أو الهدف الذى قصد المنشئ المقتبِسُ إلى الإفادة** منه كما يتضح من خلال النصّ الجديد ، فبصرف النظر عن مصدر الجزء المقتبَس ، وهل هو القرآن أو الحديث فإن مناحى الإفادة من الأجزاء المقتبَسة - كما تتجلّى فى النصوص الجديدة التى تشتمل عليها - **هذه المناحى تختلف من حالة إلى أخرى .**

ووفقا لتصوُّر الناقد العربى لتكوّن النص اللغوى من عنصرى اللفظ والمعنى ، فقد حملت تصريحات الثعالبى مايفيد **اتجاه المقتبسين إلى المعنى تارة ، وإلى اللفظ أخرى ، وإليهما معا فى بعض الأحيان .**

أما النصّ على وقوع الاقتباس فى المعنى فنجده فى (فصل فى بعض ماجاء عنه ﷺ من الكلام المقتبَس معناه من القرآن) « قال عليه السلام : علامة المنافق ثلاث : إذا اؤتمن خان وإذا وعد أخلف وإذا حدّث كذب . ومعناه مقتبَس من قول الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾

[التوبة : ٧٥-٧٧] .

وقال ﷺ (من صبر على أذى جاره أورثه الله داره) ومعناه مقتبس من قول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ .

[ابراهيم : ١٣، ١٤] - [الاقتباس ١/ ٨٥] .

ونلاحظ هنا صدقَ وصف الثعالبى لهذه الاقتباسات بأنها فى المعنى ، لافى اللفظ ، إذ الاشتراك فى اللفظ غير قائم .

« وكان الأحنف يقول : التغافل من أفعال الكرام ، ثم يقول : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ . [الأنعام : ٦٨] .

وهذا المعنى أراده أبو تمام فى قوله :

ليس الغبىّ بسيّد فى قومه لكنّ سيّد قومِه المتغابى »

[١/٢٣٣، ٢٣٤] .

وأما النصّ على الاقتباس من ألفاظ القرآن ، فنجده فى (فصل فى بعض ماجاء عنه عليه السلام من **الكلام المقتبس من ألفاظ القرآن**) حيث يحافظ على عبارة القرآن تامّة غالبا :

قال ﷺ : (مَنْ باعَ دارًا أو عقارًا فلم يجعل ثمنها فى مثلها كان ﴿ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ [إبراهيم : ١٨] . وقال ﷺ : « هل ينظرون إلّا هدمًا مبيدًا أو مرضًا مفسدًا ، أو الدجّال فشرّ مستطر » ﴿ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ - [القمر:٤٦] .

وقال ﷺ : (بعثنى الله إلى الناس كافة بإقام الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة بحقّها ، وصوْم رمضان وحجّ البيت من استطاع إليه سبيلا) ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت:٤٦] [الاقتباس: ١/٨٦] .

وربما كان السبب فى أن الثعالبى عدّ هذه المقتبَسات فى الألفاظ فَحسْب ، أن معانيها قد اتجهت فى سياق الأحاديث وجهات تُباين كثيرًا أو قليلا معانيها فى النصّ القرآنى ، أو - على الأقل - أنها وردت فى سياقات جديدة من شأنها أن تدخل شيئا من التعديل فى معانيها .

يتحدّث الثعالبى فى موضع آخر عن اقتباس اللفظ والمعنى معًا :

« فى قول الله ﴿ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾ - [فاطر:١] - يعنى الوجه الحسن - **اقتبس أبو فراس الحمدانى اللفظ والمعنى** ، فقال فى الغزل :

كان قضيبا له انثناءُ وكان بدرًا له ضياءُ

فزاده ربّه عذارًا تمّ به الحسنُ والبهاء

لاتعجبوا ، ربّنا قدير (يزيد فى الخلق مايشاء) »

[الاقتباس ١/٥٦] .

هكذا جاء عند الثعالبى هذا التقسيم الثلاثى لجهات [الاقتباس ١/٥٦] **الاقتباس** : اقتباس في المعني ، واقتباس فى اللفظ ، واقتباس في اللفظ والمعنى .

ونحن فى هذا التقسيم نتبع الثعالبي وأمثلته في بعض المواضع التى جمع فيها بين التصريح بجهة الاقتباس وبين تقديم الأمثلة ، وإن كان - أحيانا - لايثبت عند ضابط معيّن فى العلاقة بين المصطلح ومفهومه . إذ نجده فى مواضع أخرى يطلق الاقتباس فى المعنى على ماكان المقتَبس فيه صورة تشبيهية . نجد ذلك عنده فى (فصل فى تداول الشعراء معنى أصله من القرآن) . . فقد قال السيد الحميرى :

قد ضيّع الله ما جمعّت من أدب بين الحمير وبين الشاء والبقر

وقال منصور النمرى :

شاةٌ من الناس راتعٍ هاملُ يعلّلون النفس بالباطل

وقال البحترى :

عليّ نحتُ القوافى من مقاطعها وما عليّ إذا لم تفهم البقرُ

وقال أبو تمام :

لا يذهَمنّكَ من دهمائهم عَددٌ فإنّ كلهم بل جُلّهم بقر

وقال المتنبى :

أرى أناسًا ومحصولى على غنم وذكْرَ جودٍ ومحصولي على الكَلِمِ

يقول الثعالبى : « وقد اعتمدتْ هذه الجماعة كلهم على قول الله تعالى : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ .
[الفرقان: ٤٤] - [الاقتباس ٢/ ١٦٥، ١٦٦] .

صور غير مباشرة من الاقتباس :

لاتقتصر جهات الانتفاع بالنصّ القرآنى فى الأمثلة التى أوردها الثعالبى على عنصر المعنى أو اللفظ أو عليهما معا ، لقد وردت عنده نماذج تحمل مجرّد الإشارة المجملة إلى مواقف أو قصص قرآنيّة عُرف لكلٍّ منها دلالة خاصّة شُهرت وأصبح من السّهل أن تدل عليها . . وهى العملية التى أطلق عليها المتأخرون مصطلحات مثل (العنوان) الذى عرّفوه بأنه : « أن يأخذ المتكلم فى غرض له . . ثم يأتى . . بألفاظ تكون عنوانًا لأخبار متقدمة وقصص سالفة » [تحرير التحبير لابن أبى الإصبع ص ٥١٣ ، وخزانة الأدب لابن حجة ص ٣٧٣] وربما دخل هذا النوع تحت ماسمّوه باسم (التلميح) الذى عرّفه ابن حجة بأنه : «أن يشير ناظم هذا النوع . . . إلى قصة معلومة أو نكتة مشهورة . . أو إلى مثل سائر » .

[خزانة الأدب ص ١٨٤] .

وأكثر مانجد هذه الصورة من (الاقتباس) عند الثعالبى فى حديثه فى الاقتباس من قصص الأنبياء . ففى (فصل فى الاقتباس من قصة إبراهيم عليه السلام) يصادفنا هذا الخبر :

« دخل الشعبىّ على صديق له فلمّا أراد القيام قال له : لاتتفرّق إلاّ عن ذَواق [أى : حتى تذوق شيئا] . فقال الشعبىّ فأتحفنى بما عندك ولا تتكلف لى بمالا يحضرك . فقال : أىّ التحفتين أحبّ إليك . . . **تحفة إبراهيم أم تحفة مريم ؟** فقال الشعبىّ : أمّا تحفة إبراهيم فعهدى بها الساعة ، وأريد تحفة مريم ، فدعا له بطبق من رطب . فإنما عنى بتحفة

إبراهيم اللحم ، لأنّ فى قصته ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ - [هود:٦٩] ، وعنى بتحفة مريم الرطب ، لأنّ فى قصتها ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ - [مريم :٢٥] [الاقتباس ١/ ١٥٥] .

وفى **(فصل فى الاقتباس من قصة يعقوب ويوسف عليهما السلام)** « قيل للحسن البصرىّ - وقد اشتدّ جزعه على أخيه سعيد - أنت تنهى عن الجزع ، وقد صرت منه إلى غاية . فقال : سبحان من لم يجعل الحزنَ عارًا على يعقوب . فجعل جوابه احتجاجًا . يريد قوله عزّ وجل : ﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ - [يوسف:٨٤] . وقيل له : أيكذب المؤمن ؟ فقال : أنسيتم إخوةَ يوسف .

وتكلّم يومًا فارتفعت أصوات من حوله بالبكاء فقال : عجٌّ كعجيج النساء ، وبكاء كبكاء إخوة يوسف » [الاقتباس ١/ ١٥٨] .

الاقتباس في الأساليب والصور الفنيّة :

ولا تتوقّف جهات الاقتباس من القرآن عند ما سبق من المضامين والألفاظ والعبارات والإشارة إلى المواقف والقصص . . بل تعدّتْ ماسبق إلى اقتباس الأساليب الخاصّة والصور البيانيّة والألوان البديعيّة ، ومعروف أن القرآن الكريم قد مرّ بعد نزوله بمرحلة كان فيها عرضةً لهجوم الطاعنين عليه فى دلالات ألفاظه وخصائص تراكيبه ومافيه من الصور الفنيّة ، فكان الاحتكام إلى كلام العرب وأشعارهم ومافيها من هذه الظواهر هو وسيلة الدفاع عنه . . ثم جاءت مرحلة تالية انقلب فيها الوضعُ وصارت خصائص الأسلوب القرآنى وطرائق لغته وصوره هى المثل الأعلى الذى يسعى الأدباء إلى احتذائه . .

ويدخل صنيع الثعالبى فى إطار هذه المرحلة ، فهو لايقصر الاقتباس من القرآن على الجهات التى سبق ذكرها وإنما يتعدّاها إلى اقتباسات

البلغاء - ناثرين وناظمين - مما فى القرآن من الأساليب والصور البيانيّة والألوان البديعية ، وهاهو ذا فى الباب العشرين - وهو (**فى ذكر الشعر والشعراء وأنواع اقتباساتهم من ألفاظ القرآن ومعانيه**) - يخصص فصلا (**فى التشبيهات**) وآخر (فى ذكـــر **التجنيس**) وثالثا (فى **الطّباق**) [٢/ ١٨٢ - ١٩٣] . ثم يعود فيجعل الباب الحادى والعشرين (**فى اقتصاص بعض مافى القرآن من الإيجاز والتشبيه والاستعارة والتجنيس والطباق ومايجرى مجراها**) [٢/١٩٧] .

ونراه يقدّم فصل التشبيه من الباب الأخير بقوله : « أىّ تشبيه أحسن وأبلغ من تشبيهه تعالى النساءَ اللواتى لم يُطمَثْنَ بالبيض المكنون » - [الصافات:٤٩] ، وتشبيهه إياهنّ فى الحسن والنعمة والنضارة والغضارة بالياقوت [الرحمن:٥٨] . . . وتشبيه أعمال الكفار بسراب ﴿ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ - [النور:٣٩] . ثم يقول الثعالبى : « والكلام فى بلاغة هذه التشبيهات وجلالتها كثير لاينتهى حتى يُنتهى عنه » [٢/١٩٨ ، ١٩٩] .

كما يقدّم فصل التجنيس من الباب العشرين بقوله : « التجنيس فى النظم والنثر كالطراز فى الثوب ، وهو أحد أبواب البديع فى الكلام . وقد جاء من ذلك فى القرآن مالا شيءَ أحسنُ وأبرَعُ منه ، **واقتبس منه أهلُ الصنعة** . قال الله تعالى : ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ .. وقال جلّ ذكره : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ ﴾ وقال عزّ وجلّ : ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ .. وقال تعالى : ﴿فَرَوْحٌ وريحانٌ وجنّة نعيم﴾ [٢/١٨٩،١٩٠] .

كما قدّم نماذج للطباق - فى أحد تعريفيْه - من القرآن ، يقول: « قوم يجعلون الطباق كما قال الله تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾ وكما

قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً﴾ وقال تعالى : ﴿ فَمِنكُمۡ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٌ ﴾ . وقوله عزّ ذكره :﴿وَلَكُمۡ فِى ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ أشبه بالطباق » [١٩٠/٢] .

ويقدم فصله (فى ذكر الإيجاز) بقوله : « من أراد أن يتعرّف جوامع الكلم وفضل الاختصار وبلاغة الإيماء وكفاية الإيجاز فليتدبّرْ القرآن وليتأملْ علوّه على سائر الكلام » ، ثم يقدم عددًا من الأمثلة القرآنية يشرحها ويبيّن مافيها من كثرة المعانى وقلة الألفاظ [١٩٧/٢] .

ولا يلتفت الثعالبى فى بعض فصوله فى الباب الحادى والعشرين إلى تقديم أمثلة من إنشاء البشر لما اقتبسوه من القرآن مكتفيا بإيراد الأمثلة القرآنية الكثيرة المتتابعة ، مما يدعم - فى رأينا - الطابع التعليمى للكتاب ، أو الهدف التعليمى منه . نجد ذلك فى فصول الإيجاز والتشبيه والاستعارة [١٩٧/٢ - ٢٠٠] ، كما نجده فى فصل التجنيس من الباب العشرين [١٨٩/٢] ، ولكنه يحرص فى بقية الفصول على تقديم النماذج القرآنية ومعها النماذج البشرية التى اقتُبست منها ، أو التى اشتملت على إشارات إلى تأثرها - على نحو من الأنحاء - بما جاء فى النص القرآنى .

فمن أمثلة التشبيه المتأثر بالقرآن قول ابن طباطبا :

وليلةٍ مثلِ أمرِ السّاعة اشتَبَهتْ حتى تقضّتْ ولم نشعرْ بها قِصَرَا

وهو « يريد قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ ﴾ [١٨٢/٢] .

والمثال السابق عبارة عن تشبيه (بشرىّ) منتزع من التشبيه القرآنى ، مع ملاحظة أن المشبَّه فى الآية (أمر الساعة) قد تحول فى الشعر إلى مشبّه به . ولكننا قد نجد التشبيه البشرىّ منتزعًا من حقيقة واقعة يقررها القرآن ، كقول الشاعر :

ويوم أنس حسن البشر　　عذبِ السّجايا طيّب النشر
شبهتُه منتزعًا من يد الـ　　أحداث ذات الشرّ والضرّ
باللبَن السائغِ ذاك الذى　　من بين فرثٍ ودمٍ يجرى
. [١٨٣/٢]

فيوم السرور المنتزع من يد الأحداث السيئة هو المشبّه بينما الجزء القرآنى المنتزع من آية النحل ٦٦ (اللبن الخالص السائغ يخرج من بين الفرْث والدم) – وهو حقيقى – يصبح هو المشبَّه به.

ومن هذا القبيل قول الشاعر :

جُدْ بالقليل إذا تعذّر غيرُه　　واسعد بِبِكْر مدائحى والثيّب
واعلم بأنّ الغيم يمنح طلّهُ　　إنْ لم يجُدْ بغياثٍ وَبْل صَيّبِ
وإذا عدمتَ الماءَ بعد طِلابه　　جاز التيمُّم بالصّعيد الطيّب
. [١٨٨/٢]

حيث الجود بالقليل فى حالة تعذّر الكثير هو المشبَّه يقابله أكثر من مشبَّه به منتزع من القرآن ، فمرة نجد صورة الجنة الواقعة فوق الرّبوة ﴿ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾ [البقرة:٢٦٥] – أى إن تعذر الماء الكثير (الوابل) كان القليل (الطلّ) كافيا . ومرة أخرى نجد رخصة التّيمم المنتزعة من سورتى النساء ٤٣ و المائدة ٦ والذى يعنى – فى جوهره – الاستغناء بالموجود الواقعى فى حالة غياب المطلوب المثالى .

ولعلّ من أوقع نماذج الاقتباس من القرآن وأروعها مما وقف عنده الثعالبى اقتباس أبى تمام من آية النور ٣٥، وهى قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ﴾ إلى قوله : ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ لقد ورد هذا الاقتباس ضمن فصل (فى فضل الأمثال) من الباب التاسع عشر (فى الأمثال والألفاظ التى تجرى مجراها والتنبيه على استعمالها والتمثيل بها) .

لقد مدح أبو تمام أحمد بن المعتصم بقصيدته السينيّة المشهورة التى مطلعها :

مافى وقوفك ساعة من باس نقضى ذمام الأربع الأدراس

واستمر فى إنشاده وانتهى إلى قوله :

إقدام عمْرو فى سماحة حاتم فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

فقال له بعض الحاضرين ممن كان يحسده : الأمير فوقَ مَنْ ذكرت [يعنى أن الشاعر قد شبّه الممدوح بمن هم أقل منه] فارتجل أبو تمام فى الوقت [نفسه] ووصله بالبيت السابق :

لاتنكروا ضربى له مَنْ دونه مثَلًا شرودًا فى الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلا من المشكاةِ والنبراس

إن قيمة هذا الاقتباس - فيما أرى - ليست فى أنّ مادةَ تمثيلٍ قد انتُزعت من مادة تمثيل آخر ، **ولكن فى أنّ المقتبس هنا هو فلسفة التمثيل ذاتها** ، لقد دأب البلاغيون على الإعلاء من مبدأ تشبيه الأضعف فى الصفة بالأقوى فيها ، وجاء التشبيه القرآنى بعكس ذلك - تشبيه نور الله تعالى بما هو أقل منه - المشكاة والمصباح - على سبيل التقريب والتوضيح ، فكان أن استغلّ أبو تمام نفس المبدأ الذى التقطه من التمثيل القرآنى ردّا على منتقديه من المتمسكين بالمبدأ المعاكس ، وفى هذا مايؤكد من جديد الغرض التعليمى الذى هدف إليه الثعالبى من كتابه وإن كان هنا غرضا فنيّا .

- ٧ -

آفاق التصرّف فى المقتبَس

الحديث عن جهات الاقتباس ، والذى قلنا إنه يرصُدُ من خلال النصّ الجديد الجهةَ أو الجهات التى قصدها الأديب فى تعامله مع النصّ

المصدر .. هذا الحديث يتضمن على نحو تلقائى الاعتراف بإمكان تعرّض الجزء المقتبس لكثير أو قليل من التحوير أو التعديل نتيجة عملية الاقتباس ، وهو تحوير ، أو تعديل ، قد يلحق بالمعنى مع ثبات العبارة ، وقد يلحق بالعبارة - على صور مختلفة - وإن بقى المعنى كما هو ، أو يلحق بهما معًا .

ومن أمثلة **التحوير بالتقديم والتأخير مع بقاء المعنى كما هو** : ماجاء فى رسالة لابن عبدكان :

« الحمد لله ذى العزّ الشامخ والسلطان الباذخ ، والنعم السوابغ والحجج البوالغ ، ليس له كفؤ مكاثر ولا ضد منافر ، إذ به لاينقص التدبير ويتم التقدير . **يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار** وهو اللطيف الخبير »

[٤٩/١].

المقتبس هنا حدث فيه تصرّف بالتقديم والتأخير .. فى قوله (يدرك الأبصار . . .) من خلال النصّ الهدف . إذ المقتبَس فى النصّ المصدر هو قوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ [الأنعام ١٠٣] .

وقد لايجىء التقديم والتأخير صراحة فى النص ، ولكن يشار إليهما إشارة . قال أبو الفتح كشاجم ، وقد عجّل بإنجاب ولده قبل أن يجمع ثروة :

لولا أبو الفرج الذى فُرِجتْ به ... كُرَبى لما خَفّتْ لبُودُ جيادى
لكن سبقت به الثراءَ ففاتنى ... وعجِلت قبل المال بالأولاد
خالفتُ ماجاء الكتابُ بنصّه ... فلذاك ماملك الزمانُ قيادى

يعنى قوله : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الكهف : ٤٦] .. [١٨٦/٢].
بتقديم المال على البنين ، بينما يرى الشاعر أنه عجّل بالإنجاب - أى العيال - قبل الثروة ، فكأنه قدّم البنينَ على المال .

وهناك مايمكن تسميته بـ **(التلفيق) فى الاقتباس** حيث يتكون المقتَبس من أكثر من جزء من المصدر ، ويورد الثعالبى قولَ عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز :

« الحمد لله الذى جعل أهل طاعته أحياء فى مماتهم ، وجعل أهل معصيته أمواتا فى حياتهم . يريد قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران ١٦٩] ، وقوله عزّ ذكره ﴿ إنك لا تُسمع الموتى ﴾ [النمل :٨] ، وقوله تعالى : ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النحل :٢١] ، وفى هذا المعنى ينشد : [لكثيرّ] .

لقد أسمعت لو ناديت حيّا ولكن لا حياة لمن تنادى

[الاقتباس ١/ ٤٨]

ومن هذا القبيل - مع التصرّف الواسع فى لفظ المقتَبس - ماجاء فى قول يحيى بن على المنجم من قصيدة :

ربّ يوم عاشرتُه فتقضّى بعد حَمْدٍ عن آخر مذموم
يالقومى لضعفِه ولكيدٍ مثلِ كيدِ النساءِ منه عظيم

[٢/ ٧] .

فيه إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ إن كيدهن عظيم﴾ [يوسف:٢٢] وقوله - ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء - ٧٦].. ومع ذلك فالشاعر لم يستخدم إلّا كلمات معدودة من النصين : كلمة (ضعف) وكلمة (كيد) وكلمة (عظيم) بعض هذه الكلمات بقى على حاله من الوجهة الصرفية (كيد - عظيم) وإحداها حوّلت من حالة الاشتقاق (ضعيفا) إلى حاله.. المصدرية (ضعف) ، ولكن الجميع قد تحول عن موقعه الإعرابى ، فالضعف جاء فى حالة الجرّ بعد النصب، والكيد جاء مجرورًا مرتين لسببين مختلفين الأول: لام الاستغاثة، والثانى: موقع المضاف إليه، وذلك بعد حالة النصب ، أمّا كلمة عظيم فقد فارقت الرفع باعتبارها فى النص المصدر خبرا لـ (إن)، إلى الجرّ باعتبارها فى النصّ الهدف

صفة لمجرور ، واحتفظت كلمة (النساء) فى النص الهدف بالموقع الذى كان لها فى النص المصدر – المضاف إليه – ولكنها جاءت فى النص الهدف كما نرى فى حالة الاسم الظاهر الصريح ، بينما كانت فى النص المصدر فى حالة الضمير (كيدكُنّ) .

ونحن نلاحظ كيف فطن الثعالبى إلى تكوّن المقتبس فى النص الهدف من أكثر من عنصر من عدد من النصوص المصادر . مع ملاحظة أن النصّ الهدف قد يكون نثرًا كما قد يكون شعرا .

صور من ثبات المعنى مع تحوّل بنية العبارة : «وكتب بعض البلغاء : صلى الله على محمد ذى المحتد الكريم والشرف العميم والحسب الصميم والخلق العظيم [١] والدين القويم [٢] والقلب السليم [٣] الذى دعا إلى الله بإذنه [٤] – على حين فترة من الرسل [٥] ، واختلاف من الملل وتشعّب من السبل [٦] – قوما يعبدون ماينحتون [٧] والله خلقهم وما يعبدون، فصدع بأمر ربّه [٨] وبلّغ ماتحمل من رسالاته [٩] حتى أتاه اليقين [١٠] وظهر أمرُ الله وهم كارهون [١١] ».

(١) قوله : والخلق العظيم . من قوله تعالى :
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] .

(٢) قوله : والدين القويم . من قوله تعالى :
﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [التوبة ٣٦، يوسف ٤٠ ، الروم ٣٠] .

(٣) قوله : والقلب السليم . من قوله تعالى :
﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء ٨٩].

(٤) قوله : دعا إلى الله بإذنه . من قوله تعالى :
﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب ٤٦] .

(٥) قوله : على حين فترة من الرسل . من قوله تعالى :

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [المائدة: ١٩].

(٦) قوله : وتشعب من السبل . من قوله تعالى :

﴿ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله﴾ [الأنعام ٦] .

(٧) قوله : يعبدون ما ينحتون . من قوله تعالى :

﴿قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ﴾ [الصافّات ٩٥].

(٨) قوله : فصدع بأمر ربّه . من قوله تعالى :

﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر ٩٤]

(٩) قوله : وبلّغ ما تحمل من رسالاته . من قوله تعالى :

﴿ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [المائدة ٦٧].

(١٠) قوله : حتى أتاه اليقين . من قوله تعالى :

﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر ٩٩].

(١١) قوله : وظهر أمر الله وهم كارهون من قوله تعالى :

﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة ٤٨].

وكما نرى فقد استلزم سبكُ المواضع المقتبسة فى السياق الجديد كثيرا من التحوير فى العبارة مقارنةً بما كانت عليه فى المصدر المقتَبس منه ، وهو القرآن .

والواقع أن صور التصرّف فى المقتبسات لايمكن أن يحاط بها، وهى عملية جديرة بالتأمّل والدراسة المستقصية التى يمكن أن تكشف المزيد والمزيد عن طرائق الأدباء فى التعامل مع المواضع المقتبسة سواء من حيث التصرّف فيها أو تهيئة الكلام لاستقبالها . لذلك نكتفى بهذا القدر للتدليل على ماكان لنماذج الثعالبى - كما سنرى - من دور فى توجيه حديث اللاحقين فى الموضوع .

- ٨ -
نظرة أخلاقية إلى الاقتباس

لم يشأ الثعالبى أن يترك باب الاقتباس من القرآن مفتوحًا بغير ضابط ، أو بالأحْرَى لم يشأ أن يترك لكلّ من شاء أن يقتبس ما شاء فى أى سياق أو مناسبة شاء . إذ رأى أنه كما يحسن الاقتباس من مواضع معينة لصالح سياقات أو مناسبات معينة . . فكذلك قد يجىء الاقتباس قبيحا نظرًا لعدمِ ملاءمة المقتبَس للموضع الذى استخدم فيه ، أو للمناسبة التى وُظِّف فيها أو لاحتوائه على ما يخدش الحِسّ الدينى .

من هنا جاء الباب السادس عشر من كتابه **(فى الاقتباس المكروه)** وهو يحتوى على فصلين : الأول (فى الخروج عن حدّ الاقتباس) وقد عرّفه بـ «أن يفرط الشاعر أو الكاتب فى حدّ الاقتباس حتى ينظر فى قصة فيستقى منها صورة فيستفرغها كما قال أبو تمام ، ويروى لغيره :

أيها العزيز قد مسّنا الضّر ... رُ جميعا وأهلنا أشتات
ولنا فى الرحال شيخ كبير ... ولدينا بضاعة مزجاةُ
فاحتسب أجرنا وأوفِ لنا الكيـ ... لَ سريعًا فإننا أموات

فأساء فى هذا المعنى من الاقتباس ، وفى الألفاظ المقدّسة التى وصل بها ، على أنه أعذر عندى ممن قال فى استعطاف غلام . . :

ياقضيبا زعزع الرّيـ ... حُ به وهنّا فحرّكْ
بألم نشرح ندعو ... الله أن يشرح صدرك

فلم نرض بهذا الإفراط الفاحش فى الاقتباس ومقاربة استكمال السورة [٥٧/٢] .

أمّا الفصل الثانى فهو (فى ذكر الخَلْق ما استأثر الله به من الصفات) ويذكر من أمثلته هذين البيتين (فى التهديد) .

يابنى طاهرٍ أتتكم جنود الله والموت بينها مشبور
فى جيوش إمامهن أبو أحمد نعم المولى ونعم النصير

. [٢/٥٨]

ووجْهَ النقد فى البيت الأخير هو وصف المخلوق بعبارة تحمل صفة خاصةً بالخالق .

ولا يقتصر الأمر فى نقد الاقتباس على القدر الذى سجّله الثعالبى فى بابه المذكور ، إذ ترد فى بعض مواضع الكتاب إشارات فى نقد الاقتباس صادرة عن غير الثعالبى . . من ذلك ماروى من قول الحجاج إنه كان يتمنى أن يدرك ثلاثةً يتقرّب إلى الله بدمائهم ، والقاسم المشترك بين هؤلاء الثلاثة هو صدور مايقدح فى دين كلّ منهم على لسانه ، لكن ما يعنينا هو ماصدر من ثالثهم وهو مقاتل بن مسمع ، فقد وَلِى فارسَ وأتاه الناس من العراقين فأعطاهم الأموال الكثيرة ، فلما عزل ورجع إلى البصرة دخل مسجدها فبسط الناسُ أرديتهم ليمشى عليها ، وجعلوا يدعون له ويثنون عليه ، فالتفت إلى بعض أصحابه فقال : ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ [الصافات : ٦١] [١/ ٢٢٢، ٢٢٣] .

وواضح أن مما يعيب الاقتباس عند الثعالبى : الإفراط ، والاستقصاء إلى حدّ يُظنّ معه أن الكلام على حقيقته، إلى جانب إيراد الصفات التى استأثر بها الله تعالى منسوبةً إلى البشر .

- ٩ -

قلت فى البداية إنّ الكتاب لافت بمؤلفه وبموضوعه وبالعنوان الذى يحمله . . وقد ألمحت هناك إلى مكانة الثعالبى كمؤلّف

صاحب اهتمامات عديدة ، وأضيف هنا أنه كان رائدًا بالفعل فى مجال التاريخ الأدبى حين رتّب كتابه (يتيمة الدهر) على أساس مكانى مقرًا بأثر البيئة فى توجيه الأدباء ، وبالتالى فى توجيه إنتاجهم . وقد عُدّ - فى هذا السياق إمامًا مباشرًا لأصحاب الكتب التى سلكت نفس المنهج مثل (دمية القصر) للباخرزى و (خريدة القصر) للعماد الأصفهانى ، وغيرهما .

أما موضوع الكتاب الذى نحن بصدده - وهو (الاقتباس من القرآن الكريم) - فإلى جانب ريادته التى سنكشف عنها فإنه يكشف عن جرأة فكرية لدى صاحبه وإيمان بضرورة أن يلتقى التنظير والتطبيق .

مصدر الجرأة - أو دليلها - أن عملية الانتفاع بنصوص القرآن فى نسيج إبداعات الأدباء لم تكن - من حيث المبدأ - مرضيًا عنها من رموز دينية وكلامية كثيرة . « قال الحافظ السيوطى : وقد اشتهر عن المالكيّة تحريمُه [أى تحريم اقتباس ألفاظ القرآن] وتشديد النكير على فاعله . وأمّا أهل مذهبنا - يعنى الشافعيّة - فلم يتعرض له المتقدّمون ولا أكثر المتأخرين . . . وقد تعرّض له جماعة من المتأخرين ، فسئل عنه الشيخ عزّ الدين ابن عبد السلام فأجازه ، واستدل بما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلّم فى قوله فى الصلاة وغيرها . . . وفى سياق كلام أبى بكر . . . وفى آخر حديثٍ لابن عمر . . . . » .

يقول ابن معصوم - الذى أورد كلام السيوطى السابق :«وهذا كله إنما يدلّ على جوازه فى مقام المواعظ والثناء والدعاء وفى النثر ، ولا دلالة فيه على جوازه فى الشعر ، وبينهما فرق . فإنّ القاضى أبا بكر من المالكيّة صرّح بأن تضمينه [أى تضمين القرآن] فى الشعر مكروه ، وفى النثر جائز ، واستعمله أيضا فى النثر القاضى عياض

في مواضع من خطبة الشفاء . وقال الشرفُ إسماعيل المقرى ... في شرح بديعيته : فما كان منه في الخطب والمواعظ ومدحه صلى الله عليه وآله وسلم فهو مقبول وغيره مردود » [انظر : أنوار الربيع لابن معصوم ٢/٢١٧،٢١٨ ، وانظر كلام السيوطى فى الموضع المذكور من ابن معصوم ، وفى الإتقان / ١/ ٣١٤] .

هكذا لم يكن الأمر مباحًا بإطلاق - على الأقل من الوجهة النظرية - يكفى أن السؤال ظل يتردد بين الإباحة والكراهة ، ويتردد حول مايجوز وقوع الاقتباس فيه من أنواع القول وفنونه .. ثم المقبول من صور التصرّف فى المقتَبَس .. عبارته ومعناه .

وحتى ضرْب الأمثال بعبارات القرآن كان أيضا موضع تساؤل ، بل إنه كان مكروها، ليس فى العصور المتأخرة فحسب وإنما فى عصر الثعالبى نفسه وقبله بجيل ، وهذا هو القاضى أبو بكر الباقلانى (ت ٤٠٣ هـ) كان يرى أن تضمين القرآن فى الشعر مكروه [البرهان للزركشى ١/ ٤٨٣] مما يؤكد أن الثعالبى وقد تجاوز - كما سنرى كل هذه التحفظات التى صدرت من معاصريه واستمرت بعده بقرون - كان يتمتع بجرأة فكرية ورؤية عملية جعلته يعتمد التطبيق ويثق به أكثر مما يستسلم للتنظير . وأعنى بالتطبيق إبداعات المنشئين من الخطباء والكتّاب والشعراء الذين دأبوا على الاقتباس من نصوص القرآن الكريم فى خطبهم ورسائلهم وأشعارهم منذ عصر الرسول ﷺ إلى وقتنا الحاضر ومرورًا - بطبيعة الحال - بعصر الثعالبى . فهذا القدر الهائل من الإبداعات المطعّمة بنصوص القرآن الكريم هو - دون شك - الذى ثبّت قدم الثعالبى ليمضى فى كتابه على الرغم من المعارضة النظرية من جانب بعض رجال الدين وعلماء الكلام .

هذه الجرأة التى تجلّت فى قبول التصدى لموضوع الكتاب تتجلّى **كذلك فى اختيار المصطلح الذى جعله عنوانا عليه** ، ثم - وهذا هو الأهم - فى توسيع مدلوله . . جاء فى (البرهان) للزركشى فى حديثه عن الاقتباس : «وسمّاه القدماء تضمينا ، والمتأخرون اقتباسًا . وسمّوا ماكان من شعر تضمينا » [البرهان ١/٤٨٣] .

وليس واضحا على وجه التحديد موقع الثعالبى من هذه القسمة إلى (قدماء) و (متأخرين) وإن كان يبدو لى أنه من متأخرى القدماء ومتقدمى المتأخرين ، لكن المهم هو أن الاستقطاب فى مدلول المصطلحين لم يكن بهذا الوضوح والتحديد الذى ورد عند الزركشى ، يكفى أن نجد (التضمين) مستعملا فى الاستمداد من القرآن والحديث عند أعلام القرنين السادس والسابع ، كابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) وابن أبى الإصبع (ت ٦٥٤ هـ) [انظر : المثل السائر ٢/ ٣٤١ وتحرير التحبير ١٤٠] ، بينما استعمله ابنُ خلَف الكاتب - وهو سابق عليهما (ق ٥، ٦ هـ) - متعلّقا بأخذ الأبيات النادرة من أشعار الغيـر [مواد البيان ص ٣٥٤] ، فى حيـن ذهب ابنُ النقيب - [وهو متأخر عن الثلاثة (ت ٦٩٨ هـ)] - إلى استعمال الاقتباس بمعنى الأخذ من كلام الغير وشعره [مقدمة تفسير ابن النقيب ٢٤٠، ٢٤١] ، فهو عنده غير متعلق بالأخذ من نصوص القرآن .

على الرغم من ذلك شاع مصطلح (الاقتباس) لدى أعلام المتأخرين فعلا ، كـــالخطيب القزوينى (ت ٧٣٩ هـ) والزركـشى (ت ٧٩٤ هـ) وابن حجة (ت ٨٣٧ هـ) والسيوطى (ت ٩١١ هـ) وابن معصوم (ت ١١٢٠هـ). **وقد استُعمل عندهم متعلقا بالأخذ من القرآن وزاد بعضهم الأخذ من الحديث النبوى أيضا** ، وإن بقى البعض على كراهيته

له ، كالبهاء السبكى فى (عروس الأفراح) [الإتقان للسيوطى ٣١٦/١] .

أما وجود كتاب كامل يعالج عملية الأخذ من القرآن الكريم - بصرف النظر عن المصطلح المستخدم - فلم يقع لى قبل الثعالبى ، وإن حملت كتب التراجم اسم كتاب **(انتزاعات القرآن)** للعميدى (ت ٤٣٣ هـ) [الإرشاد لياقوت ٢٣٤٩/٥] ، واسم كتاب **(تضمين الآى)** لأبى العلاء المعرّى (ت ٤٤٩) [الإرشاد ٣٢٩،٣٢٨/١] وبالنسبة للعنوان الأول فقد ورد عند الثعالبى قوله وهو يتحدث عن كتابه : «وضمنته من محاسن انتزاعاتهم [يعنى انتزاعات الأدباء من القرآن] وبدائع اختراعاتهم . . . إلخ.

[الاقتباس ٣٨/١] .

أمّا عنوان (تضمين الآى) - وهو بالفعل نمط من استخدام عبارات القرآن فى سياق الإنشاء البشرى - فقد ورد (حسن التضمين) من قبل عند ابن المعتزّ ، ولكنه عنده - وعند كثيرين غيره - متعلق بالشعر ، **مما يثبت دعوانا فى عدم وضوح حدّ زمنىّ لاستخدام كلّ من (التضمين) و (الاقتباس) فى معنى الأخذ من القرآن الكريم ، كما يثبت نفس الدعوى بقيام التداخل بين مدلولى المصطلحين** اللذين تعلّق كلّ منهما - بنسب متفاوتة - بالأخذ من الشعر والأخذ من القرآن ، وإن كان اختصاص (الاقتباس) بالقرآن أوضح كثيرا من اختصاص (التضمين) به .

معنى هذا أن من الراجح أن الثعالبى عندما شرع فى تأليف كتابه - فى العقد الأخير من القرن الرابع على الأرجح - كان إمام نفسه فى استخدام المصطلح متعلقا بالأخذ من القرآن الكريم ، ثم فى توسيع مدلوله ليشمل الاقتباس من الحديث إلى جانب الاقتباس من القرآن ، وليقع المقتبَسُ فى كل أنواع الإنشاء القولى من مختلف فنون النثر وأغراض الشعر وفى الحديث النبوى أيضا - أى أن الرسول (ﷺ) كان يقتبس فى حديثه من

القرآن الكريم كما أن الأدباء - بدورهم - كانوا يقتبسون من الحديث فى إنتاجهم أى أن الحديث كان فى البداية هدفًا أو مستقرًا للاقتباس من القرآن ، كما أصبح بعد ذلك مصدرًا يُقتَبَس منه فى كلام الأدباء .. وذلك ما أخذ به الثعالبى فى كتابه وتابعه عليه اللاحقون بعده .

لقد عرّف الخطيب القزوينى (ت ٧٣٩ هـ) الاقتباس بأنه: « أن يُضمَّن الكلامُ شيئًا من القرآن أو الحديث ، لا على أنه منه » [الإيضاح ص ٤١٦]، **وإلى نفس المنحى تقريبا ذهب ابنُ حجّة (ت ٨٣٧هـ) ، فعرّف الاقتباس بأنه :** « أن يضمن المتكلمُ كلامَه كلمةً من آية .. أو آية من آيات كتاب الله خاصة . هذا هو الإجماع » ثم قال : « ومنهم مَنْ عدّ المضمَّنَ فى الكلام من الحديث النبوىّ اقتباسًا ، وزاد الطِّيبِىُّ ... فى الاقتباس من مسائل الفقه » [خزانة الأدب لابن حجة ص ٤٤٢ ، ٤٤٣] .

أما السيوطى فقد عرف الاقتباس بأنه: «تضمين الشّعر أو النثر بعض القرآن - لا على أنه منه - بأن لايقال فيه : قال الله تعالى ، فإن ذلك حينئذ لايكون اقتباسًا » [الإتقان :١/٣١٤ وانظر : أنوار الربيع ٢/٢١٧] .

والواقع أن تعريف الخطيب القزوينى أرحبُ وأكثر تلاؤمًا مع ما سبق إليه المسلك التطبيقى عند الثعالبى ، إذ لم يحدّدْ القزوينى قدرًا معينا يقع فيه الاقتباس ، ولفظه كما جاء فى تعريفه: « أن يضمَّن الكلامُ شيئا من القرآن أو الحديث »، فهو من ناحية قد ترك حجم المقتَبَس دون تحديد ، ومن ناحية أخرى سلك الحديثَ النبوى ضمن النصوص التى يقع فيها الاقتباس .

وتميّز ابن حجة ببعض التفاصيل فى الموضوع ، منها :

نظرة أخلاقية إلى الظاهرة ، فالاقتباس من القرآن «عنده على ثلاثة أقسام : مقبول ومباح ومردود ، **فالأول** : ماكان فى الخطب والمواعظ

والعهود ومدح النبىّ ﷺ ونحو ذلك . **والثانى** : ماكان فى الغزل والرسائل والقصص . **والثالث** : على ضربين ، أحدهما مانسبه الله تعالى إلى نفسه ، ونعوذ بالله ممّن ينقله إلى نفسه . . . والآخر تضمين آية كريمة فى معنى هزل ، ونعوذ بالله من ذلك » . [خزانة الأدب ٤٤٢]

كما نجد لديه حديثا عن مدى **التصرّف فى معنى المقتَبَس** ، يقول :

« واعلم أن الاقتباس على نوعين : نوع لايخرج به المقتبِس عن معناه ، كقول الحريرى : (فلم يكن إلاّ كلمح البصر أو أقرب حتى أنشد فأغرب) فإن الحريرى كنى به عن شدّة القرب ، وكذلك هو فى الآية الشريفة . ونوع يخرج به المقتبس عن معناه كقول ابن الرومى :

لئنْ أخطأتُ فى مَدْحِيـ ـكَ ما أخطأتَ فى منعى

لقد أنزلتُ حاجاتى بـوادٍ غـيـر ذى زرْع

فإن الشاعر كنى به عن الرجل الذى لايرجى نفعه ، والمراد به فى الآية الكريمة أرض مكة شرّفها الله وعظمها » [الخزانة ٤٤٢ ، ٤٤٣] .

كذلك نجد حديثا عن مدى التصرّف فى لفظ المقتَبَس ، يقول : «ثم اعلم أنه يجوز أن يغيّر لفظ المقتَبس منه بزيادة أو نقصان ، أو تقديم أو تأخير ، أو إبدال الظاهر من المضمر أو غير ذلك . . . ومن هنا يتبيّن لك قطع نظرهم فى الاقتباس عن كونه نفس المقتبَس منه ، ولولا ذلك للزمهم الكفر فى لفظ القرآن والنقص منه ، ولكنهم يأتون به لا على أنه لفظ القرآن » [الخزانة ٤٤٣] .

لقد أثار ابن حجة فى حديثه السابق – فضلا عن تعريف الاقتباس – أثار مجموعة من الأسس المتعلقة بهذه الظاهرة ، هى :

- عملية الاقتباس فى ذاتها : المقبول منها والمباح والمردود .
- مصدر الاقتباس – أى الجزء المقتبَس – وقد ذكر ثلاثة أنواع هى : القرآن ، الحديث ، مسائل الفقه .

- الجزء المقتبس بين إبقائه على معناه الذى له فى الأصل أو التصرّف فى هذا المعنى .
- الجزء المقتبس بين الاحتفاظ بلفظه كما هو أو إحداث ألوان من التصرّف فيه .

ونحن نلاحظ أنه رغم الفارق الزمنىّ البعيد بين الثعالبى (ت ٤٢٩ هـ) وابن حجة (ت ٨٣٧ هـ) والذى يزيد على أربعة قرون . . فإن الأسس التى قرّرها ابنُ حجة وعددٌ من المتأخرين ، السابقين عليه واللاحقين، قد وردت - أو رُوعيت - على نحو أو آخر فى كتاب الثعالبى - سواء فى حديثه النظرى أو فى المقتبسات التى اشتمل عليها كتابه - وأوضح ما نلقاه من ذلك جَعْلُه الاقتباس فى القرآن - صراحة - وفى الحديث النبوى دون النصّ عليه فى العنوان ، ثم حديثه - فى الباب السادس عشر - عن (الاقتباس المكروه) [٢/٥٧] .

ولاشك أن صور التصرّف فى المقتبسات التى وردت بوفرة فى أمثلة الثعالبى هى التى لفتت اللاحقين إلى **جعل الاقتباس على نوعين** : نوع لايخرج به المقتبس من معناه . . وآخر يخرج به المقتبس عن معناه . كما لفتتهم أيضا إلى ماقرروه من **جواز التغيير فى لفظ المقتبس** بالزيادة أو النقصان أو التقديم والتأخير أو التبديل [انظر خزانة الأدب لابن حجة ٤٤٣ ، ٤٤٥] ، كما أنّ تقسيم اللاحقين الاقتباس إلى مقبول ومباح ومردود [ابن حجة ٤٤٣] ، مرجعه - دون شك - حديث الثعالبى عن **(الاقتباس المكروه)** الذى يشير - منطقيا - إلى القسم الآخر ، وهو المقبول أو المستحسن ، وهو القسم الأكبر الذى قامت عليه مادة الكتاب ووُكل إليه تحقيق هدفه .

هذه كلمة عن كتاب الثعالبى (الاقتباس من القرآن الكريم) : موضوعِه، وبناءِ تأليفه، ومادّتِه، والغرض منه، ثم تأثيره فى لاحقيه ممن

تعرّضوا لنفس موضوعه. وهى كلمة - على طولها فى الظاهر - قصيرة بالقياس إلى ما يستدعيه الكتاب ومايثيره من مسائل وقضايا لعلّ أخطرها وأكثرها جاذبيّة هى عملية الاقتباس ذاتها - دوافعها وحركتُها ثم ناتجها - مما تردد الحديث عنه فى العقود الأخيرة - وما يزال - تحت اسم التّناصّ أو تفاعل النصوص intertextuality .

لقد كان إيماننا بقيمة الكتاب وآفاق الإفادة المؤكّدة منه وراء العمل على تقديمه لأبناء الثقافة العربية بعامة ، ولك أنت - عزيزى قارئ الذخائر - بصفة خاصة .

عبد الحكيم راضى

محققا الكتاب

قام بتحقيق هذا الكتاب أستاذان من العراق الشقيق

الأستاذة الدكتورة ابتسام مرهون الصفّار

* تخرّجت فى كلية الآداب - جامعة بغداد .
* حصلت على الماجستير والدكتوراه فى الآداب من جامعة القاهرة .
* عملت أستاذة للأدب العربى بجامعة بغداد .
* تعمل حاليا بجامعات الأردن .
* لها العديد من المؤلفات والتحقيقات .

من مؤلفاتها :

- التعابير القرآنية والبيئة العربية فى مشاهد القيامة - بغداد .
- أثر القرآن فى الأدب العربى فى القرن الأوّل الهجرى بغداد- ١٩٧٦
- زياد الأعجم شاعر العربيّة فى خراسان بغداد- ١٩٧٦

من تحقيقاتها :

- تحفة الوزراء للثعالبى (تحقيق بالاشتراك) - بغداد .
- عمدة الكتاب للزجّاجى .
- الاقتباس من القرآن الكريم للثعالبى (تحقيق بالاشتراك) .

الأستاذ الدكتور مجاهد مصطفى بهجت :

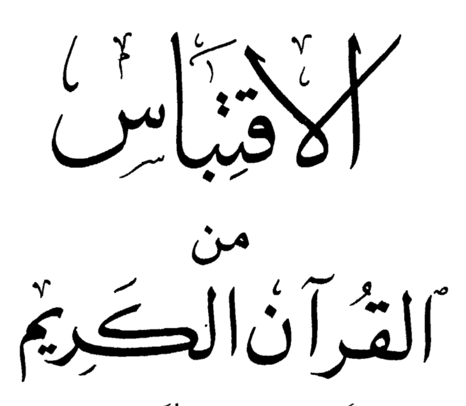
* أستاذ الأدب العباسى بكلية التربية جامعة بغداد (سابقًا)
* يعمل حاليًا فى ماليزيا .

من مؤلفاته :

- التيّار الإسلامى فى الشعر العباسى - بغداد ١٩٨٢ .
- شعر الشافعى - الموصل ١٩٨٦ .
- شعر عبد الله بن المبارك .
- المكتبة الشعريّة فى العصر العبّاسى - عمان ١٩٩٤ .
- شارك فى تحقيق كتاب (الاقتباس من القرآن الكريم) للثعالبى .

تصويب لبعض الأخطاء
أجرته (الذخائر)

الجزء	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١	٣٩	٨	أفصح العرب لهجة وأعذبهم عذْبة	وأعذبهم عذّبة
١	٦٣	٢	مستصحف الرأى مقلّ عديم	مستحصِف الرأى
١	٩٨	٢هـ	منك فى كربلاء قتيلا شهيد	معك فى كربلا
١	١٥٩	٣	فهذا اسم الذئب الذى يأكله	الذى لم يأكله
١	١٥٩	١١	فأخلق به ألاّ تلقنه ويحتّج به	فأخلق به أن تلقنه
١	١٧١	٥	إذا اطّرد المقياس أن تمسّحا	أن يتسمّحا
١	١٩٩	١١	يابنىَ أحيى لياليك بالنظر	أحى لياليك
١	٢١٠	٥	إلاّ أن الله هو الربّ	ألا إنّ الله
١	٢١٠	١١	وكان يلقب بالنفس	كان يلقّب بالقّسّ
١	٢١٤	٥	وحفظ على الدنيا ظلمه	ظلّه
١	٢٢٩	٥	ساسان أم قبله سابور	أم أين قبله سابور
١	٢٤٦	٩	المنّ يهدم الصنعة	يهدم الصنيعة
١	٢٨٩	٢٢	فى لمع من صفاته عن ذكره	عزّ ذكره
٢	٧	٧	يالقوم لضعفه ولكيْده	لضعفه ولكيْدِ
٢	٩٠	٨	علوقة خيلهم	عَلوقَة خيلهم
٢	٨٣	٣	ولاينقضى ولا يبرم	ولا ينقض
٢	١٠٧	٣	وسفرت السّهام من القس والأحداق	بين القسىَ
٣	١٠٩	٣	وإلزامهم المذنب فى هلاكهم	إلزامهم الذنب
٢	١٦٦	٨	أرى ناسا ومحصولى على غنم	أرى أناسًا
٢	١٦٨	٨	يامن صناعته إلى العلى	يامن صناعته الدعاء إلى العلى
٢	١٧١	٤	إذا قلت هات نوّلينى تمايلت	إذا قلت هاتى
٢	١٧٣	٩	ذكره حشو قلبه	ذكرك حشو قلبه
٢	١٧٦	٩	عزمات يضئن واجية الخطب	داجية الخطب



لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي
٣٥٠ - ٤٢٩ هـ

الجزء الأول

تحقيق

الدكتورة
ابتسام مرهون الصفار
الأستاذة بجامعة بغداد

المقدمة

الثعالبى

لا نظن القارئ بحاجة إلى تعريف بالثعالبى فهو من الشهرة بمكان يغنى محقق كتبه عن كتابة تفصيل عن حياته فى مقدمة ما ينشر .

ويكفى أن نذكر فقط أنه أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، المولود فى نيسابور سنة ٣٥٠ هـ ، والمتوفى سنة ٤٢٩ هـ[١] . وأن لقبه الثعالبى إما نسبة إلى مهنة خياطة جلود الثعالب أو الشغل بفرائها ، وهى مهنة امتهنها بعض أهله فتلقب بها .

ولا نعنى بالتعريف به سلسلة النسب أو سيرة حياته الشخصية فهاتان المعرفتان مما تفتقد إليهما سيرة الثعالبى نفسها ، إذ لا تجد فى تراجم من كتب عنه توضيحاً لجوانب حياته الأولى ، وكل ما تجده إشارات عابرة لا تختلف عما يذكر عن الأدباء والشعراء عامة ، وهى لا تختلف عما يذكر عن متوسطى الثقافة والمال ؛ الانخراط مع الصبيان فى الكتاب[٢] ، أو الاشتغال بمهنة تعليم الصبيان نفسها . إلا أن كتبه أفادتنا كثيراً من خلال ملاحظاته العابرة التى أنارت بعض الجوانب المتعلقة بنضجه الفكرى والأدبى . فقد ذكر مؤدباً له علمه الشعر واللغة[٣] ، وأشار إلى علاقاته بأصدقائه من الأدباء أو

---

(١) زهر الآداب ٣١٢ / ٥٠٢ ، معاهد التنصيص ٣ / ٢٦٦ ، دمية القصر ٢ / ٢٢٦ وفيات الأعيان ٣ / ١٨٠ ، شذرات الذهب ٣ / ١٤٦ ، العبر فى خبر من غبر / ١٤٦ .

(٢) دراسة توثيقية ٢٤١ .

(٣) اللطف واللطائف : ٢٩ ، القاهرة ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م وهنا اختلف الباحثون فى تحديد الخبر الوارد لأن الأبيات التى أوردها الثعالبى قالها فى مؤدب علمه الشعر واللغة ، فهل هو مؤدب خاص انتدبه أهله له لتعليم ابنهم أم (ملاحظات ص ٢٠٣) إنه أحد معلمى الكتاتيب علق شخصه فى ذهن الثعالبى فذكره فى أبيات معظما مكانته . وقد ذهب الأستاذ هلال ناجى إلى استنتاج مفاده أن الثعالبى لم يكن من عائلة فقيرة أو متوسطة الحال إنما من عائلة غنية انتدبت مؤدبا لتأديب ابنها عبد الملك ، بينما رأى آخرون أنه كان من أسرة فقيرة الحال دفعت =

رجال الدولة من الأمراء والوزراء .

لقد كان للشخصيات السياسية والثقافية التى اتصل بها الثعالبى أثرها الكبير فى حياته وأدبه . وهو لم يتجاوز مايمكن أن يشاع حول أدبائنا ومفكرينا القدماء ، من كونهم يتصلون بالملوك والأمراء طلبا للعطاء والهدايا . تجاوز الثعالبى هذه الصلة من خلال علاقاته الوطيدة التى ربطته بهذه الشخصيات والتى يبدو إعجابه بها من خلال ما نقله عنهم ، وأنهم كانوا يبادلونه الحب والإعجاب ، فمعظمهم إن لم يكونوا أدباء وشعراء حقاً فهم مثقفون يتصيدون الأخبار النادرة ويتبادلون الأشعار ، ويجمعون الأدباء والشعراء ليس تحقيقاً للمنافسة السياسية فحسب ، بل لأن معظمهم من المولعين بالأدب حقاً ؛ لذا نجد إطراء الثعالبى لهم إطراء ينسجم مع مانهل فى مجالسهم من زاد المسامرات ، وحصيلة المجالس الأدبية الشيقة التى جمعت أدباء العصر كأبى الفتح البستى ، وأبى بكر الخوارزمي ، وبديع الزمان الهمدانى ، وغيرهم كثير[٤] .

فأبو الفتح البستى الوزير الأديب الشاعر : على محمد الحسين المتوفى سنة ٤٠٠ هـ[٥] ، ترجم له الثعالبى ترجمة طويلة ، وذكر كثيراً من أشعاره ، وغرر أقواله[٦] ، وأهدى إليه كتابه أحسن ما سمعت[٧] . وكانا يتبادلان الأشعار كقول البستى فى الثعالبى :

قلبي مقيم بنيسابور عند أخ	ما مثله حين تستقرى البلاد أخ
له صحائفُ أخلاق مهذبة	منها الحجى والعلى والظرف تُنتَسخ[٨]

ونقل الثعالبى كثيراً من أخبار تلازمهما ومصاحباتهما إذ كانا يتبادلان الأحاديث والمسامرات فقد ذكر فى كتابه تحفة الوزراء خبراً ورد فيه : « وقال لى يوماً أبو الفتح البستى بنيسابور ، وقد أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا : ماأحوج الأمير سيف الدولة يعنى السلطان المعظم يمين الدولة وأمين الملة ـ أعزّ الله تعالى أنصاره ـ لأنه كان

= به إلى الكتاتيب فى نيسابور ليتلقى العلم مستفيدين من النص منه . دراسة توثيقية ص ٢٤١ .

(٤) راجع مصادر الثعالبى فى كتابه (يتيمة الدهر) فى مجلة المجمع العلمى العراقى العدد ١٤ المجلد ٣٢ بغداد سنة ١٩٨١ م .

(٥) وفيات الأعيان ٣ / ٣٧٦ ، ٣٧٨ .

(٦) خاص الخاص ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٧) يتيمة الدهر ٢ / ٢٤٢ ، وانظر ديوان البستى ٢٤١ ، ٢٧٥ ، ٣١١ .

(٨) يتيمة الدهر ٢ / ٢٤٢ .

إذ ذاك صاحب الجيش للأمير نوح بن منصور الساماني رضى الله عنه ويلقب بسيف الدولة . إلى وزير كما أنشدتني لنفسك » :

كُتبُ الأمير كتائب في المعركه والرأى منه طبيب رأى المملكه

وإذا رأى بالظن خطباً مشكلا أضحت ستور الغيب عنه مهتكه

ومنجم كما أنشدتني لنفسك :

صديق لنا عالم بالنجوم يحدثنا بلسان الملك

ويكتم أسرار سلطانه ولكن ينمُّ بسر الفلك(٩)

وأما أبو بكر الخوارزمي فقد ذكر بعضهم تلمذته عليه(١٠) ، واكتفى اخرون بالحكم على أنه درس الأدب معه ، وأنه كان مصدراً رئيساً من مصادر معلوماته(١١) .

واتصل الثعالبى بنيسابور بالأمير أبى نصر أحمد بن على الميكالى وفتحت هذه الصلة له أبواب المجد على مصاريعها ، لأنها يسرت له الاطلاع على المكتبة الضخمة للأمير أبى الفضل عبيد الله الميكالى أحد أبناء الأمير المذكور ، ووجد فيها أجواء طيبة ورعاية عالية استطاع أن يبدع فى ظلالها(١٢) ، وأن يكتب للعربية كتبا خلدته وخلدت ماسطر من أخبار وأشعار وطرائف . وكثيرا ماذكر الثعالبى صديقه الأمير أبا الفضل الميكالى هذا بكل مايوحي بالحب والمودة والإعجاب بأدبه وعلمه ، وقد أكثر من الاقتباس والتمثيل برسائله مبدياً إعجابه به ، وتقديره لأدبه . وضمن كتابه اليتيمة اقتباسات من أشعاره ونثره(١٣) . وذكره أيضاً فى ثمار القلوب وتمثل بأشعاره(١٤) . وأهدى له أكثر من خمسة من آثاره الأدبية :

ــ فضل من اسمه الفضل(١٥) .

ــ برد الأكباد فى الأعداد كتبه لأبى الفضل بعد أن نكب هو وأخوه أبو إبراهيم ، وطردا من منصبيهما ، ثم استردا ملكيتيهما سنة ٤٢١ هـ بشفاعة أحد القضاة(١٦) .

---

(٩) تحفة الوزراء ٤٧ / ٤٨ .
(١٠) يتيمة الدهر ٢ / ٢٤٢ .
(١١) راجع ملاحظات عن سيرة الثعالبى . مصادر الثعالبى ــ مجلة المجمع العلمي العراق عدد ١٤ مجلد ٣٢ / ١٩٨١
(١٢) اليتيمة ٣ / ٢٤٠ .
(١٣) الجزء الرابع من اليتمية ترجمة الميكالى .
(١٤) ثمار القلوب : ٣ ، سحر البلاغة ، ط . أحمد عياد دمشق ، فقه اللغة ، تتمة اليتيمة ١ / ٨٩ .
(١٥) اليتيمة ٤ / ٤٣٣ .
(١٦) ملاحظات عن سيرة الثعالبى ٢١٥ .

ـــ فقه اللغة وسر العربية[17] .

ـــ ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب[18] .

ـــ خصائص البلدان[19] .

ـــ سحر البلاغة[20] .

وقد صرح الثعالبى بما لا يقبل الشك من أنه كانت بينه وبين الميكالى صداقة وطيدة أساسها المودة والإخاء لا المنصب السياسى أو الجاه الاجتماعى ، لذلك اقتبس الثعالبى كثيراً من أقوال الميكالى وتعليقاته فى معظم كتبه بما فى ذلك الكتب التى أهداها لغيره مثل خاص الخاص ، والإيجاز والإعجاز .

ونجد فى مراسلات الميكالى للثعالبى من ناحية أخرى صدى لهذه الصداقة فالحصرى ينقل فى إحدى رسائل الميكالى التى يذكر فيها تشوقه ولهفته للقائه ومحادثته :

« . . كتابى وأنا أشكو إليك شوقاً لو عالجه الأعرابى لما صبا إلى رمل عالج ، أو كابده الخلىُّ لانثنى على كبد ذات حرق ولواعج ، ولذم زمانا يفرق فلا يحسن جميعا . . »[21] .

وقال الميكالى أشعاراً فى الثعالبى وهى مما ينقلها الأخير فى الترجمة التى خصها للميكالى فى كتاب اليتيمة ، فقد أورد الثعالبى أبياتاً للميكالى قال عنها بأنها مما قالها فى مؤلف الكتاب .

أخ لـى أمـا الـودّ منـه فـرائـدٌ ... وألـفـاظـه بين الحـديث فـرائـد

إذا غاب يوما لم ينب عنه شاهد ... وإن شهد ارتاحت إليه المشاهد[22]

وحين ذهب الثعالبى إلى جرجان اتصل بالامير شمس المعالى قابوس بن وشمكير ، وكان من جملة ما ألف وأهدى لهذا الأمير كتابان : المبهج[23] والتمثيل والمحاضرة[24] .

وحين عاد إلى نيسابور اتصل بالأمير أبى المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين[25]

---

(17) فقه اللغة : مقدمة الكتاب : 29 .

(18) بروكلمان 1 / 338 ، الملحق 1 / 500 .

(19) دراسة توثيقية 268 .

(20) يتيمة الدهر 2 / 234 .

(21) زهر الآداب 1 / 501 .

(22) يتيمةالدهر 4 / 375 .

(23) الإيجاز والإعجاز : 122 وراجع مقدمة المبهج .

(24) مقدمة التمثيل والمحاضرة .

(25) هو أبو المظفر نصر بن ناصر الدين صاحب الجيش وهو أخو ابن القاسم محمود بن سبكتكين الغزنوى ت 389 هـ وقد ذكره الثعالبى فى لطائف المعارف 205 ، وانظر معجم الأسرات الحاكمة ص 8 .

صاحب الجيش وأهدى إليه :

ـــ الاقتباس من القرآن الكريم .

ـــ المتشابه = أجناس التجنيس(٢٦) .

ـــ غرر السير(٢٧) .

ومن الذين اتصل بهم الثعالبى ، وكان له الأثر الكبير فى حياته الأمير خوارزمشاه أبو العباس مأمون بن مأمون الذى اتصل به الثعالبى وتوطدت صلته به وذكره فى أكثر من كتاب . قال الثعالبى فى مقدمة كتابه نثر النظم ، واصفاً أيامه وأفعاله وأقواله : « أيام مولانا الملك المؤيد العالم العادل المسدد ، ولى النعم أبى العباس خوارزم شاه أدام الله سلطانه ، وحرس عزه ومكانه مواقيت الشرف والفضل ، وأوقاته تواريخ الكرم والمجد ، وساعاته مواسم الأدب والعلم ، وأنفاسه نعم وأقواله نغم ، وأفعاله سير ، وآثاره غرر وألفاظه درر ، ومعاليه تباهى النجوم ارتفاعاً ، ومكارمه تضاهى الجو اتساعاً ، ومحاسنه تبارى الشمس ظهوراً ، وفضائله تجارى القطر وفوراً ، فالله يديم جمال الزمان ببقائه ، وكمال العز والرفعة ببهائه(٢٨) .

وذكره فى مقدمة كتاب الكناية ، والتعريض باسمه الكامل : « عونك اللهم على شكر نعمتك فى ملك كملك ، وبحر فى قصر وبدر فى دست ، وغيث يصدر عن ليث ، وعالم فى ثوب عالم ، وسلطان بين حسن وإحسان :

لولا عجائب صنع الله ما نبتت تلك الفضائل فى لحم ولا عصب

هذه صفة تغنى عن التسمية ، ولا تحوج إلى التكنية إذ هى مختصة بمولانا الأمير السيد المؤيد ، ولى النعم أبى العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه مولى أمير المؤمنين أدام الله سلطانه »(٢٩) .

وقد ذكر البيهقى ترجمة خوارزم شاه مأمون بن مأمون مع بعض أخباره مع الثعالبى فقد نقل البيهقى فى تاريخه عن كتاب مسامرة خوارزم لأبى الريحان البيرونى ترجمة

(٢٦) أجناس التجنيس : المقدمة ـــ تحقيق إبراهيم السامرائى العدد العاشر من مجلة كلية الآداب ١٩٦٧ .

(٢٧) بروكلمان الملحق ١ / ٥٨١ وقد أنكر بروكلمان وكايتانى نسبته إلى الثعالبى . ولكن روزنثال وزوتنبرغ وبوسورث أيدوا نسبته إليه . انظر بوسورث ترجمة لطائف المعارف عن ملاحظات عن سيرة الثعالبى .

(٢٨) رسائل الثعالبى

(٢٩) الكناية والتعريض : ١ . وانظر تحفة الوزراء : ٣٠ .

خوارزم شاه ووصفه بأنه كان آخر أمراء أسرته إذ انتهت بوفاته دولة المأمونين ، وأنه كان رجلا فاضلا شهماً نشيطاً أديباً يرعى الأدباء والعلماء ثم ينقل خبر (البيرونى) عمَّن حدثه عن الثعالبى يحكى فيه حديثاً جرى بينه وبين خوارزم شاه فيصف الثعالبى بقوله : « وكان قد رحل إلى خوارزم شاه فترة ، وألف باسمه كتباً كثيرة سمعته يقول كنا ذات يوم فى مجلس الشراب نتحدث فى الأدب فجرى الحديث »[30] .

وقد أورد الثعالبى نفسه خبراً ذكر فيه أن خوارزم شاه اقترح عليه أن يقول شعراً فى خوارزم فقال :

لله برد خوارزم إذا كلبت — أنيابه وكست أبداننا الرعد[31]

وقد أهدى الثعالبى لخوارزم شاه مأمون بن مأمون مؤلفاته التالية :

- النهية فى الطرد والغنية[32] .
- اللطائف والظرائف[33].
- نثر النظم وحل العقد[34].
- الملوكى[35] .

وهيأ له هذا الأمير فرصة التعرف بالوزير أبى عبدالله الحمدونى وزير خوارزم شاه وأهدى إليه كتاب تحفة الوزراء حين قال : « وبعد فإنى حين خدمت مولانا ملك الزمان وفريد العصر والأوان خوارزم شاه ثبت الله ملكه ، وجعل الدنيا كلها ملكه بالكتاب المسمى بالملوكى خطر لى أن أخدم وزيره الأعظم ومشيره الأفخم أبا عبد الله الحمدونى بهذا الكتاب فى سياسة الوزراء ، وإن كان مقامه الشريف مستغنياً عن ذلك لسلوكه تلك المسالك وإنما قصدت به استجداء مواهبه الجسام ، ومكارمه العظام ووسمته بتحفة الوزراء ... » .

هؤلاء هم أشهر الشخصيات التي أهدى إليها الثعالبى بعض مؤلفاته وهناك شخصيات كثيرة غيرها أهدى إليها كتبه الأخرى وكلها تدلنا على شخصية الثعالبى

---

(٣٠) تاريخ البيهقى : ٧٣٤ .

(٣١) خاص الخاص : ٢٤١ ، ٢٤٢ اليتيمة : ٤ / ٣٠٣ ، ٣٤٦ .

(٣٢) ملاحظات ص ٢٢١ .

(٣٣) مقدمة اللطائف ٦ / ١٨ طبعة عزة أفندى .

(٣٤) نثر النظم : ص ٢ .

(٣٥) ذكر إهداءه له فى تحفة الوزراء : ٣٨ ، وانظر : ملاحظات عن سيرة الثعالبى : ٢٢٦ .

وأدبه ، وإذا كانت هذه الشخصيات سياسية ولها أدوار إدارية فى الدولة فهذا أمر لا يهمنا بقدر ماتهمنا الصورة الطيبة التى رسمها الثعالبى لعلاقة بهم ، وهى صورة الصداقة الوطيدة والاحترام المتبادل التى لم يكن فيها الثعالبى أقل منزلة وكرامة من أولئك الذين خاضوا غمار السياسة والوزارة . وإذا كانت بعض هذه الأجواء لا تميل إلى العربية لغة تأليف وتخاطب وأدب فقد فرض الثعالبى شخصيته العربية حين ألف كل ما ألف بالعربية ، ولم يستهوه استعمال غيرها فى كل ماكتب ، فكان له دوره العظيم فى خدمة العربية وتسجيل مآثر معاصريه ممن كانت له إسهامات فى الشعر والنثر(٣٦) .

ونستطيع أن نعد الثعالبى محظوظاً في حياته وبعد وفاته ولا نريد بالحظ إلا توافر سبل الشهرة والخير له .. فقد عرف معاصروه من الأدباء والمفكرين ورجال السياسة قدره ، وتلقوه بالإكرام حتى إذا توفاه الله بقيت كتبه متداولة بين الناس .. ولم يصبها ما أصاب كتب غيره من الأدباء والمؤلفين ممن لم يقلوا عنه شهرة وأدبا ، لقد ضاعت كثير من مؤلفات مفكرينا القدماء ، واندثرت إلاّ بقايا أسماء ذكرت فى تراجمهم ؛ ونظرة سريعة إلى فهرست ابن النديم ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموى أو كشف الظنون أخيراً تدلنا على ضخامة ماضاع وتبعثر من تراثنا العربى القديم . أما الثعالبى فقد شاء الله له أن تلقى كتبه رواجا أيام حياته وأن يبقى معظمها متداولاً سالما من عوارض الأيام والاندثار عبر القرون الطويلة حتى إذا ازدهرت حركة النشر والتحقيق فى عصرنا هذا كان نصيب الثعالبى وافراً من الدراسات الأكاديمية الجادة أولاً وفي جهود المحققين والناشرين ثانيا .

لقد كتبت عن الثعالبى أكثر من رسالة جامعية فى البلاد العربية وأبحاث جادة كثيرة كتبها عرب ومستشرقون بعضها تناولت حياته بالدرس والبحث وأخرى تناولت كتبه ومؤلفاته دراسة وتحقيقاً فكان منها ماكتبه بروكلمان فى دائرة المعارف الإسلامية ، وما كتبه بوسورث فى مقدمة اللطائف(٣٧) أو فى بحوثه الأخرى عن الغزنويين أو السامايين ثم دراسة الأستاذ عبد الفتاح الحلو كما أشار إليها فى مقدمة التمثيل والمحاضرة(٣٨) ، ودراسة الأخ الدكتور محمود الجادر (الثعالبى ناقداً وأديباً)(٣٩) . وأخيراً دراسة الأستاذ محمد

---

(٣٦) انظر ملاحظات عن سيرة الثعالبى : ٢٠٤ .

(٣٧) ترجمة بوسورث للطائف المعارف فى ادنبرة ١٩٦٣ م عن ملاحظات عن سيرة الثعالبى .

(٣٨) راجع مقدمة التمثيل والمحاضرة .

(٣٩) الثعالبى ناقدا وأديبا . بغداد ١٩٧٦ ص ٦٦ فما بعدها .

اشهبار عن يتيمة الدهر فى المملكة المغربية[٤٠]، وغير هذه الرسائل كتبت عنه دراسات جادة فى مقدمات كتبه المحققة مثل مقدمة إبراهيم الأبيارى وحسن كامل الصيرفى فى كتاب لطائف المعارف . ومقدمة ثمار القلوب ومقدمتى كتاب الاقتباس من القرآن الكريم ، وتحفة الوزراء[٤١]، ثم مقدمة الأستاذ هلال ناجى لكتاب الأنيس فى غرر التجنيس . وأخيراً هناك دراستان جادتان تناولتا مؤلفات الثعالبى ، الأولى دراسة د . قاسم السامرائى التى نشرها فى مجلة Bibiotheca Orintali فى عدد Juli سنة ١٩٧٥ وقد ترجمتها د . ابتسام مرهون الصفار عام ١٩٨٠ ونشرت فى مجلة المناهل المغربية ، العدد ١٨ ، السنة السابعة باسم « ملاحظات عن سيرة الثعالبى » والدراسة الأخيرة هى ماكتبه د . محمود الجادر باسم « دراسة توثيقية فى مؤلفات الثعالبى » التى نشرها فى مجلة معهد البحوث والدراسات العربية العدد الثانى عشر ١٩٨٣ . وقد ذكر فى هذه الدراسة أعداد كتب الثعالبى التى عنى محققو كتبه بإحصائها قائلاً : « ويبدو أن أوسع القوائم الحديثة كانت تلك التى عنى بها بعض محققى كتب الثعالبى بإدراجها فى مقدماتهم فقد جمع الأستاذ أحمد عبيد أسماء ستة وثلاثين كتابا فى مقدمته لكتاب سحر البلاغة ، وجمع الأستاذان إبراهيم الإبيارى ، وحسن كامل الصيرفى أسماء ثلاثة وتسعين كتابا فى مقدمتهما لكتاب لطائف المعارف . وقدم الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو أسماء أربعة وثمانين كتابا فى مقدمته لكتاب التمثيل والمحاضرة وجمعت الدكتورة ابتسام مرهون الصفار أسماء خمسة وتسعين كتابا فى مقدمتها لكتاب الاقتباس من القرآن الكريم أما فى مقدمتها لكتاب تحفة الوزراء فقد أوصلت العدد إلى واحد ومائة »[٤٢]. وأوصل الأستاذ هلال ناجى عدد مؤلفات الثعالبى إلى تسعة ومائة فى مقدمة « الأنيس فى غرر التجنيس »[٤٣]، أما الدكتور الجادر نفسه فقد ذكر فى دراسته عن « الثعالبى ناقداً وأديبا » ستة ومائة كتاب ثبت له منها خمسة وتسعون[٤٤]. أما فى دراسته التوثيقية فقد أثبت فى القائمة مائة وستين كتابا ثبت له منها مائة وثمانية ، وما سواها منسوب لغيره أو هى من كتبه التى سميت بأكثر من اسم واحد ؛ لذلك لا نجد هنا مسوغاً لإعادة ماكتب ، اللهم إلا سرد

---

(٤٠) دراسة تحليلية لكتاب يتيمة الدهر سنة ١٩٧٩ .

(٤١) الاقتباس من القرآن الكريم : ص ١٠ فما بعدها ، تحفة الوزراء ص ٢ فما بعدها .

(٤٢) دراسة توثيقية ص ٢٤٦ .

(٤٣) الأنيس فى غرر التجنيس : المقدمة ص ٣٨٥ ، ٣٩٤ مجلة المجمع العلمى العراقى جـ ١ فى المجلد الثالث والثلاثين ص ٢ .

(٤٤) الثعالبى ناقدا وأديبا : ٤٣ .

قائمة بأسماء مؤلفاته المطبوعة ثم المخطوطة فالمفقودة معتمدين على أحدث قوائم المؤلفات المذكورة أعلاه(٤٥).

مؤلفاته المطبوعة :

- أجناس التجنيس = المتشابه = التجنيس

طبع باسم المتشابه بتحقيق إبراهيم السامرائى فى مجلة كلية الآداب جامعة بغداد ، العدد العاشر ١٩٦٧ .

- أحسن ما سمعت = أحسن ما سمع = اللآلئ والدرر

طبع فى مصر طبعة محمد صادق عنبر ١٣٢٤ هـ ، مطبعة الجمهور، وطبع بترجمة ريشر فى ليبزج سنة ١٩١٦ .

- الإعجاز والإيجاز = الإيجاز والإعجاز = الإعجاز فى الإيجاز = غرر البلاغة وطرف البراعة = أحاسن كلام النبى والصحابة (مختصر الإيجاز والإعجاز) وطبع باسم الإعجاز فى الإيجاز ضمن مجموعة خمس رسائل سنة ١٣٠١ هـ بالقسطنطينية . وطبعه اسكندر آصاف فى مصر ١٨٩٧ هـ ، وطبع ببيروت فى دار صعب ودار البيان بالأوفسيت .

- الاقتباس من القرآن الكريم

القسم الأول بتحقيق د . ابتسام مرهون الصفار . بغداد ١٩٧٢ .

- الأنيس فى غرر التجنيس

تحقيق الأستاذ هلال ناجى فى مجلة المجمع العلمى العراقى . بغداد ١٩٨٢ المجلد الثالث والثلاثون .

- برد الأكباد فى الأعداد = الأعداد

---

(٤٥) ملاحظات عن سيرة الثعالبى : قاسم السامرائى ترجمة د . ابتسام مرهون ، مجلة المناهل العدد ١٨ لسنة ١٩٨٠ وقائمة د . محمود الجادر التى نشرها فى مقال دراسة توثيقية لمؤلفات الثعالبى ، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية العدد الثانى عشر ١٤٠٣ / ١٩٨٣ . وأخيرا قائمة الأستاذ هلال ناجى فى مقدمة التوفيق للتلفيق الذى حققه بالاشتراك مع د . زهير زاهد وطبع فى المجمع العلمى العراقى ١٩٨٥ .

القسطنطينية (مجموعة رسائل) سنة ١٣٠١ هـ وطبع فى النجف بالأوفسيت .

● تتمة اليتيمة

طبع بطهران مطبعة فردين ١٣٥٣ بتحقيق عباس إقبال .

● تحسين القبيح وتقبيح الحسن

تحقيق شاكر العاشور ١٩٨١ ضمن مطبوعات وزارة الأوقاف ونشره من قبل متسلسلا فى مجلة الكتاب العراقية ١٩٧٤ ــ ١٩٧٥

● تحفة الوزراء = سر الوزارة = السياسة

مطبوع بتحقيق ابتسام مرهون ، وحبيب الراوى بغداد ، وزارة الأوقاف ١٩٧٧ .

● التمثيل والمحاضرة = الأمثال (نسخة مكتبة الأحمدية هى التمثيل والمحاضرة) .

طبعت منتخبات منه ضمن أربع رسائل للثعالبى فى القسطنطينية سنة ١٣٣٢ هـ . وطبع سنة ١٩٦١ بتحقيق عبد الفتاح الحلو .

● التوفيق للتلفيق

تحقيق الأستاذ هلال ناجى ود . زهير زاهد مطبعة المجمع العلمى العراق سنة ١٩٨٥ م .

● ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب = المضاف والمنسوب

طبع الفصل الرابع مع مقدمة الكتاب فى مجلة المشرق ببيروت العدد ١٢ سنة ١٩٠٠ (الجادر) .

وطبع كاملا سنة ١٣٢٦ هـ بمصر ثم طبع بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم فى القاهرة ١٩٦٥ .

● خاص الخاص

تونس سنة ١٢٩٣ هـ . وطبع بالقاهرة بنشرة الشيخ محمد السمكرى سنة ١٣٢٦ وطبع ببيروت سنة ١٩٦٦ دار مكتبة الحياة .

● سحر البلاغة = لباب الآداب (منتخبات منه) = لباب الأدب = ملح البراعة

طبعت منتخبات منه فى القسطنطينية (أربع رسائل) . وطبع كاملاً بتحقيق أحمد عبيد فى دمشق (خلو من سنة الطبع) .

- الظرائف واللطائف = اللطائف والظرائف = الطرائف واللطائف = يواقيت المواقيت (مع المحاسن والظرائف فى كتاب واحد) .

مصر ١٢٧٥ هـ وبمصر أيضا سنة ١٣٠٠ و ١٣١٠ وباسم يواقيت المواقيت مصر ١٢٩٦ هـ وطبع فى القاهرة أيضا سنة ١٣٠٧ هـ وطبع على الحجر ببغداد ١٢٨٢ هـ باسم اللطائف والظرائف وطبع بطهران ١٢٨٦ هـ .

- غرر أخبار ملوك الفرس

باريس ١٩٠٠ بتحقيق زوتنبرك .

طهران ١٩٦٣ وذهب ناشره إلى أنه لأبى المنصور الميرغنى الثعالبى .

- فقه اللغة وسر العربية = سر العربية = فقه اللغة = باريس ١٨٦١ م .

مصر طبعة حجرية ١٢٨٤ هـ ، وبدون تحقيق فى مصر ١٨٨٠ وسنة ١٣٣٨ هـ . بيروت بتحقيق لويس شيخو اليسوعى ١٨٨٥ . القاهرة . النعسانى ١٩٠٧ . وطبع باسم سر الآداب بطهران ١٨٥٨ ، وطبع أيضا فى القاهرة ١٩٣٦ . وفى القاهرة أيضا بتحقيق إبراهيم الإبيارى ١٩٣٨ .

- الكناية والتعريض = الكنى = الكنايات = الكناية = النهاية فى الكناية

مصر ١٣٢٦ هـ مطبعة السعادة . بغداد بالأوفيست ١٩٧١ . مكة المكرمة ١٣٠١ . منتخبات منه مطبوعة فى القسطنطينية (أربع رسائل) دار صعب ودار البيان ببيروت بالأوفيست ضمن كتاب (رسائل الثعالبى) .

- اللطف واللطائف = لطائف الظرفاء = لطائف الصحابة والتابعين

طبع بليدن . وطبع بباريس بلا عنوان (عن الأستاذ هلال ناجى) . وباسم اللطف واللطائف بتحقيق د . عمر الأسعد . بيروت سنة ١٩٨٠ م . وطبعه د . قاسم السامرائى بليدن سنة ١٩٧٨ عن طريق تصوير المخطوط . اللطف واللطائف تحقيق د . محمود الجادر ط ١ دار العروبة للنشر الكويت سنة ١٩٨٤ .

● المبهج

منتخبات منه ضمن (أربع رسائل) القسطنطينية. وطبع بمصر ١٩٠٤ مطبعة النجاح .

● ما جرى بين المتنبى وسيف الدولة

لا يسلك ١٨٤٧

● مرآة المروءات وأعمال الحسنات = مرآة المروءة

مصر ١٨٩٨ م بدون تحقيق . وطبع بمصر أيضاً سنة ١٣١٨ هـ/ ١٩٠٠ م .

● المنتحل = المنتخل

مصر ١٣٢١ وبتصحيح أحمد أبى على .

● من غاب عنه المطرب = من أعوزه المطرب

القسطنطينية (ضمن مجموع التحفة البهية) مطبعة الجوائب . بيروت بتصحيح اللبابيدى ١٣٠٩ . وبتحقيق د . النبوى عبد الواحد شعلان . مكتبة الخانجى ١٩٨٤ .

● نثر النظم وحل العقد = النظم والنثر وحل عقد السحر = حل العقد

دمشق ١٣٠٠ / ١٣٠١ (وعلى هامشه الفرائد والقلائد) مصر ١٣١٧ . وطبع بالأوفيست بمطابع دار صعب ، دار البيان وبهامشه الفرائد والقلائد .

● نسيم السحر

طبع فى العدد الأول فى مجلة الكتاب . بتحقيق محمد حسن آل ياسين / ونشر بتحقيق د . ابتسام مرهون . فى مجلة المورد العدد الأول ١٩٧١ .

● النهية فى الطرد والغنية

مكة ١٢٠١ هـ . القاهرة ١٣٢٦ .

مؤلفاته المخطوطة والمفقودة :

● الآداب

مخطوط فى المدينة المنورة برقم ١١٧١ هـ ٧ أدب ، مخطوط الفاتيكان رقم ١٦٦٢ ، مخطوط عاطف أفندى ٢٢٣١ .

● الأحاسن فى بدايع البلغاء = الأحاسن من كلام البلغاء

مفقـــود .

● أحاسن المحاسن

مخطوط بباريس رقم ٣٣٠٦ .

● الأدب مما للناس فيه أرب

مفقـــود .

● إفراد المعاني

مفقـــود .

● ألف غلام = الغلمان

مفقـــود .

● أنس المسافر = أنس الشعراء

مفقـــود .

● أنس الوحيـد :

انفرد الأستاذ هلال ناجى بذكره وأن له نسخة خطية ببرلين برقم MS. OR. QU ٢٠٨٣ .

● الأنوار البهية فى تعريف مقامات سيد البرية

مفقـــود .

● الأنوار فى آيات النبى : (لعله نفس الكتاب السابق)

ذكر الأستاذ هلال ناجى أن هناك نسخة منه فى : MS . OR برقم ٢٠٨٣ .

● البراعة فى الكلم والصناعة = البراعة في التكلم بالصناعة

مفقـــود .

● بهجـة المشتاق

مفقـــود .

● تحفة الأرواح وموائد السرور والأفراح :

مفقـــود .

● تحفة الظرفاء وفاكهة اللطفاء

مخطوط بالمدينة المنورة مكتبة عارف حكمت برقم ١٥٤ .

● التدلي في التسلى

مخطوط فى مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة (٣١ مجاميع) .

● ترجمة الكاتب فى آداب الصاحب

مخطوط فى مكتبة أوغلو بتركيا ضمن مجموع . وذكر أحمد عبيد فى مقدمة سحر البلاغة أن فى مكتبته نسخة من الكتاب ، والكتاب يحققه د .محمد جبار المعيبد .

● التغزل بمائتى غلام = الغلمان

ذكر الأستاذ هلال ناجى أن هناك نسخة منه في برلين برقم ٨٣٣٤ .

● التفاحـــة

مفقـــود .

● تفضيل المقتدرين وتنصل المعتذرين

مفقـــود .

● تفضيل الشعر

مخطوط ضمن مجموع رقم ٩٤٠ حكيم أوغلو . تركيا .

- الثلج والمطر

مفقـــود .

- جوامع الكلم

مفقـــود .

- حشو اللوزينج

مفقـــود .

- خصائص البلدان

مفقـــود

وذكر الأستاذ هلال ناجى أن هناك قطعة منه في برلين يحققها الآن د . محمد المعيبد .

- خصائص الفضائل

مفقـــود .

- خصائص اللغـــة

انفرد بذكره د . قاسم السامرائي وأشار إلى نسخة منه في المكتبة الظاهرية برقم ٢٠٦ .

- الخوارزميـــات

مفقـــود .

- ديـوان شعـره

مفقـــود .

- زاد سفر الملوك

مخطوط فى جستربتى برقم ٥٠٦٧ (ذكر الأستاذ هلال ناجى أنه يعكف على تحقيقه) .

- سجع المنثور :

مخطوط فى معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم (١٠٥٥ ق ٤٩٥) نسخة في طوب قبو سراي بتركيا رقم ٢٣٣٧ .

- سر البلاغة وملح البراعة

مخطوط بدار الكتب رقم (٤ ش) .

- سر البيان = سحر البيان

مفقود ذكر د . محمد جبار المعيبد أن لديه نسخة يحققها (عن هلال ناجى) .

- سر الحقيقة

مخطوط في مكتبة فيض الله رقم ٢١٣٣ .

- سر الصناعة

مفقـــود .

- شعار الندماء

مفقـــود .

- الشوق = المشوق = المشرق

مفقـــود .

- صنعة الشعر والنثر

مفقـــود .

- طبقات الملوك

مفقـــود .

- الطرف من شعر البستي

مفقـــود .

- العشرة المختارة

ذكر هلال ناجى أن هناك نسخة منه في رامبور رقم ٣٧٥٨ (٣) .

● عمل فى الأدب

ذكره د . قاسم السامرائى فى بروكلمان ١ / ٥٠٢ (الملحق) .

● عنوان المعارف

مفقـــود .

● عيــون الآداب

مفقـــود

● عيون المعارف = عنوان المعارف

مفقود . ذكره الحلو في مقدمة التمثيل والمحاضرة .

● عيــون النوادر

مفقـــود .

● غرر البلاغة = غرر البلاغة وطرف البراعة

مخطوط في مكتبة بشير أغا أيوب برقم ١٥٠، برلين ٨٣٤١ ، كوبرلى ١٢٩٠ . المستحق البريطانى ٧٧٥٨ (ثالث ٦٣) بطر سبورغ ثان ٦٦٩ ، فيض الله ١٦٧٦ ، الفاتح ٣٥٤٣٢ .

● الفصول الفارسية

مفقـــود .

● الفصول في الفضول = الأصول في الفصول

مفقـــود .

● فضل من اسمه الفضل

مفقـــود .

● الفوائد والأمثال

مخطوط فى مكتبة عارف حكمت بالمدينة برقم (٥٢ قديم — ٣١ جديد) .

● قراضة الذهب

انفرد بذكره الأستاذ هلال ناجى وأشار إلى نسخة مخطوطة فى مكتبة بايزيد برقم (٣٢٠٧) . ونود أن نذكر أن لابن رشيق كتاباً مطبوعاً بهذا الاسم .

● لباب الأحاسن

مفقـــود .

● لباب الأدب = لباب الآداب . (كما ذكره بروكلمان)

مخطوط في المكتبة السليمانية بتركيا برقم ٢٨٧٩ .

● لطائف الظرائف = ولعله لطائف الصحاب أو لطائف الظراف (بروكلمان ١ / ٣٤٠) .

مخطوط في معهد شعوب آسيا بالاتحاد السوفييتى .

● اللطيف في الطب = الطبيب

مفقـــود .

● اللمع الفضة

مفقـــود .

● محاسن الأدب

مخطوط لدى الأستاذ هلال ناجى لم يذكر أصلها ولا رقمها .

● مدح الشيء وذمه

مفقـــود .

● المديح (ولعله نفس الكتاب السابق)

مفقـــود .

- مفتاح الفصاحة

مفقـــود .

- الملح والطـرف

مفقـــود .

- ملح النوادر

مفقـــود .

- الملوكي = أدب الملوك = منادمة الملوك = سراج الملوك

مخطوط ذكر د . قاسم السامرائي أن له نسخة فى مكتبة عزة أفندى برقم ١٨٠٨ ، المتحف البريطانى (ثالث ٦٤) ٦٣٦٨ . . O R .

- من غاب عنه المؤنس

مفقـــود .

- المهذب من اختيار ديوان أبى الطيب وأحواله وسيرته وما جرى بينه وبين الملوك والشعراء .

مخطوط برقم ٨١٩٤ ش فى دار الكتب المصرية .

- مواسم العمر

مخطوط فى مكتبة فيض الله ضمن مجموع برقم ٢١٣٣ / ٦ وذكره الأستاذ هلال ناجى .

- مؤنس الوحيـــد

مخطوط في كمبردج رقم ١٢٨٧ .

- نتائج المذاكرة

مخطوط مكتبة عارف حكمت بالمدينة برقم (٣١ مجاميع) .

- نزهة الألباب وعمدة الكتاب

كتاب الاقتباس

ألف الثعالبى كتاب الاقتباس من القرآن الكريم للأمير الغزنوى نصر بن ناصر الدين أخى السلطان محمود بن سبكتكين ، وكان أميرا للجيش فى خراسان حتى وفاته سنة ٤١٢ هـ ، وأهدى إليه الثعالبى هذا الكتاب فضلاً عن كتابين آخرين هما غرر السير والمتشابه[٤٦] ويبدو أن علاقة صداقة وطيدة قد ربطت بينهما . وهذا شأن الثعالبى فيمن يختارهم لإهداء كتبه ومؤلفاته . فمعظمهم كما أسلفنا من الأدباء أو المولعين بالأدب والشعر ، وقد اقتبس الثعالبى فعلاً كثيراً من أقوال نصر بن ناصر الدين هذا وتمثل بها فى كثير من كتبه بما فيها كتبه التى أهداها إلى غيره مثل ثمار القلوب ، وخاص الخاص ، والإيجاز والإعجاز[٤٧].

وقد ذكر الثعالبى كتاب الاقتباس فى كتابه يتيمة الدهر[٤٨] فى الباب الثالث فى ذكر أبى إسحاق الصابى ووصف أدبه ومحاسن كلامه مشيراً إلى أنه اختار كلامه المقتبس من القرآن الكريم وأورده فى فصول كتاب الاقتباس قائلاً :

« وكان يعاشر المسلمين أحسن عشرة ، ويخدم الأكابر أرفع خدمة ، ويساعدهم على صيام شهر رمضان ، ويحفظ القرآن حفظاً يدور على طرف لسانه وسن قلمه وبرهان ذلك ما أوردته فى كتاب الاقتباس من فصوله التى أحسن فيها كل الإحسان وحلاها بآى القرآن » .

وذكره أيضا فى كتابه الكناية والتعريض الذى ألفه ابن مأمون خوارزم شاه فى فصل سماه (الكناية عن الغلام) وذكر فيه ما سماه بمكروه الاقتباس (نبهت عليه في كتاب الاقتباس)[٤٩] .

وهكذا يثبت اسم هذا الكتاب ، وإن كان قد سماه بالاقتباس فقط على سبيل الاختصار فى إشارة اليتيمة ، وباسمه الكامل « الاقتباس من القرآن » فى كتاب الكناية والتعريض .

أما سنة تأليف كتاب الاقتباس فيمكن تحديدها على التقريب من خلال تتبع الإشارتين السابقتين . فقد كتب الثعالبى كتاب اليتيمة أول مرة سنة ٣٨٣ هـ[٥٠]. وكان تولى السلطان محمود الغزنوى السلطة سنة ٣٨٩ هـ[٥١] وأن أخاه نصراً قد تولى

(٤٦) ملاحظات عن سيرة الثعالبى : ٢٣٤ .
(٤٧) نفسه .
(٤٨) يتيمة الدهر ٢ / ٢٤٣ .
(٤٩) الكناية والتعريض : ١٩ .
(٥٠) ملاحظات عن سيرة الثعالبى : ٢٣٤ .
(٥١) الكامل لابن الأثير : حوادث سنة ٣٨٩ فما بعده .

إمارة الجيش فى عهده فإن إشارة الثعالبى لابد أن تكون فى النسخة الثانية التى كتب فيها الثعالبى كتاب اليتيمة بشكله النهائى سنة ٤٠٣ هـ[٥٢]. وعلى هذا تكون سنة تأليف الاقتباس بعد سنة ٣٨٩ هـ ، وذكر د . محمود الجادر أنه صحّ لديه أن سنة تأليف الثعالبى لكتاب الاقتباس هى قبل سنة ٣٩٦ هـ[٥٣].

منهـج الكتـاب :

وهب الثعالبى قدرة علمية على استيعاب المادة التى يكتب فيها وتبويبها وفق منهج علمى دقيق لا يحيد عنه ولا يتناساه ويبدو منهجه واضحاً فى يتيمة الدهر وثمار القلوب . أما كتاب الاقتباس هذا فقد صرح فى مقدمته بنظرته الفاحصة ورغبته فى تتبع النصوص المتعلقة بالاقتباس من القرآن الكريم ثم تبويبها وترتيبها وهو ينبهنا على توفر الرغبة الشديدة فى نفسه قبل البدء بالكتابة والرغبة الأكيدة فى التصنيف فى هذا الموضوع واتباع منهج يبوب فيه المادة ويصنفها . إن هذه الرغبة وعملية البحث قد أخذتا من الثعالبى وقتا طويلا شهورا وأعواماً وليس هذا من باب المبالغة والثناء ، لأن الثعالبى كان صادقا فى وصف حالة كثيراً ماتنتاب المؤلفين والكتاب وهى حصول الرغبة الأكيدة فى التأليف التى تحث صاحبها على الكتابة ، ثم يعتورها فتور يقصر أو يطول أياماً وشهوراً إلى أن تجتمع إليه الهمة مرة أخرى فيكمل المشروع الذى بدأه من فترة طويلة ، وقد يكون الحافز على إتمام البحث والكتابة حدثا ما أو شخصية لها مكانتها الاجتماعية والسياسية يهدى إليها الكتاب ، المهم أن فكرة التأليف لم تبدأ برغبته فى الحصول على الحظوة لدى من أهدى إليه الكتاب ، وإنما سبقتها بأعوام ، فهى رغبة خالصة فى البحث ذاته لكن شخصية المُهَدى إليه كانت حافزاً على إتمام البحث ، وإشباع الرغبة وتحقيقها فى استكمال مادة الكتاب وتبويبها . وهكذا نقل الثعالبى تجربته فى تأليف هذا الكتاب منذ أن كان مجرد رغبة إلى أن تحقق فى فترات كتابة متفرقة حتى إتمامه وإهدائه إلى الأمير نصر ابن ناصر الدين أخى أبى القاسم محمود بن سبكتكين الغزنوى :

« هذا كتاب طالما كانت تحضرنى النية القوية فى تصنيفه وترصيفه ، وتعدنى الأيام معونة على تبويبه وترتيبه فتخلّف ، وكنت آخذ فى تأليفه يوماً ، وأدعه أياما ، وأقبل عليه شهراً وأعرض عنه عاماً إلى أن لاح استفتاح مدخله واستتمام عمله لأوحد الزمان وحسنة القرآن ومن فضله الله تعالى ذكره بشرف الانتساب والاكتساب ، وجمع له محاسن ذوى الألباب وآتاه الحكمة وفصل الخطاب ، وأحيا به جميع العلوم والآداب الأمير

(٥٢) ملاحظات عن سيرة الثعالبى : ٢٣٤ .

(٥٣) دراسة توثيقية : ٢٥٣ .

الأجل صاحب الجيش أبي المظفر »[٥٤].

إن دراسة كتاب الاقتباس تدلنا على توافر ظاهرتين مهمتين فيه : الأولى المنهج الذى التزم به الثعالبى فى جميع أبواب الكتاب وفصوله .

الثانية : ذوقه الرفيع فى اختيار النصوص الأدبية شعراً ونثراً لقد كان الثعالبى أديباً شاعراً ومؤلفاً ناقداً واسع الاطلاع ذا ذوق رفيع فى اختيار النصوص الشعرية ، وآراء سديدة فى نقد الأدب بصورة عامة[٥٥]. وقد وجد أن القرآن الكريم معجزة الرسول ﷺ العظيمة كان وما يزال المعين الثر الذى يقتبس منه الشعراء والأدباء ألفاظهم وصورهم ومعانيهم متمثلين بآياته الكريمة فى مخاطباتهم وأشعارهم ، عارفين أن هذا الاقتباس يكسى كلامهم « معرضا مالحُسْنِهِ غاية ، ومأخذاً مالرونقه نهاية ، ويكسبه حلاوة وطلاوة مافيها إلا معسولة الجملة والتفصيل ، ويستفيد جلالة وفخامة ليست فيهما إلا مقبولة الغرة والتحجيل »[٥٦].

وقد وجد الثعالبى أن الاقتباس من القرآن الكريم ظاهرة عامة فى الأدب العربى ، والرسول ﷺ نفسه وهو أفصح العرب لهجة وأحسنهم فصاحة وبيانا قد اقتبس من معانى القرآن وألفاظه الكثير فى حديثه وخطبه وكذلك فعل السلف الصالح من الصحابة والتابعين لكن الثعالبى لم يكتف بإيراد هذه الأقوال المأثورة عن الرسول ﷺ وصحابته بل تجاوزها إلى الشعراء والأدباء بدءاً من عصر صدر الإسلام حتى شعراء زمانه إلا أن نصوصه الشعرية والأدبية جاءت موزعة حسب الأبواب والفصول وما اختار لها من موضوعات لا حسب الشخصيات والعصور . لذا تجدها موزعة يجمعها رباط واحد هو الموضوع أو المحور الذى عنون به الباب أولاً والفصول التى اندرجت تحته ثانياً . فقد يختار من الرسالة الواحدة أكثر من فقرة ويوردها فى أكثر من فصل لأن كل فقرة تتحدث عن فكرة معينة يمكن أن تدرج ضمن عنوان خاص فى فصل يختاره لها فقد وجدناه مثلا يلجأ إلى رسالة واحدة من رسائل أبى إسحاق الصابى فيقسمها فى ذهنه إلى معانٍ يوزعها على أكثر من فصل ففى الباب الثامن عشر الذى ذكر فيه فضل الخط والكتاب والحساب وفصوص من فصول العهود وقسمه إلى (٤١) فصلاً تمثل بكتابات أبى إسحاق الصابى وابن العميد والإسكافى وفى فصل ماقيل فى « تقوية أيدى الحكام والعمال » اقتبس فقرة من نسخة العهد الذى كتبه أبو إسحاق الصابى عن الطائع لله

(٥٤) الاقتباس ١ / ٢١ .

(٥٥) راجع كتاب « الثعالبى ناقدا وأديبا »

(٥٦) الاقتباس ١ / ٢٤ .

إلى أبى الحسين على بن ركن الدولة الملقب بفخر الدولة[٥٧]، وتبعه فصل فى « اختيار العمال وتوصية كل منهم مايقتضيه عمله » اختار له أيضاً من الرسالة ذاتها ، ثم تبعه فصل فى « تعيير الموازين والمكاييل والمنع من التطفيف » ونصه الوحيد الذى أورده فى هذا الفصل هو من عهد أبى إسحاق الصابى .. كل هذا بتقسيم واع لمنهجه فى اختيار النصوص وفق المعانى التى تتفرع من موضوع الباب الكبير الذى يكتب فيه .

لقد قسم الثعالبى كتابه إلى خمسة وعشرين باباً وقسم كل باب إلى فصول تفاوتت فى الطول والقصر وتفاوت عددها فى كل باب وعدد النصوص التى اندرجت تحتها .

فالباب الأول فى التحاميد المقتبسة من القرآن وما يتصل بها من الثناء على الله تعالى بما هو أهله ، وذكر طرف من فضله ونعمته وسعة رحمته وسائر صفاته وأفعاله ــ جل جلاله ــ وقد قسمه إلى ستة عشر فصلاً .

والباب الثانى فى ذكر النبى ﷺ وأجزاء من بعض محاسنه وخصائصه التى أفرده بها ، وفضله على جميع خلقه . وقد قسمه إلى اثنى عشر فصلا ذكر فيها كرامته على الله ــ عز ذكره ــ وارتفاع مقداره عنده ، ثم فصل فى الصلاة عليه ، وفصل فى ذكر أخلاقه ﷺ ، وفصل فى نبذ من محاسنه وخصائصه عليه السلام ، وفصل آخر مثله وفصلين آخرين فى ذكر خصائص الرسول ﷺ الأخرى . وتبعتها فصول قصار عن ذكر الحكمة فى كونه عليه السلام بشراً ، وآخر فى ذكر الحكمة من كونه أميا . ثم يختم الباب بفصلين عن بعض ما جاء من الكلام المقتبس معناه من القرآن الكريم .

أما الباب الثالث فقد خصه فى ذكر العترة الزكية رضى الله عنهم ، ونبذ من فضائلهم . وقد قسمه إلى ستة فصول : الأول فى ذكر طرفهم وشرفهم ومجدهم ، وفصل فى فقر من أخبارهم . وقد يوحى عنوان هذا الفصل أن فيه أخباراً تاريخية لا علاقة لها بموضوع الكتاب ، ولكن تتبع نصوصه يدلنا على أن الثعالبى ما يزال قيد منهجه الدقيق ، فهو يختار فقرا من أخبار العترة الزكية مما يرد فيها أقوال فيها اقتباس من الذكر الحكيم . ثم يليه فصل فى بعض ماقيل فيهم من الأشعار ويورد فيه أيضا ما قيل فيهم من أشعار مقتبسة معانيها من القرآن الكريم . ويليه فصلان من كلام لعلى والحسن وولده وآخر فى كلام الحسين وولده رضى الله عنهم . ويختم الباب بفصل شامل سماه « فصل فى أن الله أذهب عنهم الرجس أهل البيت وطهرهم تطهيرا » أورد فيه نصين

---

(٥٧) راجع الرسالة فى المختار من رسائل الصابى : ٩٦ ، ١٠٨ .

متأخرين الأول من خطبة للسفاح ، والآخر من كتاب لابن أبى البغل كاتب المقتدر ينضويان ، تحت معنى هذا الفصل .

أما الباب الرابع فهو فى ذكر الصحابة وما خصهم الله به من الفضل والشرف ، وأقاويل بعضهم فى بعض ، وغرر من محاسن كلامهم ونكت أخبارهم » . ويقع فى عشرين فصلا ، بدأه بفصل فى ذكرهم عامة ، ثم بدأ بإيراد فصول عن الصحابة متبعا المنهج التاريخى فى إيراد أسمائهم ففصل فى ذكر أبى بكر الصديق ، وفصل فى حسن آثاره فى الإسلام وفصل فى ذكر شيء من كلامه أيام الردة ، وآخر فى مكاتباته . ويختم هذه الفصول المتعلقة بالخليفة أبى بكر رضى الله عنه بفصل فى ذكر استخلافه عمر رضى الله عنه . وبعدها تبدأ الفصول التى خصها للخليفة الثانى ففصل فى ذكر عمر وقطعة من أخباره ذكر فيه فقرا من مكاتباته ورسائله وخطبه ثم فصل فى قتله وثناء المسلمين عليه ، ويلحقه بأربعة فصول تخص الخليفة عثمان ثم ستة فصول أخرى تخص الإمام على وختمه بفصل عن تسليم الحسن الأمر إلى معاوية ليختم الباب بعده بفصل فى لمع من أقوال الصحابة وأخبارهم . كل هذه الأقوال والأخبار التاريخية اختارها الثعالبى لما تضمنته من كلام مقتبس من القرآن الكريم .

ومن الواضح أنه تتبع فى هذه الأبواب الأربعة منهجاً لعلنا نستطيع وصفه بأنه منهج دينى إذ اختار موضوعاته حسب أهميتها من الناحية الدينية فبدأه بذكر الله تعالى وصفاته ثم بذكر النبى ﷺ ، ثم عترته الزكية ثم باب فى الصحابة رتبهم كما قلنا حسب دورهم وتسلسلهم التاريخى ، حتى إذا انتهت هذه الأبواب ، بدأ **الباب الخامس** فى ذكر الأنبياء عليهم السلام وغيرهم ممن نطق القرآن بأخبارهم ، وما اقتبس الناس من فنون أغراضهم فى قصصهم . وقد قسم هذا الباب إلى فصول تتبع فيها ذكر الأنبياء بمسار تاريخى حيث يبتدأ بفصل فى الاقتباس من قصة آدم عليه السلام ، ثم فى ذكر قصة نوح ، وفصل فى الاقتباس من قصة إبراهيم عليه السلام ، وفصل فى الاقتباس من قصة يعقوب ويوسف عليهما السلام .

وبعد موضوع الأنبياء يختار الثعالبى **الباب السادس** فى ذكر فضل العلم والعلماء ويقع فى عشرة فصول مترابطة مع موضوع الباب الرئيسى .

أما **الباب السابع** فهو فى ذكر الأدب والعقل والحكمة والموعظة الحسنة ويعطى هذا الباب مفتاحاً للثعالبى فى تفرع الأبواب التى تليه حيث يعدد فى **الباب الثامن** محاسن الأخلاق والخصال إذ يدرجها فى تسعة عشر فصلا . ويليه **الباب التاسع** حيث

يتناول فيه عكس هذه الخصال وهو فى ذكر معائب الأخلاق وذم الغاغة والسقاط والجهال . ويقع فى ثلاثة عشر فصلاً .

أما **الباب العاشر** فإنه يركب فيه بعض الصفات الواردة فى البابين السابقين أعنى أنه خصه لذكر أنواع من الأضداد والأعداد وقسمه إلى ثمانية فصول : فصل فى ذكر الغنى والفقر وآخر فى فضل المال والسعى فى كسبه وذكر التجارة واعتماد الصنعة ، ثم فصل فى ضد ذلك وفصل فى التأنى والعجلة وفى الحب والبغض والشباب والشيب ، وفصل فى ذكر القلة والكثرة . والفصل الأخير فى الأعداد

فى كل هذه الأبواب السابقة وجدنا العلاقة قوية بين الباب والذى يليه وهى علاقة تسلسل تاريخى أو علاقة منطقية فى تسلسل موضوعات الأبواب . أما بعد هذا فإن أبواب الكتاب تأتى موضوعاتها منفصلة الواحدة عن التى تليها . وهذا أمر طبيعى لأن الأبواب العشرة الأولى مترابطة من حيث موضوعاتها ومادتها كترابط ذكر الله تعالى وصفاته بذكر صفات الرسول ﷺ ومآثره وصلتهما بالباب الثالث الذى خصه للعترة الزكية حيث تلاه باب فى ذكر الصحابة . إلا أن أبواب الكتاب الأخرى لا يمكن أن نجد لها هذا الترابط لطبيعة موضوعاتها وليس بسبب منهج الثعالبى ذاته . **فالباب الحادى عشر** فى ذكر النساء والأولاد والإخوان ، **والباب الثانى عشر** فى ذكر الطعام والشراب ، **والباب الثالث عشر** فى ذكر البيان والخطابة وثمرات الفصاحة ، **والباب الرابع عشر** فى الجوابات المسكتة ، **والباب الخامس عشر** فى ملح النوادر . **والباب السادس عشر** فى الخروج عن حد الاقتباس وذكر فيه فصلين الأول فيه قول أبى تمام مستفرغا قصة يوسف والثانى فى ذكر المكروه فى وصف الخلق ، وكأن الثعالبى يختم بهذا الباب موضوعات الأبواب السابقة التى يمكن وضعها فى إطار خاص من المعانى .

أما **الأبواب السابع عشر إلى الخامس والعشرين** فقد تناول فيها موضوعات شتى . **فالباب السابع عشر** فى الرؤيا وعجائبها والتعبيرات وبدائعها . **والباب الثامن عشر** فى ذكر الخط والكتاب والحساب . وطبيعة هذا الباب تحدد مختارات الثعالبى الأدبية إذ نجدها لا تتجاوز النثر إلى الشعر ــ ومعظمها من كتب ورسائل الكتاب وكتاباتهم وعهودهم . **والباب التاسع عشر** فى الأمثال والألفاظ وهو باب قصير لا يتجاوز الأربع صفحات . **أما الباب العشرون** فهو فى ذكر الشعر والشعراء وأنواع اقتباساتهم من ألفاظ القرآن الكريم تناول فيه الثعالبى اقتباسات الشعراء لمعنى من معانى القرآن الكريم وتداولهم لمعنى أصله فى القرآن . وفى اقتباساتهم الخفية اللطيفة ثم يبدأ بعد

هذا بتقسيم اقتباساتهم وفق منهج جديد حيث يوزع النصوص حسب المعانى الشعرية ، ففصل فى الغزل والنسيب وفصل فى المدح ، وآخر فى العتاب ثم فى التشبيهات ، وفى التأذى بالمطر .. إلخ . وينتقل بعد هذا إلى إيراد فصول تتعلق بالأسلوب ففصل فى ذكر التجنيس وفصل فى الطباق مورداً فى كل هذا نصوصا شعرية اقتبس فيها الشعراء معانيهم ، أو أساليبهم فى الذكر الحكيم .

أما **الباب الحادى والعشرون** فهو يكاد يكون مكملا للقسم الثانى من الباب العشرين أعنى بها الفصول التى خصها للتجنيس أو الطباق . فالباب الحادى والعشرون أورد فيه فصولاً فى ذكر الإيجاز والإعجاز ، وفصل فى ذكر التشبيه وآخر فى الاستعارة وآخر فى المجاز والالتفات وما يجرى مجراه .

أما **الباب الثانى والعشرون** فقد خصه لظرائف التلاوات وبدأه بفصل فى نقد التفاسير وإيراد الغريب أو الطريف منها . أما عنوان **الباب الثالث والعشرين** فهو فى فنون شتى مختلفة الترتيب أورد منها فصلا عن الفرج بعد الشدة ، وآخر فى التفاؤل بالقرآن ، وآخر فى ذكر القرعة ثم فصل فى حب الوطن ، وفصل فى ذكر السلطان ، وفصل فى الهدية ، وآخر فى ذكر النار وفى ذكر الإبل ، وفى ذكر الخيل . وحق لأبى منصور الثعالبى أن يدرج هذه الفصول ضمن باب فنون مختلفة ، وبعدها يأتى **الباب الرابع والعشرون** فى الدعوات المستجابة . وقد اتبع فيه نفس المنهج السابق فى تقسيمه الباب إلى فصول متفرعة ففصل فى فضل الدعاء وما يتصل به ، وفصل فى أدعية المكروبين ثم فصل فى سائر الدعوات حيث يقسم هذه الدعوات إلى حالة الداعين ، ففصل فى الدعاء عند الحاجة ، وفصل فى دعاء الدين ، ودعاء الخوف ، ودعاء الصدقة ، والدعاء عند مواقعة العدو .

ثم يختم الكتاب **بالباب الخامس والعشرين** وهو فى الرقى والأحراز ، ويقسمه إلى فقرات أيضاً حسب المعانى والأغراض مثلما فعل فى باب الأدعية ، ففصل فى الرق من الأوجاع أو الأمراض كرق الحمى ، ورقية وجع البطن ، وفصل فى سائر الرق للمضروب ثم يختمه بفصل فى الأحراز .

لقد أثار البابان الأخيران من كتاب الاقتباس شك الدكتور محمود الجادر فخيل إليه أن « أصل الكتاب ثلاثة وعشرون بابا وأن البابين الأخيرين مقحمان عليه لبعدهما التام عما هو مألوف فى كتب الثعالبى من منهج ومادة فضلا عما يعزز القناعة بهذه الحقيقة من أن عنوان الباب الثالث والعشرين هو فى فنون شتى مختلفة الترتيب . وهو عنوان

يستخدمه الثعالبى عادة فى الفصول الختامية من كتبه »[٥٨].

إن هذا الرأى يعتمد على فرضيتين : الأولى أن البابين الأخيرين بعيدان عما هو مألوف فى كتب الثعالبى منهجاً ومادة . والواقع أن طبيعة كتاب الاقتباس ومادته تختلف بحد ذاتها عن مواد كتب الثعالبى الأخرى فهى تدور جميعها حول القرآن الكريم وما اقتبس من آياته وألفاظه فإذا راجعت البابين الأخيرين وجدتهما لم يخرجا عن إطار الأبواب السابقة لكونها مستمدة من القرآن الكريم فجميع فصول الأدعية والأحراز إنما هى اقتباسات من آى الذكر الحكيم وحرى بالثعالبى أن يختم كتابه بهما بعد أن تطرق إلى سائر الموضوعات والمعانى التى تدور على ألسنة الكتاب والشعراء ، وقد مرّ بنا أن الثعالبى قسم البابين الأخيرين إلى فصول متبعاً المنهج نفسه الذى سار عليه فى سائر أبواب الكتاب . ويجرنا هذا القول إلى ملاحظة أخرى لها علاقة بفكرة كون البابين الأخيرين مختلفين عما هو مألوف فى كتب الثعالبى وهى أن موضوع كتاب الاقتباس ألزمت الثعالبى أن تكون نصوصه فى جميع أبواب الكتاب من نمط النصوص المختارة وعلى مستوى رفيع فى الجمال الفنى والترفع عن الابتذال والمجون وكل مايخدش الذوق والأخلاق فالثعالبى لم يختر إلا الاقتباس الجيد من القرآن الكريم ، لذا وجدنا نصوصه فى هذا الكتاب رفيعة بخلاف نصوصه فى كتبه الأخرى التى تجدها متنوعة بتنوع الشعراء الذين يتمثل بهم أو يترجم لهم أما موضوع كتاب الاقتباس فقد أظهر ذوق الثعالبى الرفيع فى اختيار النصوص شعراً ونثرا لأن قصده كما أوضحه فى مقدمة كتابه هو إبراز فضل القرآن الكريم فى مدّ السلف الصالح من الصحابة والأدباء والشعراء بمعين من الأفكار والصور الثرة التى استمدوها من القرآن الكريم ووشحوا بها مخاطباتهم ومحاوراتهم وأشعارهم ليمنحوا كتاباتهم شيئاً من جمال الآيات القرآنية وروعة معانيها وإشاراتها وقد اشترط الثعالبى فى مقدمته إيراد الجيد الجميل مما اقتبس من القرآن الكريم وأنه يورد « فى هذا الكتاب من محاسنها كل ما تروق أصوله وفصوله ويفيد مسموعه ومحصوله » .

أما الفرضية الثانية التى اعتمد عليها الأخ الدكتور محمود الجادر فى تخيل كون البابين الأخيرين من كتاب الاقتباس مقحمين عليه فهى ماحمله **الباب الثالث والعشرون** من عنوان هو « فنون شتى مختلفة الترتيب » وأن هذا العنوان يستخدمه الثعالبى عادة فى الفصول الختامية من كتبه .إن هذا الفرضية مردودة أيضاً لأن الثعالبى نفسه قد استخدم

(٥٨) دراسة توثيقية : ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

عنوان هذا الباب فى غير الفصول الختامية من أبواب كتاب الاقتباس من القرآن الكريم نفسه **فالباب الثامن عشر** الذى عنونه الثعالبى بـ « ذكر الخط والكتاب والحساب » يقع فى واحد وأربعين فصلا ، كان عنوان الفصل السابع والعشرين هو « فى معانٍ شتى » ومع ذلك لم يختم الثعالبى به الباب بل أورد بعده أربعة عشر فصلا .

يضاف إلى هذا كله أن الثعالبى ذكر بعد المقدمة بأنه سيذكر أبواب كتابه ليسهل للقارىء معرفته ، وفعلا عرض بعد ذلك أبواب الكتاب عرضاً موجزاً ، ذاكراً عناوين فقراته وفصوله وعددها أحيانا قائلاً « وإذ قد استمررت فى تصديره فأنا ذاكر أبوابه ليفرد كل منهما بذاته ، وتقرب على الناظر فيه وجوه إيراده » . ثم عرض الثعالبى بعد هذا القول أبواب الكتاب بما فيهما البابين الأخيرين ـــ مما يرجح أن الكتاب الذى بين أيدينا يقع فى خمسة وعشرين باباً حسب ما قسمه الثعالبى .

مخطوطة كتاب الاقتباس :

لم نعثر إلاّ على نسخة واحدة من كتاب الاقتباس فى القرآن الكريم صورناها عن نسخة مصورة فى مكتبة معهد المخطوطات العربية التابعة لجامعة الدول العربية . وأصل هذه المصورة عن مكتبة سليم أغا برقم ٣٨ ، ورقم المخطوط المصور فى معهد المخطوطات العربية هو ن ٨٢٦ فى ٧٧٥ / ٨٩٨ . وقد وجدنا فى الورقة ٥٠ والورقة ٩٠ من المخطوط ختما للسلطان سليم أغا ورد فيه :

« قد وقف هذا الكتاب المستطاب لوجه الله الملك الوهاب الحاج سليم أغا وشرط بأن لا يخرج ، ولا يرهن . ومن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه » .

يقع المخطوط فى مائة وتسع عشرة ورقة قياس الواحدة منها ٢٢ × ١٥ سم ومكتوب بخط يعود إلى القرن الحادى عشر وخطه مقروء إلا أن فيه كثيراً من التحريف والتصحيف والأخطاء الإملائية التى شوهت نصوصه ومسخت أخباره فى كثير من الأحيان . وإذا كانت النسخ الكثيرة المتعددة للمخطوط الواحد تجهد المحقق لما يقتضى ذلك منه المقارنة والمقابلة بينها فإن انفراد المخطوط بنسخة واحدة فى كتاب ما يعنى بذل الكثير للوصول إلى النص الذى يقرب من النسخة الأم التى كتبها المؤلف .

إن التصحيف والتحريف اللذين وقعا فى المخطوط متنوعان يشملان أخطاء إملائية

وأخرى إعرابية ، وتصحيف كثير للآيات الكريمة ، وتشويها للنصوص الشعرية فضلاً عن التحريف فى كتابة كلمات المخطوط مما يخرج النص المقروء فى كثير من المواضع عن مستواه الذى طلبه له المؤلف . إلا أن الله سبحانه وتعالى فتح لنا فى كثير من المواضع ما استغلق فهمه أو قراءته ، فكان لنا الرأى الذى اعتقدناه صائبا فى تقويم ما أخطأ الناسخ فى نسخه ، وتحقيق أسماء الأعلام والمواضع التى صحفت أو حرفت وسنورد أمثلة لإساءات النسخ فى النسخ تتعلق بالأخطاء الإملائية والإعرابية ، وأخرى فى تصحيف أسماء الأعلام والمواضع والأشعار فتجد مثلاً :

فإن **قضاؤه** حق .
أقسم بحياة **أحدٌ** .
أمر طاهر بن الحسين **الكتابُ**
موسى بغا هزم **مساورُ** الشارى .
كانوا هاشمين **مياسيراً** .
ثبوتُ **أبوابُ** الكتاب .
توجه **يومٌ** .

ونشير إلى بعض مواضع التصحيف الواقعة فى أسماء الأعلام منها :

(مزبد) وهو من أصحاب النوادر نسخ الناسخ اسمه : بـ (مزيد بد) مرة ، ونسخه بشكل (من يد) مرة أخرى .

(ابن الرومى) الشاعر ، نسخ اسمه (الدومى) .

(أبو الأسود الدؤلى) كتب فى المخطوط (أبو السود) .

(أبو دلامة زند بن الجون) كتب (زيد) .

(محمد بن الحنفية) كتب (محمد بن الحنيفية) .

(عبيدة بن الحارث بن المطلب) كتبه الناسخ محرفاً اسمه واسم جده بـ (يزيد بن الحارث بن عبد المطلب) .

(قال أبو حنيفة الشيطان الطلق) وأبو حنيفة هذا هو الإمام المعروف ولا يمكن أن

يوصف باللفظين الواردين فى نص المخطوط وإنما صوابه (لشيطان الطاق) وهو محمد بن علي بن النعمان البجلي ولاء ، نسب إلى سوق فى طاق المحامل بالكوفة كان يجلس للصرف عليه .

(الوليد بن عتبة) والى المدينة أيام يزيد بن معاوية كتب (الوليد بن عقبة) .

(عمرو بن العاص) كتب (الحسين بن العاص) .

ومن أمثلة التصحيف ما يلي :

(إنهم كالأنعام ..) صوابها (إن هم إلا كالأنعام) . وهي الآية ٤٤ من سورة الفرقان .

(يعتلل الله) صوابه (تعتاله العلة) أى تصيبه العلة .

(إلى الوزارتين العلاق) صوابها إلى (ذى) الوزارتين إلى (ذى) العلا .

يبكون من قتلت سيوفهم ظلما بكا منقطع القلب

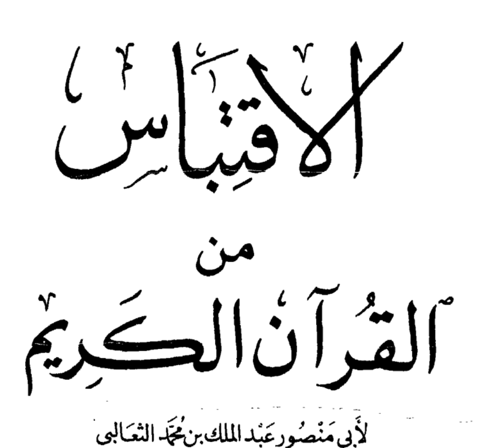
كتب هذا البيت فى المخطوط :

ظلما بكاء قوله .. الكلب

ونكتفى بهذه الأمثلة وعشرات غيرها كثيرة تحفل بها هوامش الكتاب لنقول إننا بذلنا ما استطعنا بذله من جهد وعناية فى ضبط النصوص وتحقيقها . وقد مضى على تحقيق القسم الأول ما يزيد عن العشر سنوات ظهرت خلالها دواوين بعض الشعراء وحققت كتب تراثية كثيرة أعانتنا على تصويب بعض النصوص . وقد عنت لنا أيضا ملاحظات وإضافات أغنت الكتاب ، وأوجبت إعادة تحقيقه وطبعه لاستدراك مافات تحقيقه فى الطبعة الأولى .

أما القسم الثانى من المخطوط فقد يسر الله تحقيقه بالاشتراك مع الأخ الدكتور مجاهد مصطفى بهجت فمن الله نسأل التوفيق والغفران فيما فاتنا تحقيقه أو وجه صوابه وما لم نهتد إليه مقرّين أن فوق كل ذى علم عليم . وسائلين الله تعالى بآياته الكريمة القبول والمغفرة : ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين** ﴾ .

صدق الله العظيم



لأبى منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى
٣٥٠ ـ ٤٢٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم ، والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والحمد لله رب العالمين ، حمد الشاكرين على نعمه التى لا يبلغ أقاصى حمد الحامدين أوائل(٥٩) حدودها ، ومنحه التى لا تؤدى بها باب شكر الشاكرين أداء(٦٠) حقوقها ، وصلواته على أشرف الخلق جرثومة ، وأزكاهم أرومة ، وأبعد الأنبياء فى الفضل غاية ، وأبهرهم معجزة وآية محمد خير مولود دعا إلى خير معبود . وعلى آله المنتجبين .

هذا كتاب طالما كانت تحضرنى النية القوية فى تصنيفه وترصيفه ، وتعدنى الأيام معونة على تبويبه وترتيبه فتخلف ، وكنت آخذ فى تأليفه يوما ، وأدعه أياماً ، وأقبل عليه شهرا ، وأعرض عنه عاما إلى أن لاح لى استفتاح مدخله ، واستتمام علمه لأوحد الزمان ، وحسنة القرآن ، ومن فضل الله تعالى ذكره بشرف الانتساب والاكتساب ، وجمع له محاسن ذوى الألباب ، وآتاه الحكمة وفصل الخطاب ، وأحيا به جميع العلوم والآداب ، وخصه بالمعالى المشهورة ، وأفرده بالمآثر المأثورة ، الأمير الأجل صاحب الجيش أبى المظفر (٦١) ، فسهل الطريق وساعد (على)(٦٢) التوفيق ، ويسر ورد المنهل فوردته ، وأصاب الغرض فقصدته ، واستنبت بدولته إتمام ماحاولته . واستوى النظام على مادبرته ، وتهيأ الفراغ من هذا الكتاب الذى لولا ماأتهمه من حسن رأيى فيه وأخافه من فتنة إعجابى به ، لقلت : إنه كتاب بديع المصنع ، شريف المودع ، جليل الموقع ، هنى المرتع ، مرى المكرع(٦٣) لذيذ المترع ، أنيس المرأى والمسمع ، أنيق المبدأ والمقطع ، مفيد المغزى

---

(٥٩) فى الأصل : « اوابك » وهو تحريف فى النسخ . (٦٠) فى الأصل : « اداى » .

(٦١) أبو المظفر هو نصر بن ناصر الدين صاحب الجيش وهو أخو أبى القاسم محمود بن سبكتكين الغزنوى كان حاكا على نيسابور سنة ٣٨٩ هـ ذكره الثعالبى فى لطائف المعارف ٢٠٥ ، وانظر أيضا : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ص ٨ .

(٦٢) زيادة ليست فى الأصل .

(٦٣) فى الأصل : « المركع » ولعل صوابه : المكرع كما أثبتناه والمكرع : المشرب ، من كرع فى الماء يكرع كروعا إذا تناوله بفيه فى موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا إناء . انظر : الصحاح (كرع) .

والمتتجع ، وجعلته مجتمعا على كل ما استحسنته ، واخترته من اللمع والفقر ، والنكت[٦٤] من اقتباس الناس على اختلاف طبقاتهم ، وتفاوت درجاتهم من كتاب الله عز اسمه فى خطبهم ومخاطباتهم وحكمهم ، وآدابهم ، وأمور معاشهم ومعادهم ، وفى مكاتباتهم ، ومحاوراتهم ، ومواعظهم ، وأمثالهم ، ونوادرهم ، وأشعارهم ، وسائر أغراضهم . وضمنته من محاسن انتزاعاتهم وبدائع اختراعاتهم ، وعجائب استنباطاتهم ، واحتجاجاتهم منه ، ماليس السوقة بأحوج إليه من الملوك ، ولا الكتاب ، والشعراء بأرغب فيه من الفقهاء والعلماء ، ولا المجان والظرفاء بأحرص عليه من الزهاد والحكماء ، إذ هو مقتبس الألفاظ ، والمعانى من أحسن الكلام ، وأقوم النظام ، وأنور النور ، وأشفاه لما فى الصدور ، ذلك كلام رب العزة ، وبيانه ووحيه وفرقانه ، وخير كتبه أنزله على خير رسله محمد المصطفى ﷺ وآله حين جمرات الخطابة متوقدة ، وأسلحة البلاغة مسددة ، وأسواق الفصاحة[٦٥] نافقة وأعلام السلاطة خافقة ، والقوم إذ يسلقون الناس بألسنة كالسيوف ، ويرمون من أفواههم بقوارع كالحتوف ، بين شيطان مريد ، لسانه أمضى من سنانه ، وجبار عنيد كلامه أنفذ من سهامه فما هؤلاء (إلا)[٦٦] أن صك أسماعهم هذا القول الفصل الجزل ، والسهلُ القريبُ ، البعيدُ ، العجيبُ ، تلوح عليه سماتُ الإعجاز بين الإطالة والإيجاز ، وتتراءى فيه أوضحُ المَحجةِ ، وأبين الحجة وتكشف[٦٧] به الأدلة وتزاح العلة حتى أذعنوا صاغرين لفضله ، وأقروا بالعجز عن الإتيان[٦٨] بمثله ، وأيقن — إلا من ضرب على أذنه وطبع على قلبه — أنه معجزة الرسول ﷺ ، ودليله ، وبرهانه ، كما كانت آية موسى عليه السلام فى تلقف عصاه ما يأفكون ، وبروز[٦٩] يده بيضاء من غير سوء[٧٠] معجزة له فى زمان السحرة والمهرة ، وكما أن[٧١] إبراء عيسى عليه السلام الأكمه والأبرص ، وإحياء الموتى[٧٢] — بإذن الله — معجزة له فى زمان الأطباء الألباء . ولما اتسع نطاق الإسلام ،

---

(٦٤) فى الأصل : « والفقر والنكت والنقر » .

(٦٥) النافقة : الرائجة .

(٦٦) زيادة ليست بالأصل

(٦٧) فى الأصل : « ويتكشف » .

(٦٨) فى الأصل : « الاتيان » .

(٦٩) فى قوله تعالى فى سورة الأعراف:١١٧ ﴿ وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هى تلقف ما يأفكون ﴾ .

(٧٠) فى قوله تعالى فى سورة طه:٢٢ ﴿ واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ وانظر سورة القصص ٣٢ .

(٧١) فى الأصل : « كما ابرأ » وما بين القوسين زيادة ليست فى الأصل .

(٧٢) فى قوله تعالى فى سورة المائدة:١١٠ ﴿ وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذنى وتبرىء الأكمه والأبرص بإذنى وإذ تخرج الموتى بإذنى ﴾ .

وامتد رواق الإيمان ، وأثبت فى الآفاق شعاع الدين ، واستضاءت القلوب بنور اليقين ، لم يتعرض لمعارضة القرآن منطيق مدره[٧٣]، ولا شاعرِ مصقع[٧٤] إلا ختم على خاطره وفنه ، وإنما قصارى المتحلين بالبلاغة ، والحاطبين فى حبل البراعة أن يقتبسوا من ألفاظه ومعانيه فى أنواع مقاصدهم أو يستشهدوا ويتمثلوا به[٧٥] فى فنون مواردهم ومصادرهم ، فيكتسى كلامهم بذلك الاقتباس معرضا[٧٦] ما لحسنه غاية ، ومأخذا ما لرونقه نهاية ، ويكسب حلاوة وطلاوة ما فيها إلا معسولة الجملة والتفصيل . ويستفيد جلالة وفخامة ليست فيهما إلا بمقبولة الغرة والتحجيل[٧٧]، هذا النبى ﷺ هو أفصح العرب لهجة وأعذبهم عذبة[٧٨] وأحسنهم إفصاحا وبيانا ، وأرجحهم فى الحكمة البالغة ميزانا ، قد اقتبس من معانى القرآن وألفاظه فى الكثير من كلامه والجم الغفير من مقاله . وكذلك السلف الأفضل من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين ، ومن بعدهم إلى يومنا من كل طبقة . فما أكثر ماعولوا على الاقتباس من القرآن فرصعوا كلامهم[٧٩] ترصيعا وتعاطوا فنونه جميعا . وسأورد فى هذا الكتاب من محاسنها كل ما تروق أصوله وفصوله ، ويفيد مسموعه ومحصوله . وإذ قد استمررت فى تصديره فأنا ذاكر أبوابه ليفرد كل منهما بذاته وتقرب على الناظر فيه وجوه إيراده وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

الباب الأول من كتاب الاقتباس

فى التحاميد ، وما يتصل به من الثناء على الله تعالى بما هو أهله ، وذكر طرف من فضله ، ونعمه ، وسعة رحمته ، وسائر صفاته وأفعاله جل جلاله ، وتقدست أسماؤه . وهو ستة عشر فصلا .

---

(٧٣) المدره : زعيم القوم والمتكلم عنهم .

(٧٤) المصقع : الخطيب البليغ .

(٧٥) فى الاصل : « ويتمثل » .

(٧٦) المعرض : المظهر يقال عرض له أمر كذا ، يعرض أى ظهر .

(٧٧) التحجيل: فى الأصل بياض فى قوائم الفرس ، والغرة بياض فى جبهته وذلك من صفات الفرس الأصيل وقد استعملهما الثعالبى مجازا .

(٧٨) العذبة : طرف اللسان .

(٧٩) فى الأصل : « احلامهم » .

الباب الثانى

فى ذكر النبى ﷺ ، وأجزاء من بعض محاسنه وخصائصه التى أفرده الله عز وجل بها ، وفضله على جميع خلقه بما وهب له من الكلام المقتبس من القرآن وهو اثنا عشر فصلا .

الباب الثالث

فى ذكر العترة الزكية ، والشجرة النبوية ، وإيراد نبذ من فضائلهم ومآثرهم وقطعة من فقر أخبارهم ، وغرر ألفاظهم وهو ستة فصول .

الباب الرابع

فى ذكر الصحابة وما خصهم الله تعالى من الفضل والشرف ، وأقاويل بعضهم فى بعض ، وغرر من محاسن كلامهم ونكت أخبارهم رضى الله عنهم أجمعين وهو عشرون فصلا .

الباب الخامس

فى ذكر الأنبياء عليهم السلام وغيرهم ممن نطق القرآن بأخبارهم ، وما اقتبس الناس منه فى فنون أغراضهم من قصصهم وتمثلوا به فى أحوالهم ، وهو اثنا عشر فصلا .

الباب السادس

فى فضل العلم والعلماء ، وفقر من محاسن انتزاعاتهم ولطائف من استنباطاتهم وهو عشرة فصول .

الباب السابع

فى ذكر الأدب والعقل والحكمة ، والموعظة الحسنة . وهو ثلاثة فصول .

الباب الثامن

فى ذكر محاسن الخصال ، ومكارم الأفعال ، وطرائف الآداب .

الباب التاسع

فى ذكر معائب الخلال ، ومقابح الأفعال ، وذكر العامة والسقاط[٨٠] والجهال وعورات الرجال .

الباب العاشر

فى ذكرِ أنواع من الأضداد ، والأعداد ، وهو ثلاثة فصول .

الباب الحادى عشر

فى ذكر النساء والأولاد ، والإخوان . وهو ستة فصول .

الباب الثانى عشر

فى ذكر الطعام والشراب وهو أربعة فصول .

الباب الثالث عشر

فى ذكر البيان والخطابة ، وثمرات الفصاحة والبلاغة .

الباب الرابع عشر

فى ذكر الجوابات المسكتة .

---

(٨٠) الأصل : « والسقعاط » وهو تحريف فى النسخ .

الباب الخامس عشر

فى ملح النوادر .

الباب السادس عشر

فى الاقتباس المكروه .

الباب السابع عشر

فى ذكر الرؤيا ، وعجائبها ، والتعبيرات وبدائعها .

الباب الثامن عشر

فى ذكر الخط والكتاب والحساب ، ونصوص من فصول العهود ، وكتب الفتوح ونخب من ألفاظ الرسائل السلطانية ، والإخوانية ، والتوقيعات ، وكتابات الجيوش[٨١] فى أشياء مختلفة .

الباب التاسع عشر

فى الأمثال والألفاظ التى تجرى مجراها ، والتنبيه على مواضع استعمالها والتمثل بها .

الباب العشـرون

فى ذكر الشعر والشعراء ، واقتباساتهم من ألفاظ القرآن ومعانيه .

(٨١) فى الأصل : « النفوس » والصواب ما هو مثبت أعلاه .

الباب الحادى والعشرون

فى اقتباس بعض ما فى القرآن من الإيجاز والإعجاز ، والتشبيه والاستعارة والتجنيس ، والطباق ، وما يجرى مجراها .

الباب الثانى والعشرون

فى فنون مختلفة الترتيب فى طرائف التأويلات ولطائفها .

الباب الثالث والعشرون

فى فنون مختلفة الترتيب .

الباب الرابع والعشرون

فى الدعوات المستجابة .

الباب الخامس والعشرون

فى الرقى والأحراز .

* * *

فهذا أطال الله بقاء مولانا ، ثبت أبواب الكتاب ، والله تعالى يبارك له فيه ويقر عينه ، ويشرح صدره ، وييسر قلبه به ، مع تبليغه به إياه أقصى الأوطار ، وأطول الأعمار فى أكمل المسار . وأحسن[٨٢] السعادات التى أهله لها ، والنعم التى عمه وخصه بها من فترة [٨٣] يشوبها أو ينقضها ، أو ردية تثلها وتنقضها . آمين اللهم آمين .

---

(٨٢) فى الأصل : « وحرّاسة » .

(٨٣) فى الأصل : « فتوه » ولعلها فترة وهى الضعف والانكسار .

الباب الأول

فى

التحاميد المقتبسة من القرآن وما يتصل بها من الثناء على الله تعالى بما هو أهله ، وذكر طرف من فضله ، ونعمه ، وسعة رحمته ، وسائر صفاته وأفعاله جل جلاله

الباب الأول

فى التحاميد المقتبسة من القرآن وما يتصل بها من الثناء على الله تعالى بما هو أهله وذكر طرف من فضله ونعمته وسعة رحمته[1]، وسائر صفاته وأفعاله جل جلاله .

فصـــل

فى نكت التحاميد

أحسن ما قرأته وسمعته فى فصل[2] التحميد ، وأوجزه ، وألطفه قول أحد البلغاء :

أحق ما أبتدى[3] به خطاب وصدر به كتاب حمد الله الذى جعله فاتحة تنزيل وخاتمة دعوى أهل جنته ؛ فقال تعالى : ﴿ **وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين** ﴾[4] .

وقال بعض السلف : إن الله تعالى رضى من شكر المؤمنين له على[5] إدخاله إياهم الجنة بأن قالوا ﴿ **الحمد لله الذى صدقنا وعده ، وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين** ﴾[6] .

لما قتل المهتدى[7] وقام[8] المعتمد[9] كتب إلى الموفق[10] : ﴿ **الحمد لله الذى**

---

(1) فى الأصل : « رحمه » .
(2) فى الأصل : « مصل » .
(3) فى الأصل : « ابتدي » .
(4) يونس : ١٠ .
(5) فى الأصل : « علي » .
(6) الزمر ٧٤ .
(7) هو المهتدى بالله أبو إسحاق محمد بن الواثق الخليفة العباسى ولد فى خلافة جده سنة بضع عشرة وثمانين . وبويع سنة ٢٥٥ هـ وقتل سنة ٢٥٦ هـ . تاريخ الخلفاء ٣٦٣ .
(8) فى الأصل : « واقام » .
(9) المعتمد على الله هو أبو العباس وقيل أبو جعفر أحمد بن المتوكل بن المعتصم ولد سنة ٢٢٩ هـ وتوفى سنة ٢٧٩ هـ . والموفق هو طلحة أبو المعتمد . انظر تاريخ الخلفاء ٣٦٣ ، ٣٦٤ .
(10) هو أبو أحمد طلحة بن جعفر المتوكل أمير عباسى لم يل الخلافة اسما ولكنه تولاها فعلا . ولد ببغداد ومات فيها سنة ٢٧٨ هـ . انظر تاريخ بغداد ٢ / ١٢٧ . الكامل لابن الأثير : حوادث سنة ٢٧٨ هـ .

أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ﴾ [11] .

عبد العزيز بن عمر [12] : الحمد لله الذى جعل أهل طاعته أحياء فى مماتهم ، وجعل أهل معصيته أمواتاً فى حياتهم . يريد قوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل (الله) [13] أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [14] . وقوله عز ذكره : ﴿ إنك لا تسمع الموتى ﴾ [15] . وقوله تعالى : ﴿ أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ [16] . وفى هذا المعنى ينشد :

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى[17]

وقرأت فى فصل لابن المعتز استحسنته جدا[18] وهو : الحمد لله الذى لما خلق الإنسان جعل عقله دليله ، والرسل هداته والملائكة رقباءه[19] والشهود عليه جوارحه ، ثم جعله حسيب نفسه[20] ، ورد إليه كتابه يوم نشره[21] يقرأه[22] . فلا يفقد حسنة عملها[23] ، ولا يجد فيه سيئة لم يقترفها[24] . لم يلزمه الله عبادته حتى فرغ من هدايته ، وأزاح علله ، بأن ضمن الرزق له ، ثم وعده ، وتوعده ، وأمره ، وعلمه ﴿ فتبارك الله رب العالمين ﴾ [25] .

نظر أعرابى إلى غمار الناس فى الموسم ، فقال : الحمد لله الذى أحصاهم عددا ، ولم يهمل منهم أحدا[26] .

---

(١١) فاطر : ٣٤ .

(١٢) فى الأصل : « عمير » وهو عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ابن الخليفة عمر بن عبد العزيز . توفى سنة ١٤٤ هـ وروى عن أبيه . انظر تهذيب التهذيب ٣ / ١٦٩ .

(١٣) زيادة ليست فى الأصل .

(١٤) آل عمران : ١٦٩ .

(١٥) النمل : ٨٠ .

(١٦) النحل : ٢١ .

(١٧) البيت لكثير عزة فى ديوانه من قصيدة رائياً بها صديقه تقع فى ٢٤ بيتا . وقبله :

يعز علىَّ أن نغدو جميعا وتصبح ثاويا رهنا بواد
فلو فوديت من حدث المنايا وقيتك بالطريف وبالتلاد

(١٨) فى الأصل : « فبدا » .

(١٩) فى الأصل : « رقباه » .

(٢٠) فى الأصل : « نفيسه » .

(٢١) فى الأصل : « بشره » .

(٢٢) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك ﴾ الإسراء ١٣ ، ١٤ .

(٢٣) فى الأصل : « علمها » .

(٢٤) فى الأصل : « سبيه .. نقترفها » .

(٢٥) غافر : ٦٤ .

(٢٦) إشارة إلى قوله تعالى — مريم : ٩٤ ، ٩٥ ﴿ لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ﴾ .

لما توفى عبد الملك بن عمر[٢٧] بن عمر بن عبد العزيز قال عمر[٢٨] : الحمد لله الذى جعل الموت واجبا[٢٩] على خلقه ، ثمّ سوى فيه بينهم فقال تعالى : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾[٣٠] .

ابن عبد كان[٣١] : الحمد لله ذى العز الشامخ والسلطان الباذخ ، والنعم السوابغ والحجج البوالغ ليس له كفؤ مكاثر ، ولا ضد منافر ، إذ[٣٢] به لا ينقص التدبير ، ويتم[٣٣] التقدير . يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار وهو اللطيف الخبير[٣٥] .

إبراهيم بن العباس[٣٦] : الحمد لله ذى الأسماء الحسنى والمثل الأعلى[٣٧] لا يؤوده حفظ[٣٨] كبير ولا يعزب عنه علم صغير[٣٩] ﴿ [**يعلم**][٤٠] **خائنة الأعين وما تخفى الصدور** ﴾ ، ﴿ **وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين** ﴾[٤١] .

---

(٢٧) عبد الملك بن عبد العزيز هو ابن الخليفة الأموى عمر كان صالحا تقيا قيل إنه كان يستشيره أبوه . انظر تاريخ الخلفاء : ٢٤٠ .

(٢٨) الخبر فى التعازى والمراثى للمبرد : ٤٦ .

(٢٩) فى التعازى : « حتما واجبا » وفى الأصل : « واجبا عليّ » .

(٣٠) آل عمران : ١٨٥ ، الأنبياء : ٣٥ . وبعد الاية فى التعازى : فليعلم ذوو النهى أنهم صائرون إلى قبورهم مفردون بأعمالهم ، واعلموا أن عند الله مسألة فاحصة فقال جل وعز ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين. عما كانوا يعملون** ﴾ .

(٣١) ابن عبد كان هو محمد بن عبد كان كاتب الدولة الطولونية . كان بليغا مترسلا وأديبا وله ديوان رسائل . انظر الفهرست : ٢٠٣ .

(٣٢) فى الأصل : « إذن » .

(٣٣) فى الأصل : « ولا » .

(٣٤) فى الأصل : « بدوك » .

(٣٥) من قوله تعالى فى سورة الأنعام :/١٠٣ ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** ﴾ .

(٣٦) إبراهم بن العباس أبو إسحاق الكاتب أحد البلغاء الشعراء الفصحاء ترأس ديوان الرسائل فى عهد جماعة من الخلفاء . انظر الفهرست : ١٨٢ .

(٣٧) فى الأصل : « الحسنى .. الاعلى » .

(٣٨) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة : ٢٥٥ ﴿ **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلى العظيم** ﴾ .

(٣٩) من سورة يونس : ٦١ ﴿ **وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين** ﴾ .

(٤٠) ما بين القوسين زيادة ليست فى الأصل وهو من الآية ١٩ من سورة غافر .

(٤١) الأنعام : ٥٩ .

أحمد بن يوسف[٤٢] : الحمد لله خلق الأشياء كلها على غير مثال وأنشأها على غير حدود ودبر الأمور بلا مشير ، وقضى فى الدهور بلا ظهير . وأمسك[٤٣] السماء بقدرته[٤٤] ، وبناها بإرادته وأسكنها ملائكته الذين اصطفاهم لمجاورته وجبلهم على طاعته[٤٥] ، ونزههم عن معصيته ، وجعلهم سكان سماواته ، وحملة عرشه ، ورسله إلى أنبيائه ﴿ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾[٤٦] . وبسط [الأرض][٤٧] لكافة خلقه ، وقسم بينهم الأرزاق وقدر لهم الأقوات . فهم فى قبضته يتقلبون ، وعلى أقضيته يجرون حتى يرث الأرض ومن عليها ﴿ وهو خير الوارثين ﴾[٤٨] .

وقال سعيد بن حميد[٤٩] : الحمد لله الذى خلق السماء بأيده فرفعها[٥٠] . ودحا الأرض بقدرته[٥١] فبسطها . وبث فيها من كل دابة ، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير[٥٢] .

وقال أبو على البصير[٥٣] : الحمد لله الذى قدر فسوى ، وخلق فهدى ، ولم يترك خلقه سدى[٥٤] ، ولكنه امتحنهم وابتلاهم ، وأمرهم ودعاهم لما يحييهم ، وندبهم إلى ماينجيهم فقال : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾[٥٥] .

---

(٤٢) أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح وزير من كبار الكتاب ولى ديوان الرسائل للمأمون ثم استوزره . توفى سنة ٢١٣ هـ انظر تاريخ بغداد ٥ / ٢١٦ .

(٤٣) فى الأصل : « ومسك » .

(٤٤) من قوله تعالى من سورة الحج : ٦٥ ﴿ ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ﴾ .

(٤٥) فى الأصل : « علىّ » .

(٤٦) فى الأصل : « ولا يفترون » .

(٤٧) فى الأصل « وبسطها » .

(٤٨) من قوله تعالى : ﴿ إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون ﴾ مريم : ٤٠ ومن قوله تعالى : ﴿ رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين ﴾ الأنبياء : ٨٩ .

(٤٩) سعيد بن حميد بن سعيد أبو عثمان كان متكلما فصيحا وله كتب ورسائل وتولى ديوان الرسائل للمستعين توفى بعد سنة ٢٥٧ هـ انظر الفهرست ١٨٥ .

(٥٠) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون ﴾ الذاريات : ٤٧ .

(٥١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ النازعات : ٣٠ .

(٥٢) من قوله تعالى فى سورة الشورى : ٢٩ .

(٥٣) أبو على البصير شاعر بليغ مترسل كانت بينه وبين أبى العيناء مهاجاة ومكاتبات ، وله فيه عدة أشعار : الفهرست ١٨٤ . انظر : كتابنا (أبو العيناء الأديب البصرى الظريف) : ص ٤٥ .

(٥٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة القيامة : ٣٦ ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾ .

(٥٥) النساء : ٥٩ .

وقال أبو القاسم على بن محمد الإسكافى[٥٦] . الحمد لله المعز المذل ، المرشد المبطل الذى يزهق الباطل بنعمائه[٥٧] ، **﴿ ويحق الله الحق بكلماته ﴾**[٥٨] **﴿ ولو كره المشركون ﴾**[٥٩] .

وقال[٦٠] : الحمد لله السابغ عطاؤه ، النافذ قضاؤه ، الذى ينتقم من الظالمين[٦١] **﴿ ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ﴾**[٦٢] .

فصـــل
فى دلالة التحميد على مايكتب من أجله

إذا كان المنشىء مبرزا أشار فى أول كلامه إلى غرضه . وهذه عادة لابن عبد كان المصرى مشهورة مستحسنة . كتب فى رسالة ذكر فيها استقامة الحال ، من والى الجيش وأمنه فقال : الحمد لله مقلب القلوب[٦٣] ، وعلام الغيوب[٦٤] الجاعل بعد العسر يسرا[٦٥] ، وبعد التفرق[٦٦] اجتماعا .

وحكى أحمد بن مهران عن سعيد بن حميد قال : ولدت بغلة فى أيام المعتمد وكنت على ديوان الرسائل إذ ذاك ، فأمرت أن أنشىء كتابا فى ذلك ، فلم أدر كيف أكتب ، وكيف أفتتح ، فغلبتنى عيناى ، فأتانى آت فى منامى[٦٧] . وقال لى : اكتب : الحمد لله

---

(٥٦) أبو القاسم الإسكافى أديب بليغ قيل عنه بأنه لسان خراسان وغرتها ، وواحدها وأوحدها فى الكتابة والبلاغة . انظر يتيمة الدهر ٤ / ٩٥ .

(٥٧) فى الأصل : « بنعماته » .

(٥٨) من قوله تعالى فى سورة يونس : ٨٢ .

(٥٩) من قوله تعالى : **﴿ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾** التوبة : ٣٣ .

(٦٠) فى الأصل : « وقال .. وله الحمد لله » .

(٦١) إشارة إلى قوله تعالى : **﴿ إنا من المجرمين منتقمون ﴾** السجدة : ٢٢ وقوله تعالى : **﴿ فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾** الروم : ٤٧ .

(٦٢) من سورة الأنعام:١٤٧ .

(٦٣) من قوله تعالى : **﴿ يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾** النور : ٣٧ .

(٦٤) من قوله تعالى : **﴿ قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب ﴾** المائدة : ١٠٩ .

(٦٥) من سورة الطلاق : ٧ **﴿ سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴾** .

(٦٦) فى الأصل : « تفرق » .

(٦٧) فى الأصل : « مقامى » .

(الذى يقر فى الأرحام ما يشاء بقدرته)[٦٨] ، ويصور فيها ما يريد بحكمته . قال : فابتهلت ، وابتدأت ، وأنشأت الكتاب عليه .

وذكر الصولى فى كتاب الأوراق : أن كتاب صاحب البريد بالدينور[٦٩] فى سنة ثلثمائة ورد على المقتدر يذكر أن بغلة [ولدت][٧٠] فلوة ، ونسخته[٧١] . وقال : الحمد لله ، كبرت[٧٢] لله ، الموقظ بعبره[٧٣] قلوب الغافلين ، والمرشد بآياته عقول[٧٤] العارفين ، الخالق لما يشاء كيف يشاء بلا مثال[٧٥] ، ذلك الله البارى المصور له الأسماء الحسنى[٧٦] . وفيما قضاه المصور فى الأرحام ما يشاء إن الموكل بالتطواف[٧٧] بقرميسين[٧٨] رفع يذكر أن بغلة لرجل يعرف بأبى بردة من أصحاب أحمد بن أبى على المرى وضعت فلوة ، ويصف[٧٩] اجتماع الناس لذلك ، وتعجبهم[٨٠] مما عاينوا منه ، فبعثت من جاءنى بالبغلة ، فوجدتها كميتا[٨١] خلوقية[٨٢] . ورأيت الفلوة سوية الخلق ، تامة الأعضاء ، يشبه ذنبها أذناب الدواب[٨٣] ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾[٨٤] .

---

(٦٨) من قوله تعالى فى سورة الحج : ٥ ﴿ ونقر فى الأرحام ما نشاء ﴾ .

(٦٩) الدينور : مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين بينها وبين همذان عشرون فرسخا . معجم البلدان (دينور) .

(٧٠) زيادة يقتضيها السياق ليست فى الأصل .

(٧١) الخبر والرسالة فى تاريخ الطبري : حوادث سنة ٣٠٠ هـ وذكر الخبر ولم تذكر الرسالة فى المنتظم ٦ / ١١٥ .

(٧٢) فى الأصل : « وكبرت » .

(٧٣) فى الأصل : « بعيرة » وفى الطبرى : (بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الموقظ ...) .

(٧٤) فى الطبرى : (الباب العارفين) .

(٧٥) فى الطبرى : (الخالق ما يشاء بلا مثال) .

(٧٦) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الإسراء : ١١٠ ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ الأعراف : ١٨٠ ، والحشر : ٢٤ .

(٧٧) فى الأصل : لقطوف أو بقرمليسين والصواب ما أثبتناه وكما فى الطبرى .

(٧٨) فى الأصل : قرمليسن والصواب قرماسين أو قرميسين مدينة فى بلاد الجبل . انظر مختصر البلدان : ١٩٣ ، وفى معجم البلدان (قرميسين بلد معروف بينه وبين همدان ثلاثون فرسخا قرب الدينور) وفى الطبرى قرماسين .

(٧٩) فى الأصل : « ويصفر » .

(٨٠) فى الطبرى : « تعجبوا لما عاينو »

(٨١) الكميت صفة للفرس وهو الذى يضرب لونه بين الحمرة والسواد .

(٨٢) الخلوقية من الخلق أى تامة الخلق يقال (رجل خليق ومختلق أى تام الخلق) .

(٨٣) فى الطبرى : (فوجهت من أحضرنى البغلة والفلوة فوجدت البغلة كمتاء خلوقية ، والفلوة سوية الخلق تامة الأعضاء ، منسدلة الذنب ، سبحان الملك القدوس لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب) .

(٨٤) المؤمنون : ١٤ .

فصـــل
فى عجائب الخلـق

قال الجاحظ : كان بعض المفسرين يقول[٨٥] : من أراد أن يعرف قوله جل ذكره : ﴿ **ويخلق مالا تعلمون** ﴾[٨٦] فليوقد ناراً عظيمة ، وسط غيضه[٨٧] ، أو فى صحراء[٨٨] . ثم لينظر [إلى][٨٩] ما يغشي تلك النار من أصناف الخلق والحشرات والهمج[٩٠] ، فإنه سيرى صوراً ، ويتعرف خلقاً لم يكن يظن أن الله خلق شيئاً من ذلك فى هذا العالم[٩١] . قال الله تعالى : ﴿ **ويخلق ما لا تعلمون** ﴾[٩٢] ، (فما كان سبيله أن يعلم[٩٣] ، فلينظر فيما ذكر الله عز اسمه)[٩٤] .

وذكر دعبل[٩٥] فى كتاب الشعراء أنه عثر على قهندز[٩٦] فى مرو فوجدوا فيه سنين[٩٧] كبيرين فى كل واحد منهما وزن منوين[٩٨] ، فحملتا إلى عبد الله بن المبارك[٩٩] فتعجب منهما ، وقال[١٠٠] .

أتـيـت بسنين قد رمتـا   من الطين[١٠١] لما أثاروا الدفينا[١٠٢]

---

(٨٥) النص من الحيوان ٢ / ١١٠ .   (٨٦) النحل : ٨ .

(٨٧) الغيضة : الأجمة وهى مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر والجمع غياض . الصحاح : (غيض) .

(٨٨) فى الحيوان : « فى صحراء برية » .   (٨٩) زيادة ليست فى الأصل .

(٩٠) فى الأصل : « المهج » والصواب ما أثبتناه وكما ورد فى الحيوان . والهمج : ضرب من البعوض .

(٩١) فى الحيوان : « فى ذلك » .   (٩٢) النحل : ٨ .

(٩٣) عبارة « سبيله أن يعلم » كررت مرتين فى أصل المخطوط .

(٩٤) ما بين القوسين غير موجود فى نص الحيوان .

(٩٥) هو دعبل بن على بن رزين شاعر متقدم مطبوع ، هجاء ، له ديوان شعر مطبوع وله كتاب طبقات الشعراء . انظر ترجمته فى الفهرست : ٢٣٥ .

(٩٦) فى الأصل : « مهبند » والقهندز معرب كهن دز أى قلعة عتيقة . انظر : تاريخ البيهقى : ٢٨٠٣ الشاهنامة ـ ترجمة عزام .

(٩٧) فى الأصل : « تسنتين ، كبيرتين .. واحدة » .

(٩٨) فى الأصل : « مثوين » والصواب ما أثبتناه والمنوان مثنى من وهو وزن رطلين ، والجمع أمنان .

(٩٩) عبد الله بن المبارك من سكان خراسان جمع بين الزهد والورع والفقه واللغة والشعر ، ولد سنة ١١٨ وتوفى نحو سنة ١٨١ . انظر صفة الصفوة ٤ / ١٠٩ .

(١٠٠) فى الأصل : « تسنتين كبيرتين » .   (١٠١) فى الأصل : « الحصين » ..

(١٠٢) الخبر فى شعر عبد الله بن المبارك ص ٦٣ عن تاريخ دمشق ٦ / ٢٦١ أو ما بعدها ، وبهجة المجالس ٢ / ١٥٥ =

على قدر منوين إحداهما يقل[103] بها المرء شيئاً رزينا
ثلاثون أخرى على قدرها تباركت يا أحسن الخالقينا[104]

قال الأصمعي : كان بشار بن برد يقول : ماف الأرض أحسن من الإنسان . فإذا قيل له ، فكيف ؟ قال : سمعت الله يقول : ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ﴾[105] . قال : فعلمت أن القول لم يطلق هذا الإطلاق ، وهو يمر بالمتصنعين ، والعيابين والمعاندين ، فلا يعارضه أحد بالتكذيب ، إلا والأمر على ماوصف .

قال : وحكى غير الأصمعي أن بشاراً ـــ كان أعمى أكمه ـــ كذلك قال يوما بعد أن أطال السكوت ، وتنفس الصعداء أما والله إنى لست أتلهف على مايفوتنى من رؤية هذا العالم إلا على شيئين اثنين . قيل : وما هما يا أبا معاذ ؟ قال : الإنسان والسماء . قيل ولم ؟ قال : لأن الله يقول ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ﴾[106] ويقول ﴿ لقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾[107] فلا شىء أحسن مما ذكره الله (بأنه)[108] خلقه فى أحسن تقويم ، ومما ذكر أنه زينه ، أفلا تشق[109] على رؤيتهما وفى الله عوض من كل فائت .

وفى كتاب الفرج بعد الشدة[110] بإسناده لصاحبه أن عيسى بن موسى الهاشمى[111] كانت له امرأة من بنات أعمامه لا يرى بها الدنيا . فقال لها يوما وقد أعجبته جدا[112] : أنت طالق إن لم تكونى أحسن من القمر . فصكت وجهها ودقت صدرها[113] . ثم

= مصادر أخرى وفيه أن عبد الله بن المبارك سمع يقول : حفروا بخراسان حفيرا فوجدوا فيها رأس إنسان فوزنوا سنا من أسنانه فإذا فيه سبعة أساتير فقال عبد الله بن المبارك . . . والأساتير يوازى ٥ ، ٢٠ غراما فوزن السن يقارب ١٥٠ غراما .

(١٠٣) فى الأصل : « يقبل » وروايته فى شعر عبد الله بن المبارك :

على وزن منوى إحداهما تقل بها الكف شيئا رزينا

(١٠٤) روايته فى شعر عبد الله بن المبارك : « ثلاثين أخرى على قدرها » .

(١٠٥) التين : ٤ .

(١٠٦) نفسها .

(١٠٧) الملك : ٥ .

(١٠٨) فى الأصل : « فأن الله » .

(١٠٩) فى الأصل : « فلا تشق » .

(١١٠) الفرج بعد الشدة كتاب لأبى على المحسن التنوخى وهو كتاب مطبوع .

(١١١) عيسى بن موسى الهاشمى أحد رجال العباسيين وقوادهم المشهورين وكان ولى عهد الخليفة المنصور قبل أن يجعلها فى ابنه المهدى . انظر مروج الذهب جـ ٣ ـــ ٢٥٢ ، ٢٨١ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ .

(١١٢) فى الأصل : « وجدا » .

(١١٣) فى الأصل : « بحذها » .

قامت واستترت ، ولم تشك فى أنها طلقت . وبلغ الهم بتلك الحال من عيسى كل مبلغ ، واشتد جزعه ، واضطرابه فأمر بجميع أعيان الفقهاء فلما حضروا استفتاهم فيها ، فما منهم إلا من أفتى بطلاقها ، وفيهم شاب[114] ، رث الهيئة[115] ، لا ينطق . فقال عيسى : ما سكوتك يا فتى ؟ فقام ونادى بأعلى صوته : أمسك عليك زوجك أيها الأمير ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم** ﴾ . فلا شىء أحسن منه . فقالوا جميعاً : لقد قال قولاً سديداً ، وحكموا له بالإصابة ، واتفقوا على أنها لم تطلق ، فسرى عن عيسى ، وسر غاية السرور ، وأمر للفتى بصلة وخلعة[116] .

قال الجاحظ[117] :

أو ماعلمت[118] أن الإنسان الذى خلق الله السموات والأرض وما بينهما لأجله[119] كما قال الله تعالى : ﴿ **وسخر لكم مافى السماوات وما فى الأرض جميعا منه** ﴾[120] . وقال : إنما سمّوه العالم الصغير سليل العالم الكبير[121] ، ووجدوا له الحواس الخمس ، ووجدوه يأكل اللحم ، والحب ، ويجمع بين ما تقتاته البهيمة والسبع ، ووجدوا فيه صولة الجمل ، ووثوب الأسد وغدر الذئب ، وروغان الثعلب ، وحنين[122] الصفرد[123] ، وجمع الذرة ، وصنعة[124] السرفة[125] ، وجود الديك ،

---

(١١٤) فى الأصل : « شاءت » .   (١١٥) فى الأصل : « الهبة » .

(١١٦) الخبر فى الفرج بعد الشدة : ١ : ٤١١ وفيه : أن عيسى بن موسى الهاشمى حين احتجبت زوجته عنه بات ليلة عظيمة ، فلما أصبح غدا على المنصور وأخبره الخبر ، وقال له : يا أمير المؤمنين ، إن تم على طلاقها تلفت نفسى عليها ، وكان الموت أحب إلى من الحياة ،وأظهر للمنصور جزعا شديدا . فأحضر المنصور الفقهاء واستفتاهم . فقال جميع من حضر : قد طلقت إلا رجلا واحدا من أصحاب أبى حنيفة (رضى الله عنه) فإنه سكت فقال له المنصور : مالك لا تتكلم ، فقال : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم . والتين والزيتون . وطور سنين . وهذا البلد الأمين . لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم** ﴾ فلا شىء يا أمير المؤمنين أحسن من الإنسان فقال المنصور لعيسى بن موسى : قد فرج الله عز وجل عنك ، والأمر على ما قال ، فأقم على زوجتك وراسلها أن أطيعى زوجك . والآية من سورة التين : ٤ .

(١١٧) النص فى الحيوان ١ / ٢١٢ .   (١١٨) فى الأصل : « وما علمت » .

(١١٩) فى الحيوان ١ / ٢١٢ : « من اجله » .   (١٢٠) الجاثية : ١٣ .

(١٢١) فى الحيوان : « لما وجدوا فيه من جميع أشكال ما فى العالم الكبير ووجدنا له الحواس الخمس ، ووجدوا فيه المحسوسات الخمس » .

(١٢٢) فى الأصل : « وحيتين » .

(١٢٣) الصفرد : طائر تسميه العامة أبا المليح وفى المثل أجبن من صفرد . انظر لسان العرب (صفر) .

(١٢٤) ، (١٢٥) فى الأصل : « وصغد » وهو خطأ فى النسخ والسرفة دويبة سوداء الرأس، وسائرها أحمر تتخذ لنفسها بيتا مربعا من دقائق العيدان تضم بعضها إلى بعض بلعابها . لسان العرب (سرف) .

وإلف الكلب ، واهتداء الحمام . وقال : وسموه العالم الصغير ، لأنه يصور كل شيء بيده ، ويحكى كل صوت بفمه ، ولأن أعضاءه[١٢٦] مقسومة على البروج الإثنى عشر ، والنجوم السبعة وفيه الصفراء ؛ وهى من نتاج النار ، والسوداء ؛ وهى من نتاج الأرض ، وفيه الدم وهو من نتاج الهواء . وفيه البلغم ؛ وهو من نتاج الماء ﴿ **فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ .

فى قول الله ﴿ **يزيد فى الخلق مايشاء** ﴾[١٢٧] يعنى : الوجه الحسن[١٢٨] . اقتبس أبو فراس الحمدانى اللفظ والمعنى فقال فى الغزل[١٢٩] .

كان قضيبا له انثناء وكان بدرا له ضياء[١٣٠]
فزاده ربـــه عذارا تم به الحسن والبهاء
لا تعجبوا ربنا قدير يزيد فى الخلق ما يشاء[١٣١]

وقرأت فى أخبار أبى نواس من الكتاب المستنير تأليف أبى عبيد الله المرزبانى[١٣٢] أن أبا نواس لما أنشد النظام[١٣٣] قوله[١٣٤] :

---

(١٢٦) حدث تقديم وتأخير فى هذا النص الذى نقله الثعالبى من الجاحظ .

(١٢٧) من قوله تعالى فى سورة فاطر : ١ ﴿ الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء ﴾ .

(١٢٨) فى تفسير الطبرى ٢٢ / ١١٤ : أن الزيادة فى خلق أجنحة الملائكة وتفاوتها ،وورد هذا الشرح فى تفسير الرازى ٢٦ / ٢ . ومن المفسرين من خصصه وقال المراد به : الوجه الحسن ، ومنهم من قال : الصوت الحسن ، ومنهم من قال : كل وصف محمود . والأولى أن يعم .

(١٢٩) الأبيات فى ديوان أبى فراس ٢ / ٥ .

(١٣٠) بعده فى ديوان أبى فراس :

وكان يحكى الهلال وجها والناس فى حبه سـواء

(١٣١) روايته فى ديوان أبى فراس :

كذلك الله كل وقـت يزيد فى الخلق ما يشـاء

(١٣٢) هو محمد بن عمران بن موسى ، أبو عبد الله أخبارى مؤرخ أديب صاحب كتابى معجم الشعراء والموشح المشهورين . ذكر له ابن النديم كتاب المستنير فى أخبار الشعراء المحدثين .

(١٣٣) النظام هو إبراهيم بن سيار البصرى أحد كبار المعتزلة وإليه تنسب الفرقة النظامية .توفى فى خلافة المعتصم سنة بضع وتسعين وعشرين ومائتين . انظر : تاريخ بغداد ٦ / ٩٧ .

(١٣٤) الأبيات فى ديوانه : ٦١٩ .

سبحان من خلق الخلـ ـق من ضعيف مهين
يسوقه من قرار إلى قرار مكين[١٣٥]
يحول شيئا فشيئا فى الحجب دون العيون[١٣٦]
حتى بدت حركات مخلوقة من سكون

قال النظام : نبهتنى والله لشيء كنت عنه غافلا . ووضع كتابه فى الحركة والسكون .

فصل
فى لمع من صفاته عز ذكره

يروى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه خرج يوما من داره ، وقد جاء عامر بن عبد القيس[١٣٧] فقعد فى دهليزه . فلما رأى عثمان به رجلاً شيخاً متلفعاً بعباءة أنكره . وأنكر مكانه . فقال : يا أعرابى : أين ربك ؟ قال : بالمرصاد[١٣٨] يا أمير المؤمنين . (ويقال)[١٣٩] إن عثمان لم يفحمه أحد غير عامر هذا .

قال بعض العلماء : من شأن الله كل يوم أن يجيب داعياً ، ويعطى سائلاً ، ويغنى فقيرا ، ويشفى سقيما ، ويهلك جبارا عنيدا[١٤٠] ، وذلك قوله تعالى : ﴿ كل يوم هو

(١٣٥) روايته فى الديوان :

يسوقه فى هواء إلى قرار مكين

(١٣٦) روايته فى الديوان :

فى الحجب شيئا فشيئا يحور دون العيون

(١٣٧) عامر بن عبد القيس بن ثابت التميمى ويقال عامر بن عبد الله تابعى ثقة من كبار التابعين ، وكان بينا فصيحا توفى فى خلافة معاوية . انظر صفة الصفوة ٣ / ١١٦ ، ١٣٥ ، الإصابة ١ / ١٤٧ .

(١٣٨) من قوله تعالى : ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ الفجر : ١٤ .

(١٣٩) ما بين القوسين زيادة من هامش المخطوط . وفى تاريخ الطبرى ٥ / ٩٤ : نقل هذا الخبر فى سياق حديث عن اجتماع الناس على عثمان وأنهم قرروا أن يرسلوا رجلا منهم يكلمه فأرسلوا عامر بن عبد القيس فأتاه فدخل عليه فقال له : إن ناسا من المسلمين اجتمعوا فنظروا فى أعمالك ، فوجدوك قد ركبت أمورا عظاما فاتق الله عز وجل ، وتب إليه ، وانزع عنها . قال عثمان : انظر إلى هذا ، فإن الناس يزعمون أنه قارئ ، ثم هو يجيئنى فيكلمنى فى المحقرات . فوالله ما يدرى أين الله . قال عامر : بلى والله لأدرى ، إن الله بالمرصاد لك .

(١٤٠) أورد الطبرى آراء العلماء فى تفسير الآية المذكورة أعلاه ومعظمها تجمع على أنه سبحانه وتعالى كل يوم يجيب داعيا ويكشف كربا ويجيب مضطرا ، ويغفر ذنبا ، وكل يوم هو فى شأن خلقه فيفرج كرب ذى كرب =

في شأن ﴾[١٤١] .

وأتى الحجاج برجل من الخوارج ، وأمر بضرب عنقه . فقال له : إن رأيت أن تؤخرني إلى غد فافعل . فقال : ولم ؟ فأنشأ يقول :

عسى فرج يأتى به الله إنه له كل يوم فى خليقته أمر

فقال الحجاج : انتزعته من قول الله تعالى : ﴿ **كل يوم هو فى شأن** ﴾[١٤٢] وأمر بتخلية سبيله .

ولما خبر[١٤٣] أبو حازم الأعرج[١٤٤] سليمان بن عبد الملك بوعيد الله[١٤٥] للمذنبين ، قال سليمان : فأين رحمة الله ؟ قال قريب من المحسنين .

سئل يزيد بن موسى ، لم سمى الله بالمؤمن ؟ فقال : لأنه يؤمن من عذابه من آمن

وكيع بن الجراح[١٤٦] قال :

رأيت فى المنام رجلا له جناحان فقلت له : من أنت ؟ فقال : ملك من ملائكة الله تعالى . فقلت له : أسألك ؟ قال : سل ، فقلت : ماالسم الله الأعظم ؟ فقال : الله . فقلت : وما برهان ذلك ؟ قال : إنه قال لموسى عليه السلام ﴿ **إنى أنا الله** ﴾[١٤٧] ولو كان له اسم أعظم منه لقاله تعالى ذكره .

= ويرفع قوما ويخفض آخرين ، وغير ذلك . انظر:جامع البيان ٢٧ / ١٣٤ .

(١٤١) الرحمن : ٢٩ .   (١٤٢) نفسها .

(١٤٣) فى الأصل: « خبروا » .

(١٤٤) أبو حازم الأعرج اسمه سلمان مولى عزة الأشجعية ، كان من خيار زمانه حكمة وزهدا توفى فى خلافة عمر ابن عبد العزيز : مشاهير علماء الأمصار : ١٠٨ .

(١٤٥) الخبر فى البيان والتبيين ٣ / ١٤٣ وفى ثمار القلوب : ٢٤ قال سليمان بن عبد الملك لأبى حازم الأعرج وقد خوفه الله فى موعظته له حتى أبكاه . فأين رحمة الله ؟ فقال أبو حازم ﴿ **قريب من المحسنين** ﴾ .

(١٤٦) وكيع بن الجراح يكنّى أبا سفيان الكوفى العابد امتنع عن قضاء الكوفة . ولد سنة ١٢٨ هـ وتوفى نحو ١٩٦ . انظر صفة الصفوة ٣ / ١٠٢ .

(١٤٧) طه : ١٤ .

فصــــل

فى سعــة مغفرتــه ورحمــته

سمع أعرابى ابن عباس يقرأ : ﴿ **وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها** ﴾[١٤٨] فقال : نجونا ورب الكعبة ، ما أنقذنا منها وهو يريد أن يلقينا فيها . فقال ابن عباس : خذوها من غير فقيه .

قال النبى ﷺ : « لو لم يذنب العباد لخلق الله عباداً يذنبون فيغفر لهم إنه هو الغفور الرحيم »[١٤٩] .

وعن ابن عباس فى قوله: ﴿ **غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب** ﴾[١٥٠] قال : غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله ، وقابل التوب ممن قالها ، شديد العقاب لمن لم يقلها[١٥١] .

أتى مطرف بن عبد الله[١٥٢] مجلس مالك (بن)[١٥٣] دينار وقد قام فقال له أصحابه لو تكلمت ؟ فقال : هذا ظاهر حسن ﴿ **إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا** ﴾[١٥٤] .

قتادة فى قوله تعالى : ﴿ **إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب** ﴾[١٥٥] . قال ، اجتمع أصحاب محمد ﷺ على أن كل ذنب أتاه عبد عمدا فهو بجهالة[١٥٦] .

---

(١٤٨) آل عمران : ١٠٣ .

(١٤٩) هناك أكثر من حديث فى هذا المعنى ، راجع مادة (ذنب) فى معجم فنسنك ، ألا من مذنب مستغفر : مسند الإمام أحمد ١ / ١٢٠ ، ٥٠٩ هل من مذنب ٣ / ٢٤ ، ٤٩ فى مسند الإمام أحمد أيضا .

(١٥٠) غافر : ٣ .

(١٥١) فى تفسير الطبرى ٢٤ / ٤١ « شديد العقاب لمن عاقبه من أهل العصيان » .

(١٥٢) مطرف بن عبد الله بن الشخير يكنى أبا عبد الله . كان زاهدا من كبار التابعين ، ثقة فيما رواه من الأحاديث ولد فى حياة النبى ﷺ وتوفى فى الكوفة نحو سنة ٨٧ هـ انظر حلية الأولياء ٢ / ١٩٨ ، ٢١٢ وانظر أيضا الأعلام . الزركلى ٨ / ٥٤ .

(١٥٣) فى الأصل : « مالك دينار » وهو خطأ فى النسخ ومالك هذا يكنى أبا يحيى من أشهر رواة الحديث ، كان ورعا زاهدا يكتب المصاحف بالأجرة ويأكل من كسبه . انظر حلية الأولياء ٢ / ٣٥٧ .

(١٥٤) الإسراء : ٢٥ ، والخبر فى الحيوان ٣ / ١٦٠ .

(١٥٥) النساء : ١٧ .

(١٥٦) هذا رأى ابن مجاهد ، والضحاك وعكرمة . ورأى آخرون أن كل شىء عصى به فهو جهالة عمدا كان أو غيره . راجع آراءهم فى تفسير الطبرى ٤ / ٢٩٩ .

وعن النبي ﷺ[١٥٧] : « إن الله يعطى كل مؤمن جوازاً على الصراط وفيه : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من الله الغفور الرحيم لفلان بن فلان . أما بعد ، فادخلوا جنة عالية ، قطوفها دانية »[١٥٨] .

قال : قارف الزهرى[١٥٩] ذنباً فاستوحش من الناس وهام على وجهه ، فقال له زيد ابن على بن الحسين رضى الله عنهم : يازهرى ، لقنوطك من رحمة الله التى وسعت كل شيء أشد عليك من ذنبك[١٦٠] . فقال الزهرى : الله يعلم حيث يجعل رسالته[١٦١] ورجع إلى حاله وأهله .

قال ابن عباس :

أرجى آية فى كتابه عز ذكره ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾[١٦٢] . قال : وأرجى منها قوله تعالى :

﴿ **ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ [١٦٣] .

وقال غيره :

أرجى آية فى كتاب الله عز وجل ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين** ﴾ [١٦٤] . قال : يعنى علوا فى الأرض كعلو فرعون ، وفسادا كفساد فرعون ، والعاقبة للمتقين الذين تبرأوا من هاتين الخصلتين ، والله أعلم .

---

(١٥٧) كتب الصحاح ومعجم فنسنك خلو من هذا الحديث .

(١٥٨) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه . إنى ظننت أنى ملاق حسابيه . فهو فى عيشة راضية . فى جنة عالية** ﴾ الحاقة ١٩ - ٢٢ .

(١٥٩) الزهرى هو محمد بن مسلم يكنى أبا بكر أحد الفقهاء والمحدثين التابعين لقى عشرة من الصحابة ، وروى عنه جماعة من الأئمة توفى نحو ١١٤ هـ وقيل ١٢٣ هـ وقيل ١٢٥ هـ . انظر:وفيات الأعيان ٣ / ٣١٨ .

(١٦٠) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون** ﴾ الحجر : ٥٦ وقوله تعالى:﴿ **قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ الزمر : ٥٣ .

(١٦١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأنعام : ١٢٤ .

(١٦٢) النساء : ٤٨ .

(١٦٣) الزمر : ٥٣ .

(١٦٤) القصص : ٨٣ .

فصـــــل
فى ذكــر نعمتـــه عز وجـل

قول بعض السلف :

إذا أردت أن تعلم نعمة الله عليك ، مغمص عينيك ، ثم افتحهما ليتبين لك مصداق قوله تعالى : ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ (١٦٥) .

وقلت فى كتاب المبهج(١٦٦) :

سبحان من لا يحصر نعمه حاصر ، فكل حساب عنها قاصر(١٦٧) ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾(١٠٨) .

لما بنى المنصور مدينة بغداد أخبره نوبخت المنجم بما تدل عليه النجوم من طول ثباتها وكثرة عمارتها وانصباب(١٦٩) الدنيا عليها ، وفقر الناس إليها فقال المنصور : ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾(١٧٠) .

ويقال إن الكتاب أخذوا قولهم(١٧١) وأتم نعمته عليك وزادها(١٧٢) أخذوه من قول عدى بن الرقاع العاملى(١٧٣) .

صلى الإلـــه على امرىء ودعته   وأتـــم نعمتـــه عليـــك وزادها

---

(١٦٥) إبراهيم : ٣٤ .

(١٦٦) النص فى المبهج : ٥١ وأوله : « تعالى الله ما ألطف صنعته ، وما أتقن صنيعته وما أحسن صبغته . سبحان من لا تعده الأوهام والألسنه ، ولا تغيره الشهر والسنة ، ولا تأخذه النوم والسنة » .

(١٦٧) فى المبهج ٥١ : سبحان من لا يخلى عبيده عند المحن من المنح ، وفى النقم من النعم ، سبحان مقدر الأقوات على اختلاف الأوقات ، سبحان من نعمه لا تحصى ، مع كثرة ما يعصى .

(١٦٨) إبراهيم : ٣٤ وهى غير موجودة فى تحميد المبهج .

(١٦٩) فى الأصل:« وانصاب » .

(١٧٠) الحديد : ٢١ .

(١٧١) فى الأصل:« قوله » .

(١٧٢) القول إشارة إلى سورة يوسف الآية : ٦ ، وفى الأصل : « زاد فيها » .

(١٧٣) عدى بن الرقاع بن زيد بن مالك من عامله شاعر كبير من أهل دمشق كان مهاجيا لجرير ومدح بنى أمية انظر : معجم الشعراء : ٨٦ .

فصـــل
فى ذكـره سبحـانه

سئل النبى ﷺ عن أرفع عباد الله درجة يوم القيامة فقال : « الذاكرون الله كثيراً والذاكرات »[١٧٤] . قيل ، يا رسول الله والمجاهد فى سبيل الله ؟ قال ، لو ضرب بسيفه فى الكفار حتى يخضب دما وينكسر ، لكان الذاكرون الله أفضل[١٧٥] .

وعن سعيد بن جبير ، فى قوله تعالى ﴿ **فاذكرونى أذكركم** ﴾[١٧٦] . قال اذكرونى بالظلمة أذكركم بالعصمة[١٧٧] .

فصـــل
فى تقديـره جـل جـلاله

لما طعن أبو لؤلؤة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو فى المحراب يصلى بالناس صلاة الصبح جمع ملحفته[١٧٨] على بطنه وقال : ﴿ **وكان أمر الله قدرا مقدورا** ﴾[١٧٩] .

ولما خرج شبيب الخارجى[١٨٠] من الكوفة يريد الأهواز ، وقد فعل الأفاعيل ارتطم فرسه فى (نهر) دجيل[١٨١] فغرق وهو يقول ﴿ **ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾[١٨٢] .

---

(١٧٤) من قوله تعالى : ﴿ **والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما** ﴾ الأحزاب : ٣٥ .

(١٧٥) فى مسند أحمد بن حنبل عن أبى سعيد الخدرى أنه قال : قلت يا رسول الله أى العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال الذاكرون الله كثيرا قال قلت ، ومن الغازى فى سبيل الله ؟ قال : لو ضرب بسيفه فى الكفار المشركين حتى ينكسر » .

(١٧٦) البقرة : ١٥٢ . وفى الأصل : « اذكرونى » .

(١٧٧) ورد غير هذا التفسير عن سعيد بن جبير فى تفسير الطبرى ٢ / ٣٧ وهو اذكرونى بطاعتى أذكركم بمغفرتى .

(١٧٨) الملحفة واحدة الملاحف وهى نوع من الثياب . الصحاح (لحف) .

(١٧٩) الأحزاب : ٣٨ .

(١٨٠) شبيب الخارجى هو أبو الضحاك شبيب بن يزيد خرج على الدولة الأموية وقاتله الحجاج فى معارك عديدة ونجا بنفر قليل من أصحابه ، ثم مرَّ بجسر دجيل ونفر به فرسه فألقاه فى الماء ومات . انظر:الطبرى ٧ / ٢٥٥ البداية والنهاية ٩ / ٢٠ ، الأعلام ٣ / ٢٢٩ .

(١٨١) فى الأصل:« وحل » .

(١٨٢) الأنعام : ٩٦ وفى تاريخ الطبرى : أن حافر رجل فرس شبيب نزل على حرف السفينة فسقط فى الماء . فلما =

وقال بعض الشعراء :

كم من لبيب راجح علمه مستحصف الرأى[183] مقل[184] عديم

ومن جهول وافر ماله ﴿ ذلك تقدير العزيز العليم ﴾

قال : دخل[185] أبو الجماز على قتيبة بن مسلم[186] ، وبين يديه رجل يضرب بالعصا . فقال له : أيها الأمير ، قد جعل الله لكل شيء قدرا[187] ، ووقت له وقتا[188] فالعصا للأنعام والهوام ، والبهائم العظام . والسوط للحدود ، والتعزير[189] . والدرة[190] للتأديب ، والسيف لقتال العدو والقود[191] . فقال قتيبة : صدقت . وأمر برفع الضرب عن المضروب ، وتخلية[192] سبيله .

فصل

فى الشفاء ، من عند الله تعالى

قيل لسفيان بن عيينة[193] فى مرض عرض له ، ألا ندعو لك طبيبا ؟ فقال : **﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير ﴾** [194] .

= سقط قال : **﴿ ليقضى الله أمرا كان مفعولا ﴾** فارتمى فى الماء ثم ارتفع فقال : ذلك تقدير العزيز الحكيم . وفى البداية والنهاية أنه لما ألقاه جواده فى نهر دجيل قال له رجل : أغرقا يا أمير المؤمنين ؟ قال : **﴿ ذلك تقدير العزيز العليم ﴾** .

(١٨٣) مستحصف الرأى أى حكيم العقل .

(١٨٤) فى الأصل : « عذيم » والصواب عديم من العدم وهو الفقر وأعدم الرجل افتقر فهو معدم وعديم .

(١٨٥) فى الأصل: « وحل » .

(١٨٦) قتيبة بن مسلم الباهلى كان أبوه كثير القدر عند يزيد بن معاوية ، وكانت له أخبار كثيرة فيما وراء النهر وتولى خراسان مدة ١٣ سنة وقتل بفرغانة . انظر معجم الشعراء : ٢١٢ ، الأعلام ٦ : ٢٨ .

(١٨٧) إشارة إلى قوله تعالى: **﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا ﴾** الطلاق : ٣ .

(١٨٨) إشارة إلى آيات كثيرة من القرآن الكريم انظر مثلا العنكبوت : ٢٩ .

(١٨٩) التعزير: التأديب ومنه سمى الضرب دون الحد تعزيرا . الصحاح (عزر) .

(١٩٠) الدرة: التى يضرب بها انظر (الصحاح) (درر) .

(١٩١) القود : القصاص . انظر لسان العرب (قود) .

(١٩٢) فى الأصل: « وتحلية » .

(١٩٣) سفيان بن عيينة يكنى أبا محمد مولى بنى هلال بن عامر مات سنة ١٩٨ . انظر الطبقات : ٢٨٤ .

(١٩٤) الأنعام : ١٧ .

وقيل في مثل ذلك لإبراهيم بن أدهم(١٩٥) . فقال ﴿ **وإذا مرضت فهو يشفين** ﴾(١٩٦) .

وقلت في كتاب المبهج : إذا مسك الضر فالله يكفيك ، وإذا شفك السقم فالله يشفيك .

فصـــــل
في اقتران وعده بوعيده عز وجل

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : إن الله عز وجل قرن(١٩٧) آية العذاب بآية الرحمة ليكون العبد راغبا ، راهبا . قال الله تعالى : ﴿ **واعلموا أن الله شديد العقاب** ﴾(١٩٨) ، ﴿ **وأن الله غفور رحيم** ﴾(١٩٩) . وقال جل ذكره : ﴿ **نبيء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم . وأن عذابى هو العذاب الأليم** ﴾(٢٠٠) . وقال تعالى ﴿ **إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم** ﴾(٢٠١) .

وكان بعض النساك إذا أوى إلى فراشه قال : ياليت أمي لم تلدني . فقالت له امرأته : إن الله قد أحسن إليك وهداك(٢٠٢) ، قال : أجل ، ولكن بين لنا أنا واردوها ، ولم يبين لنا أنا صادرون عنها يعنى قوله (تعالى)(٢٠٣) ﴿ **وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا** ﴾(٢٠٤) .

قالت ابنة الربيع بن خثيم(٢٠٥) له : يا أبت مالك لا تنام ، والناس نيام ؟ فقال : يا بنية ، أخاف البيات(٢٠٦) . إن الله تعالى يقول ﴿ **أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا**

---

(١٩٥) إبراهيم بن أدهم يكنى أبا إسحاق العجلى البلخى الزاهد توفى في بلاد الروم سنة ١٦١ هـ ، انظر صفة الصفوة ٤ / ١٢٧ .

(١٩٦) الشعراء : ٨٠ .

(١٩٧) في الأصل : « قزوز ابه » .

(١٩٨) الأنفال : ٢٥ ، البقرة : ١٩٦ .

(١٩٩) المائدة : ٩٨ .

(٢٠٠) الحجر : ٤٩ ، ٥٠ .

(٢٠١) فصلت : ٤٣ .

(٢٠٢) في الأصل : « وهزاك » .

(٢٠٣) زيادة ليست في الأصل .

(٢٠٤) مريم : ٧١ .

(٢٠٥) الربيع بين خثيم من بنى ثور بن عبد مناة يكنى أبا يزيد . توفى زمن ابن زياد . انظر الطبقات : ١٤١ . جمهرة أنساب العرب : ٢٠١ ، حلية الأولياء ٢ / ١٠٥ .

(٢٠٦) البيات من قولهم : بيت العدو أى أوقع بهم ليلا والاسم البيات .

وهم نائمون ﴾[٢٠٧] .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : إن الله أمر تخييراً ، ونهى تجنيبا ، وكلف يسيرا ، ولم يرسل الأنبياء عبثا ، ولا أنزل الكتاب باطلا ، **﴿ ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ﴾** .

فصـــل

فى فقر من ذكر قدرته وجوده وغناه وسائر صفاته

قال معاوية[٢٠٨] لسعيد بن العاص[٢٠٩] : كم ولدك ؟ قال : عشرة ، أكثرهم الذكور . فقال معاوية : **﴿ يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور ﴾**[٢١٠] .

وقال سعيد : (يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء)[٢١١] .

وأنشدنى أبو الفتح علٰى بن محمد البستى[٢١٢] الكاتب لنفسه فى الاقتباس من هذه الآية :

إذا خدم السلطان قوم ليشرفوا[٢١٣] بـه وينـالوا كلمـا يتشـوفوا
خدمت إلهى ، واعتصمت بحبله ليعصمنى من كل ما أتخوف
وخدمة[٢١٤] من يولى السلاطين ملكهم وينزعه عنهم أجل وأشرف[٢١٥]

قيل لأبى حازم : أنت مسكين . فقال : كيف أكون مسكينا ، ولمولاى السموات والأرض ، وما بينهما ، وما تحت الثرى[٢١٦] .

قال[٢١٧] بعض الحكماء : لا يزال تراث الأوائل ينتقل إلى الأواخر (حتى يرث الله

---

(٢٠٧) الأعراف : ٩٧ . (٢٠٨) فى الأصل : « معوية » .

(٢٠٩) سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس كان ممن ندبه عثمان لكتابة القرآن . غزا طبرستان وجرجان ، وولى المدينة لمعاوية . توفى نحو ٥٣ هـ . الإصابة ٢ / ٤٦ .

(٢١٠) فى الأصل : « الذكورة » .

(٢١١) إشارة إلى قوله تعالى : **﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ﴾** آل عمران : ٢٦ .

(٢١٢) البستى أبو الفتح على بن محمد أديب وشاعر كثر فى شعره البديع والتجنيس توفى نحو ٤٠٠ هـ وقيل ٤٠٧ هـ فى بخارى . انظر يتيمة الدهر ٤ / ٣٠٣ وفيات الأعيان ٣ / ٥٨ .

(٢١٣) فى الأصل : « ليشرفوا . . . يتشوق » . (٢١٤) فى الأصل : « وخدمت » .

(٢١٥) الأبيات غير موجودة فى ديوانه .

(٢١٦) إشارة إلى قوله تعالى من سورة طه : ٦ **﴿ له ما فى السماوات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ﴾** .

(٢١٧) فى الأصل : « قا » .

الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين)[218] . قال الله تعالى ﴿ **ولله ميراث السماوات والأرض والله بما تعملون خبير** ﴾[219] .

لما جاء البشير إلى المهتدى بأن موسى بن بغا[220] هزم مساور الشارى[221] وأصحابه وقتل[222] فيهم مقتلة عظيمة . نزل من سريره ، وسجد على التراب وجعل يقول : ﴿ **إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده** ﴾[223]

فصــــل

فى ذكر تسخيره تعالى الناس بعضهم بعضا

قد أخبر الله تعالى ما دبر عليه أمور عباده من تصبيرهم[224] فى درجات متفاضلة ، وبين علة ذلك بقوله : ﴿ **وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم** ﴾[225] . وقال تعالى ﴿ **نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا** ﴾[226] . فوصف عز ذكره أنهم لم يكونوا يستغنون فى قوام معايشهم على أن يكونوا متفاضلى درجات الرفعة ، والضعة ، والغنى والفقر والسعة [227] ، والضيق ، ليتعايشوا بذلك ، ويتعاونوا فى المعايش التى لابد لهم من الترافد فيها[228] .

وأنشدنى أبو الفتح لنفسه فى هذا المعنى :

---

(٢١٨) من قوله تعالى فى سورة مريم : ٤٠ ﴿ **إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون** ﴾ .

(٢١٩) آل عمران : ١٨٠ .

(٢٢٠) موسى بن بغا من كبار القواد الأتراك كان أبوه أحد غلمان المعتصم . ولما مات بغا سنة ٢٤٨ هـ تقلد موسى ما كان يتقلده أبوه ، وضم إليه أصحابه . انظر : مروج الذهب ٤ / ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ .

(٢٢١) مساور الشارى بن عبد الحميد مولى بجيلة والشارى نسبة إلى الشراة وهم فرقة من الخوارج انظر التنبيه والأشراف ص ٣٦٦ ط خياط ، اللباب ٢ / ٤ . وفى الأصل : « مساور الشارى » .

(٢٢٢) فى الأصل : « وقيل » .

(٢٢٣) آل عمران : ١٦٠ .

(٢٢٤) فى الأصل : « تصيرهم » .

(٢٢٥) الأنعام : ١٦٥ .

(٢٢٦) الزخرف : ٣٢ .

(٢٢٧) فى الأصل : « والفقير والضيق » .

(٢٢٨) الترافد : التعاون . الصحاح :(رفد) .

سبحان من سخر الأقوام بعضهم بعضا حتى استوى التدبير واطردا
كل بما عنده مستبشر فرح يرى السعادة فيما نال واعتقدا
فصار يخدم هذا ذاك من جهة وذاك من جهة هذا وإن بعدا[229]

فصـــــل
فى ذكر طرف من حكمته

قال الله تعالى: ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾[230]. وقال الشاعر مقتبسا من الآية :

ما كلف الله نفسا فوق طاقتها ولا تجود يد إلا بما تجد

قال الله تعالى : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾[231] .

قال أبو دلامة زند بن الجون[232] مقتبسا من هذه الآية :

أبا[233] مجرم ما غير الله نعمة على عبده حتى يغيرها العبد[234]

قال الله تعالى : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ﴾[235]

قال ابن الرومى مقتبسا من هذه الآية :

أرى الشيطان يوعدنى شرورا ووعـــد الله بالخيرات أوفى

(229) الأبيات فى ديوانه ص 241 نقلا عن مخطوطة الاقتباس .

(230) البقرة : 286 . (231) الرعد : 11 .

(232) فى الأصل : « زيد » والصواب : زند شاعر كثير النوادر صاحب بديهة وظرف ، كان مداحا للخلفاء . انظر طبقات الشعراء : 62 .

(233) فى الأصل : « أبا » .

(234) البيت فى الشعر والشعر (ط دار المعارف) 751 ، الأغانى (دار الكتب) 10 / 235 طبقات الشعراء 62 وقد ذكر ابن المعتز أنه قاله فى أبى مسلم الخراسانى وكان الأخير قد توعده بالقتل لشىء بلغه عنه فلما قتل المنصور أبا مسلم دخل أبو دلامة ورأس أبى مسلم فى الطشت فأنشد البيت وبعده :

أبا مجرم خوفتنى القتل فانتحى عليك بما خوفتنى الأسد الورد
أفى دولة المنصور حاولت غدرة ألا إن أهل الغدر آباؤك الكرد

(235) البقرة : 268 . (236) فى الأصل : « الدومى » .

فصـــــل

فى ذكر صبغة الله تعالى

قال بعض الظرفاء :

أربع بربع للربيع وكـن بـــه ضيفـاً يكـن ندماءك الأنوار[٢٣٧]

من فاقع فى ناصع فى قانئ[٢٣٨] فى ناضر قد صاغها الجبار[٢٣٩]

يشير إلى قوله تعالى : ﴿ **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة** ﴾[٢٤٠] .

ولى فى كتاب المبهج : تعالى الله ، ما ألطف صبغته ، وأبدع صيغته وأحسن صنعته .

فصـــــل

يليق بهذا المكان من الكتاب المبهج
يشتمل على فصول مقتبسة من القرآن

سبحان[٢٤١] من لا تحده الأوهام ، والألسنة . ولا تغيره[٢٤٢] الشهر والسنة ، ولا

---

(٢٣٧) هناك ارتباك وخطأ فى نسخ البيتين وإذ روى البيت الأول هكذا :

أربع بربع الربيع وكن به صفيا تكن برمال الأنوار

وقد وجدت البيتين فى أحسن ما سمعت ص ٢٣٠ فصححت رواية البيت الأول .

(٢٣٨) فى الأصل : « قان » وهو خطأ فى النسخ لا يستقيم معه الوزن . والأرجح أن تكون قانىء والقانىء : الأحمر من قولهم قنا الرجل لحيته بالخضاب تقنئة وقد قنأت هى من الخضاب تقنأ قنوء اشتدت حمرتها . انظر الصحاح (قنأ) .

(٢٣٩) فى الأصل : « فى ناضر صاغها » . روايته فى أحسن ما سمعت .

من قانىء فى ناضر فى فاقع فى ناصع صباغها الجبار

والفاقع الخالص الصفرة أو الحمرة ، وقيل خلوص الصفرة . والفقع شدة البياض أو الصفرة أو الحمرة وفى نثر النظم :

من أخضر فى أحمر فى أصفر فى أبيض صباغها الجبار

(٢٤٠) البقرة : ١٣٨ .

(٢٤١) النص من منتخبات من رسائل الثعالبى (المبهج) : ٥١ .

(٢٤٢) فى الأصل : « لا تغيره » .

يأخذه النوم ولا السنة[243] . لا يأس مع فضل الله ، ولا يأس من روح الله[244] ، قد ينصره[245] الله بالحرب[246] الأضعف على العدد المضعف **﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ﴾**[247] ، لا يقرع باب السماء بمثل الدعاء **﴿ قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم ﴾**[248] .

---

(٢٤٣) إشارة إلى قوله تعالى : **﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾** البقرة : ٢٥٥ .

(٢٤٤) بعده فى المبهج : من رداه الله برداء الإيمان ، فقد أهله لليمن والأمن والأمان قد ينصر الله . . .

(٢٤٥) فى الأصل : « قد يضر » .

(٢٤٦) فى الأصل : « الحر » وأثبتنا نص المبهج .

(٢٤٧) البقرة : ٢٤٩ .

(٢٤٨) الفرقان : ٧٧ .

الباب الثانى

فى

ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ، وأجزاء من بعض محاسنه وخصائصه التى أفرده الله عز وجل بها ، وفضله على جميع خلقه بما وهب له من الكلام المقتبس من القرآن

الباب الثانى

فى ذكر النبى ﷺ ، وأجزاء (من) [1] بعض محاسنه وخصائصه التى أفرده بها ، وفضله على جميع خلقه (بما وهب له منها) [2] وشىء من كلامه المقتبس من القرآن

فصـــل

فى ذكر كرامته على الله عز ذكره واختصاصه به وارتفاع مقداره عنده وعلـو منزلتـه لديه

عن ابن عباس :

والله ثم والله ، ما خلق الله ، ولا برأ ، ولا ذرأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ ، وما سمعناه أقسم بحياة أحد غيره حيث قال : ﴿ لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون ﴾[3] يعنى وحياتك يا محمد[4] .

---

(١) فى الأصل: « واجرا بعض » .

(٢) فى الأصل : « وهب منها » والتصويب من فهرس المخطوطة التى وجدت فى أول الكتاب .

(٣) الحجر : ٧٢ .

(٤) أورد الطبرى هذا التفسير عن ابن عباس ولكنه لم يورد عبارة « والله ثم والله . . » انظر: جامع البيان ١٤ / ٤٤ .

وقال بعض السلف :

إنما جعل الله النبي عليه السلام ﴿ **أولى بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾[5] لأن النفس أمارة بالسوء . والنبي[6] ﷺ لا يأمر إلا بما فيه صلاح الدارين .

وقال عمر بن عبد العزيز :

من كرامة النبي ﷺ على ربه أنه أخبره بالعفو قبل أن يخبره بالذنب فقال تعالى ﴿ **عفا الله عنك لم أذنت لهم** ﴾[7] .

المفسرون في قوله تعالى ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾[8] قالوا ستذكر حين أُذكر . وكفى به شرفا[9] وفخرا[10] .

محمد بن علي بن الحسين[11] رضي الله عنهم : إن الله تعالى أدب نبيه محمدا ﷺ بأحسن الأدب فقال : ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾[12] . فلما علم أنه قبل الأدب قال : ﴿ **إنك لعلى خلق عظيم** ﴾[13] ، فلما استحكم له من رسول الله ﷺ ماأحبه قال لأمته : ﴿ **وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾[14] .

وقال يوماً لجلسائه[15] : إنكم تقولون إن أرجى آية من كتاب الله عز وجل ﴿ **قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا** ﴾[16] ، ونحن أهل البيت نقول[17] أرجى آية في كتاب الله تعالى قوله : ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾[18] ، وذلك أنه لما نزلت هذه الآية قال عليه السلام لجبريل : يعطيني ربي حتى أرضى ؟ قال : نعم . فإني أسأله أن[19] يعطيني حتى أرضى ، وهو أن لا يعذب أمتي بالنار .

---

(٥) الأحزاب : ٦ .
(٦) في الأصل: « والبيتى » .
(٧) التوبة : ٤٣ .
(٨) الانشراح : ٤ .
(٩) في الأصل: « تشرفا » .
(١٠) جاء في تفسير الطبرى ٣ / ٢٣٥: « لا أذكر إلا ذكرت معي ، وذلك قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله » .
(١١) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يكنى أبا جعفر أمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب توفي سنة ١١٨ هـ انظر: الطبقات : ٢٥٥ .
(١٢) الأعراف : ١٩٩ .
(١٣) القلم : ٤ .
(١٤) الحشر : ٧ .
(١٥) في الأصل : « لجلسا به » .
(١٦) الزمر : ٥٣ .
(١٧) في الأصل : « يقول » .
(١٨) الضحى : ٥ .
(١٩) في الأصل : « عن » .

فصــــل
فى الصــلاة عليــه

أول من قال إن الله تعالى ، أمركم بأمر بدأ فيه[٢٠] بنفسه ، وثنى بملائكته ، فقال : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[٢١] (الهادى)[٢٢] بن المهدى بن المنصور ، ثم تلقاه الخلفاء ، والخطباء بعده إلى يومنا هذا . وقال بعض الشعراء :

صلى الإله على ابن آمنة التى ... جاءت[٢٣] به سبط البنان كريما
قل للذين رجوا شفاعة أحمد ... صلوا عليه وسلموا تسليما

وكتب بعض البلغاء : صلى الله على محمد ذى المحتد الكريم ، والشرف العميم والحسب[٢٤] الصميم ، والخلق العظيم ، والدين القويم ، والقلب السليم الذى[٢٥] دعا إلى الله بإذنه على حين فترة من الرسل[٢٦] ، واختلاف من الملل ، وتشعب من السبل قوماً يعبدون ما ينحتون[٢٧] ، والله خلقهم وما يعبدون[٢٨] ، فصدع[٢٩] بأمر ربه ، وبلغ ما تحمل من رسالاته حتى أتاه اليقين ، وظهر أمر الله وهم كارهون[٣٠] .

ولابن عباد من رسالة :

صلى الله[٣١] على المبارك مولده ، السعيد مورده ، القاطعة حجته ، السامية درجته الذى نسخت بملته[٣٢] ، الملل وبنحلته النحل وصار العاقب والخاتم ، والقاطع ،

(٢٠) فى الأصل : « برأ » . (٢١) الأحزاب : ٥٦ .
(٢٢) فى الأصل : « المهدى » وليس فى ولد الخليفة المهدى من اسمه المهدى، والصواب الهادى . انظر : جمهرة أنساب العرب : ٢٢ .
(٢٣) فى الأصل : « جارته » . (٢٤) فى الأصل : « والحسيب » .
(٢٥) فى الأصل : « الدى » .
(٢٦) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل** ﴾ المائدة : ١٩ .
(٢٧) فى الأصل : « ما تنحتون » . (٢٨) فى الأصل : « وما يعبد » .
(٢٩) فى الأصل : « وصرع » . وصدع بأمر ربه أى أظهر دينه والقول إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين** ﴾ الحجر : ٩٤ .
(٣٠) من قوله تعالى : ﴿ **حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون** ﴾ التوبة : ٤٨ .
(٣١) فى الأصل : « علىّ » .
(٣٢) فى الأصل : « التى نسخت بمثلته وبنحلته البخل » وهو تحريف فى النسخ .

والجازم ، قد أفرد بالزعامة وحده ، وختم ألا نبى[٣٣] بعده . لم يكتب كاتب إلا ابتدأ مصلياً عليه ، ولا يختم إلا برد السلام ، والتحية إليه ، ذاك البشير النذير ، السراج المنير[٣٤] ، محمد سيد الأولين والآخرين .

ومن كتابى المعروف بالمبهج[٣٥] .

صلى الله على محمد الذى[٣٦] ماهو إلا شفاء السقيم[٣٧] ، والهادى إلى الصراط المستقيم ، والدليل إلى النعيم المقيم ، والمجير[٣٨] من عذاب اليوم العقيم .

فصـــل

فى ذكر أخلاقه ﷺ

ابن عباس ، وأنس بن مالك ، وابن مسعود ، وعائشة ، وغيرهم (رضى الله عنهم) دخل حديث بعضهم فى بعض قالوا جميعاً :.

كان رسول الله يعود المرضى ، ويشيع الجنائز ، ويجيب الداعى[٣٩] ولو إلى كف[٤٠] حشف [٤١] . ويقول [٤٢] : « لو دعيت إلى ذراع [٤٣] لأجبت ، ولو أهدى إلى كراع لقبلت » . وكان يصافح الغنى ، والفقير ، ويبدأ بالسلام ، ويجلس مع المساكين ، والضعفاء ، ويلبس العباء ، ويمشى فى الأسواق ويركب الحمار[٤٤] ، ويأكل على

---

(٣٣) فى الأصل : « بني » .

(٣٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾ الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦ .

(٣٥) النص فى فصل بعنوان : « فى ذكر النبى ﷺ » المبهج ٥٢ .

(٣٦) فى المبهج : « خيرة الله وخاصته ، وأثرته وخالصته أخلص الخالصين وأخص الأخصين ورحمة للدانين والقاصين ، وشفيع للمذنبين والعاصين » .

(٣٧) فى الأصل : « المستقيم » .

(٣٨) فى الأصل : « المحير » وفى المبهج : « والمجير من عذاب يوم عقيم » .

(٣٩) فى الأصل : « المرضى . . . الراعى » .

(٤٠) فى الأصل : « والوالي » .

(٤١) الحشف : أردأ التمر . وفى المثل : أحشفا وسوء كيلة . لسان العرب (حشف) .

(٤٢) فى صحيح البخارى ٣ / ٢٠١ : « لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع لقبلت » وفى الحاشية كراع بدلا من ذراع . وفى رواية أخرى : « لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت ، ولو أهدى إلى ذراع أو كراع لقبلت » وانظر الكافى جـ ٦ / ٢٧٤ وفيه : « لو أن مؤمنا دعانى إلى طعام ذراع شاة لأجبت ، وانظر أقوال الرسول « ﷺ » وصفاته هذه فى البيان والتبيين ٢ / ٣٠ .

(٤٣) فى الأصل : « دماغ » .

(٤٤) فى الأصل : « وبركت » .

الأرض ، ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد[٤٥] . وكان يمزح ولا يقول إلا حقاً . مازح [٤٦] عجوزاً فقال : « إن الجنة لا يدخلها العجز » . فبكت وجزعت ، فقرأ عليه السلام ﴿ **إنا أنشأناهن إنشاء . فجعلناهن أبكاراً . عربا أترابا** ﴾[٤٧] . وكان يعقل البعير ، ويعلف الناضح[٤٨] ، ويخصف النعل ، ويرقع الثوب ، ويصلح الدلو . وكان يقول : « لا تفضلوني [٤٩] على من سبح الله فى الظلمات الثلاث » يعني يونس عليه السلام[٥٠] . ولا شك فى أنه أفضل منه ، ومن جميع الأنبياء عليهم السلام ، ولكنه كان يعطى التواضع حقه .

وأتى يوما برجل فأخذته الرعدة فقال له : « هون[٥١] عليك فإنما أنا بشر مثلكم[٥٢] ، ولست بملك ، ولا جبار ، إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد[٥٣] » .

وكان عليه السلام هين المؤونة لين الجانب . كما قال الله تعالى ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾[٥٤] . وكان كريم الطبيعة ، جميل العشرة ، طلق الوجه ، هشاً بشاً ، بساماً فى غير ضحك ، متواضعا من غير ذل ، جوادا من غير سرف ، رقيق القلب كما قال الله تعالى ﴿ **بالمؤمنين رءوف رحيم** ﴾[٥٥] . وكان لم يتجشأ[٥٦] قط من شبع ، ولا مد يده إلى طمع ، وما كان أكل قط وحده ، ولا منع رفده[٥٧] ، ولا ضرب عبده ، ولا ضرب أحدا إلا فى سبيل ربه . وكان يتوسد[٥٨] يده ويغض من نفسه ، فذلك قول الله تعالى فيه ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾[٥٩] ، ولا عظيم أعظم مما عظمه الله ، ولو لم يكن من كرم خلقه ، وشرف

---

(٤٥) فى الأصل : « العبد » .
(٤٦) فى الأصل : « مازج » .
(٤٧) الواقعة : ٣٥ - ٣٧ وورد فى تفسير هذه الآية : « هن اللواتى قبضن فى الدنيا عجائز ، رمصاً شمطا ، خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى » انظر تفسير الطبرى ٢٧ / ١٨٧ . .
(٤٨) فى الأصل : « بعقل ... ويرقع » والناضح البعير يستقى عليه . والأنثى ناضحة .
(٤٩) فى الأصل : « لا يفضلونى » .
(٥٠) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم ﴾ الأنبياء : ٨٧ـ٨٨ .
(٥١) انظر فى هذا المعنى سورة فصلت : ٦ وآيات أخرى .
(٥٢) فى الأصل : « هين » .
(٥٣) القديد : اللحم المقدد أى المجفف . لسان العرب (قدد) .
(٥٤) آل عمران : ١٥٩ .
(٥٥) التوبة : ١٢٨ .
(٥٦) فى الأصل : « يبحش » .
(٥٧) فى الأصل : « رقده » .
(٥٨) فى الأصل : « يتوسل » .
(٥٩) القلم : ٤ .

نفسه ، وحسن عفوه ، وسماحة طبعه ، ورجاحة[٦٠] علمه إلا ماكان منه يوم فتح مكة ؛ لكان[٦١] ذلك من أكمل الكمال . وقد كانوا قتلوا أعمامه وأولياءه[٦٢] ، وقلاه أنصاره بعد أن حصروه[٦٣] فى الشعاب ، وعذبوا أصحابه بأنواع العذاب وجرحوه فى بدنه ، وآذوه فى نفسه وسفهوا رأيه[٦٤] وأجمعوا على كيده . فلما دخل مكة عنوة بغير جهد[٦٥] ، وظهر عليهم على صغر منهم[٦٦] . قام خطيباً فحمد الله ، وأثنى عليه . قال : ألا إنى أقول لكم ما قال أخى يوسف لإخوته **﴿ لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾** [٦٧] .

فصـــــل

فى نبذ من محاسنه وخصائصه عليه السلام

لا وصف أبلغ ، ولا مدح أمدح مما ذكر الله تعالى به نبيه محمداً عليه السلام فى آى كثيرة من كتابه فقال : **﴿ يأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ﴾** [٦٨] . وقال : **﴿ الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة ، والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم** [٦٩] **الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ﴾** [٧٠] وما من نبى إلا قد كان مرسلا إلى قوم معلومين وأمة مخصوصة سواه عليه السلام فإنه كان مبعوثاً إلى الأحمر والأسود كما قال الله تعالى : **﴿ قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا ﴾** [٧١] . وقال : **﴿ نذيرا للبشر ﴾** [٧٢] . وقال : **﴿ وما**

---

(٦٠) فى الأصل: « وسجاحة . . . وتخانة » .
(٦١) فى الأصل: « مله لقد كان » .
(٦٢) فى الأصل: « أولياه » .
(٦٣) فى الأصل: « حضروه » .
(٦٤) فى الأصل: « عليه » .
(فيهم) فى الأصل: « جهرهم » .
(٦٦) فى الأصل: « صفر » .
(٦٧) يوسف : ٩٢ والخطبة فى البيان والتبين ٢ / ٣٠ ويقال إنه حين وقف خطيبا فيهم قال : « يا معشر قريش ، ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيرا . أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء » السيرة ٢ / ٤١٢ ، الطبرى ٣ / ١٢٠ .
(٦٨) الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦ .
(٦٩) فى الأصل: « عنهم » .
(٧٠) الأعراف : ١٥٧ .
(٧١) الأعراف : ١٥٨ .
(٧٢) المدثر : ٣٦ .

أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾[٧٣] . وقال : ﴿ ليكون للعالمين نذيرا ﴾[٧٤] وقال : ﴿ وأرسلناك للناس رسولا ﴾ [٧٥] وقد قرن طاعته بطاعته ، وجعل العمل بقوله كالعمل بكتابه فقال : ﴿ يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ [٧٦] . وذكر قضاءه ، وناهيك به منزلة ودرجة فقال : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾[٧٧] .

ومن خصائصه عليه السلام : أن معجزات الأنبياء قبله كانت ملحوظة[٧٨] تدركها الأبصار فهى زائلة بزوال أصحابها ذاهبة مع ذهابها[٧٩] ، ومعجزته ﷺ معقولة تدركها البصائر أبدا مادامت السموات والأرض ، ألا ترى أن القوم طالبوه بمعجزة تعاينها العيون فقالوا : ﴿ لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ [٨٠] . فقال الله تعالى ﴿ قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين ﴾ [٨١] . ثم قال تعالى ﴿ أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى [٨٢] عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ [٨٣] فكم تحت قوله ﴿ وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ من الإشارة إلى المعجزة ، والنص [٨٤] عليها ، والإذكار بها .

فصــــل
فى مثــل ذلــك

لما نادى رجل من وفد تميم النبى ﷺ باسمه من وراء الحجرات أنكر الله عليهم سوء الأدب فى مناداته ، وعدولهم عن تكنيته [٨٥] . إلى تسميته فقال تعالى :﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ [٨٦] ونبه الناس على الأدب فى إجلاله [٨٧] وإعظامه

---

(٧٣) سبأ : ٢٨ .
(٧٤) الفرقان : ١ .
(٧٥) النساء : ٧٩ .
(٧٦) النساء : ٥٩ .
(٧٧) الأحزاب : ٣٦ .
(٧٨) فى الأصل : « ملحوظه » .
(٧٩) كذا فى الأصل والأرجح ذهابهم .
(٨٠) الرعد : ٢٧ .
(٨١) العنكبوت : ٥٠ .
(٨٢) فى الأصل : « تبلى . . وذكرى » .
(٨٣) العنكبوت : ٥١ .
(٨٤) فى الأصل : « والنصر » .
(٨٥) فى الأصل : « تبنيته » .
(٨٦) الحجرات : ٤ .
(٨٧) فى تفسير الطبرى ٢٦ / ١٢١ : أن الآية نزلت فى قوم من الأعراب جاءوا ينادون رسول الله ﷺ من وراء حجراته . يا محمد اخرج إلينا . وعن زيد بن أرقم أنه قال : جاء أناس من العرب إلى النبى =

فقال تعالى ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا** ﴾[88] . وقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض** ﴾[89] وأثنى على[90] من يغض صوته عنده فقال : ﴿ **إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول[الله] أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم** ﴾[91] .

فصل
فى بعض النكت

سمعت أبا جعفر محمد بن موسى الموسوى[92] يقول : إن رسم النثارات للملوك وغيرهم[93] من الكبراء والرؤساء[94] مأخوذ من أدب الله تعالى فى شأن رسوله عليه السلام حيث قال ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة** ﴾[95] . فكأن اليوم من يبتغى إلى الملك والرئيس مسألة[96] فيقدم عليه ، ويقدم[97] نثارا بين يديه ، إنما يتصدق بذلك عنه ، شكرا لله على ما يسر من لقائه سالماً فى نفسه ، وماله[98] ، ويسأله أن يرى فيه برأيه من التصدق به ، أو غير ذلك ، فلو تولى إعطاءه الفقراء لكان الشك قد نقع فى ذلك القلب (الذي)[99] يترجح بين التصديق والتكذيب .

= ﷺ فقال بعضهم لبعض ، انطلقوا بنا إلى هذا الرجل فإن يكن نبيا فنحن أسعد به ، وإن يكن ملكا نعش فى جناحه . قال : فأتيت النبى ﷺ فأخبرته بذلك . قال ثم قدموا إلى حجر النبى ﷺ فجعلوا ينادونه ، يا محمد فأنزل الله على نبيه ﷺ ﴿ إن الذين . . ﴾ وقيل إنها نزلت فى الأقرع بن حابس حين أتى النبى ﷺ فناداه . فقال : يا محمد ، إن مدحى زين ، وإن شتمى شين . فخرج إليه النبى ﷺ فقال ، ويلك . . فأنزل الله الآية .

(88) النور : 63 .
(89) الحجرات : 2 .
(90) فى الأصل : « عليه » .
(91) الحجرات : 3 .
(92) أبو جعفر محمد بن موسى الموسوى أديب حدث عنه الثعالبى فى أكثر كتبه . انظر ثمار القلوب: 462 ، يتيمة الدهر 4 / 115 .
(93) فى الأصل : « فى عيدهم » . وهو تحريف فى النسخ .
(94) فى الأصل : « الكبرا والدوسا » .
(95) المجادلة : 12 .
(96) فى الأصل : « فسأله » .
(97) فى الأصل : « وتقدم » .
(98) فى الأصل : « وحباله » وهو تحريف .
(99) زيادة ليست فى الأصل .

فصـــل
فـى مثـل ذلـك

الحبيب أخص[100] من الخليل[101] فى الشائع المستفيض من العادات . وقد اتخذ الله إبراهيم خليلا[102] . وقال لنبيه محمد ﷺ ﴿ ما ودعك ربك وما قلى ﴾[103] يعنى أحبك . وفى مقتضى هذه اللفظة أنه اتخذه حبيباً كما اتخذ إبراهيم خليلا . ومما يؤيد هذا ويؤكده (أن)[104] الله تعالى (لا)[105] يحب أحداً ما لم يؤمن به ، ويتبعه ، فذلك قوله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾[106] .

فصـــل
فى اضطرار أعدائه إلى الإقرار بفضله عليه السلام

ذكر صاحب كتاب مجد[107] ... فى كتابه :

إن جماعة من الزنادقة اجتمعوا فى منزل رجل من المسلمين ، فتناول أحدهم مصحفاً من مصلاه ، فجعل ينظر فيه ، ويبكى . فقيل له فى [م][108] ذلك . فقال : لهفى على حكيم مثله أفناه[109] الدهر ؛ يعنى النبى ﷺ ، فلما انتهى إلى هذه الآية : ﴿ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ﴾[110] ، بكى حتى بل ثوبه . وقال : سبحان الله ما أقل[111] شكر العرب فعل أبو القاسم ما ينصف وكافأوه بكسر رباعيته[112] ، وإدماء حر الوجه ، وحللوا حرامه وحرموا حلاله ، وطردوه وهموا

---

(١٠٠) فى الأصل : « لخص » .
(١٠١) الخليل لغة الصديق .
(١٠٢) من الآية ١٢٥ فى سورة النساء : ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلا ﴾ .
(١٠٣) الضحى : ٣ .
(١٠٤) زيادة ليست فى الأصل .
(١٠٥) زيادة ليست فى الأصل .
(١٠٦) آل عمران : ٣١ .
(١٠٧) كلمة رأى الخبير حذفها .
(١٠٨) زيادة ليست فى الأصل .
(١٠٩) فى الأصل : « أفناه » .
(١١٠) الأنفال : ٢٦ .
(١١١) فى الأصل : « كما اقل » .
(١١٢) فى الأصل : « الرباعية » وصوابه : رباعيته كثمانية وهى السن التى بين الثنية والناب . انظر لسان العرب (ربع) .

به[113] ، وقالوا شاعر وساحر ومجنون[114] وكاهن[115] ، يعلمه بشر[116] . ثم قتلوا أولاده . وسبوا ذريته .

فصـــل
فى ذكر الحكمة من كونه عليه السلام بشراً

قال الجاحظ :

الشكل أفهم عن شكله[117] ، وأسكن إليه ، وأحب إليه[118] ، وذلك موجود فى البهائم ، وضروب السباع ، وأنواع الطير ، والصبى عن الصبى أفهم ، وإليه أسرع وبه آنس ، وكذلك العالم والعالم والجاهل والجاهل . قال الله تعالى لنبيه : **﴿ ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ﴾**[119] والإنسان عن الإنسان أفهم وطباعه إلى طباعه أقرب ، وعلى قدر ذلك يكون موقع مايسمع منه .

فصـــل
فى ذكر الحكمة من كونه أمياً[120]
لا يكتب ولا يحسب ولا يقول الشعر

قال الله تعالى لنبيه عليه السلام : **﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون ﴾**[121] .

---

(١١٣) فى الأصل: « وهموا » .
(١١٤) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر ﴾ الأنبياء : ٥ ، وقوله تعالى : ويقولون أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ الصافات : ٣٦ .
(١١٥) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ﴾ الحاقة : ٤١ ، ٤٢ .
(١١٦) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ﴾ النحل : ١٠٣ .
(١١٧) فى الأصل: « شكلة » .
(١١٨) فى الأصل: « وأصب » .
(١١٩) الأنعام : ٩ .
(١٢٠) فى الأصل: « وكونه امثالا » .
(١٢١) العنكبوت : ٤٨ . وفى الأصل : « تتلو من قبله » .

قال بعض المتكلمين[١٢٢] : إن الله عز ذكره جعل نبيه أمياً لا يكتب ، ولا يحسب ، ولا ينسب ، ولا يقرض الشعر ، ولا يتكلف الخطابة ، ولا يتعمد[١٢٣] البلاغة ، لينفرد الله تعالى بتعليمه الفقه ، وأحكام الشريعة ويقصره على [معرفة][١٢٤] مصالح الدين دون ما تتباهى[١٢٥] به العرب من قيافة[١٢٦] الأثر والبشر والعلم بالأنواء ، وبالخيل ، وبالأنساب[١٢٧] ، وبالأخبار وتكلف قول الأشعار ليكون إذا جاء بالقرآن العظيم[١٢٨] ، وتكلم بالكلام العجيب[١٢٩] ، كان ذلك أدل على أنه من الله .

وزعم أن الله لم يمنعه معرفة آدابهم ، وأخبارهم ، وأشعارهم ليكون أنقص حظاً[١٣٠] من الكاتب الحاسب ، والخطيب الناسب ، ولكن ليجعله نبيا ، وليتولى [من][١٣١] تعليمه ماهو أزكى ، وأنمى . فإنما نقصه ليزيده ، ومنعه ليعطيه ، وحجبه[١٣٢] عن القليل ليجلي[١٣٣] له الكثير .

قال الجاحظ : قد أخطأ هذا الشيخ ، ولم يرد إلا الخير[١٣٤] . وقال بمبلغ علمه ، ومنتهى رأيه ، ولو قال[١٣٥] : إن أداة[١٣٦] الكتابة والحساب وقرض الشعر ، ورواية جميع النسب قد كانت تامة ، وافرة ، مجتمعة كاملة ، ولكنه صرف تلك القوى ، وتلك[١٣٧] الاستطاعة إلى ماهو أزكى بالنبوة ، وأشبه بمرتبة الرسالة ، (ولو)[١٣٨] كان[١٣٩] احتاج إلى الخطابة لكان أخطب الخطباء وأنسب من كل ناسب ، وأقيف[١٤٠] من كل قايف ، ولو كان فى ظاهره[١٤١] أنه كاتب حاسب ، وشاعر ناسب ، ومقتف

(١٢٢) النص من البيان والتبيين ٤ / ٣٢ وفيه : وكان شيخ من البصريين يقول إن الله إنما جعل نبيه . . .

(١٢٣) فى الأصل: « ولا يعقد » .

(١٢٤) ما بين القوسين زيادة ليست فى الأصل وهى من البيان والتبيين وكررت فى المخطوط مرتين .

(١٢٥) فى الأصل: « يتناهى » .

(١٢٦) فى الأصل: « قيامه » وفى البيان والتبيين: « والبشر من العلم » .

(١٢٧) فى الأصل: « الخيل والانتساب » .

(١٢٨) فى البيان : الحكيم .

(١٢٩) فى الأصل: « بكلام عجيب » والتصويب من البيان .

(١٣٠) فى الأصل: « خطا » .

(١٣١) زيادة ليست فى الأصل .

(١٣٢) فى الأصل: « صحبته » .

(١٣٣) فى الأصل: « التحيل » .

(١٣٤) فى الأصل: « الحين » .

(١٣٥) فى البيان : ولو زعم .

(١٣٦) فى الأصل: « ارادة » .

(١٣٧) فى الأصل: « فتلك »

(١٣٨) زيادة ليست فى الأصل .

(١٣٩) فى البيان : إذا احتاج البلاغة لكان أبلغ البلغاء وإذا احتاج إلى الخطابة .

(١٤٠) فى البيان : واقوف .

(١٤١) بعدها فى البيان : والمعروف من شأنه أنه . . .

قائف[١٤٢] ، ثم أعطاه الله برهانات الرسالة وعلامات النبوة ما كان ذلك بمانع من إيجاب تصديقه ، وإلزام[١٤٣] طاعته والانقياد[١٤٤] لأمره على سخطهم ورضاهم ، ومكروههم ، ومحبوبهم[١٤٥] ، ولكنه أراد أن لاتكون للقلوب عرجة[١٤٦] عن معرفة ماجاء به ولا يكون للناعب متعلق عما به إليه ، حتى لا يكون دون المعرفة بحقه حجاب وإن رق وليكون ذلك أخف فى المؤونة ، وأسهل فى المحنة ، فلذلك صرف نفسه عن الأمور التى كانوا يتكلفونها ، ويتنافسون فيها . فلما طال هجرانه لقرض الشعر ، وروايته[١٤٧] صار لسانه لا ينطق به ، والعادة توأم الطبيعة . فأما فى غير ذلك فإنه كان أنطق من كل منطيق ، وأنسب من كل ناسب ، وأقيف[١٤٨] من كل قايف وكانت الآلة أوفر ، والأداة[١٤٩] أكمل ، إلا أنها كانت مصروفة إلى ماهو أرد . وبين أن يضيف إليه العجز ، وبين أن يضيف إليه العادة الحسنة ، وامتناع الشيء عليه من طول الهجران له ، وبين فرق لكان قال قولاً سديداً[١٥٠] .

فصـــــل
(فى بعض ماجاء عنه ﷺ)
من الكلام المقتبس[١٥١] معناه من القرآن

قال عليه السلام :

« علامة المنافق ثلاث : إذا اؤتمن خان ، وإذا وعد أخلف ، وإذا حدث[١٥٢] كذب ».

(١٤٢) فى البيان : ومتفرس قائف . (١٤٣) فى البيان : تصديقه ولزوم طاعته .
(١٤٤) فى الأصل : « والابقياد » .
(١٤٥) من هنا إلى . . . إليه يختلف عن نص البيان والتبيين .
(١٤٦) فى البيان والتبيين : « ولكنه أراد ألا يكون للشاغب متعلق عما دعا إليه حتى لا يكون دون المعرفة » .
(١٤٧) فى الأصل : « ورواتبه » . (١٤٨) فى الأصل : « واقبف » .
(١٤٩) فى الأصل « وأدواية » . . . « أود » كذا فى الأصل .
(١٥٠) فى البيان والتبيين: « الهجران له فرق » وما بعدها غير موجود فيه .
(١٥١) فى الأصل : « المقتبسة » .
فى الأصل : « ائمنى . . حدث » . فى مسند الإمام أحمد ٢ / ٢٠٠ قول الرسول ﷺ « ثلاث إذا كن فى الرجل فهو المنافق الخالص ، إن حدث كذب وإن وعد أخلف ، وإن ائتمن خان . ومن كانت فيه خصلة منهن لم تزل فيه خصلة من النفاق حتى يدعها » .

ومعناه مقتبس من قول الله تعالى : ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا (١٥٣) به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما (١٥٤) أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴾ (١٥٥) .

وقال ﷺ : « من صبر على أذى جاره ، أورثه الله داره » . ومعناه مقتبس من قول الله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين . ولنسكننكم الأرض من بعدهم ﴾(١٥٦) .

وقال ﷺ :

« يقول الله تعالى : أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر »(١٥٧) . كأن معناه من قول الله تعالى : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾(١٥٨) .

وقال ﷺ :

« من كثر سواد قوم فهو منهم » . فكأنه من قول الله تعالى ذكره : ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ (١٥٩) .

فصـــــل

فى بعض ماجاء عنه عليه السلام من الكلام(١٦٠) المقتبس(١٦١) من ألفاظ القرآن

وقال ﷺ :

---

(١٥٣) فى الأصل : « نخلوا » . (١٥٤) فى الأصل : « نما » .

(١٥٥) فى الأصل : « ومنهم من عاد الله » وهو خطأ والآية من التوبة : ٧٥ - ٧٧ .

(١٥٦) إبراهيم : ١٣ ، ١٤ ، والحديث غير موجود فى كتب الصحاح .

(١٥٧) الحديث فى سنن ابن ماجة جـ ٢ / ٤٤٧ عن أبى هريرة عن النبى يقول الله عز وجل . . وفى مسند أحمد بن حنبل ٥ / ٣٣٤ وأنه قرأ الآية بعد قوله هذا ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون . فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ .

(١٥٨) السجدة : ١٧ .

(١٥٩) فى الأصل : « يتوله » وهو خطأ فى النسخ والآية من المائدة : ٥١ .

(١٦٠) فى الأصل : « كلام » . (١٦١) زيادة ليست فى الأصل .

« من باع دارا أو عقارا فلم يجعل ثمنها فى مثلها كان ﴿ كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف ﴾ [١٦٢] » .

وقال ﷺ :

« هل ينظرون إلا هدماً مبيدا [١٦٣] ، أو مرضاً مفسداً ، أو الدجال فشر مستطر ، والساعة أدهى وأمر » [١٦٤] .

وقال ﷺ :

« بعثنى الله إلى الناس كافة بإقام الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة بحقها ، وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا » . ﴿ من عمل صالحا فلنفسه و من أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ﴾ [١٦٥] .

وقال ﷺ :

« إذا أقيمت الصلاة ، وحضر العشاء ، فابدأوا بسر النفس اللوامة » .

وقال ﷺ :

« اطلبوا الرزق من الله على أيدى الرحماء من أمتى ولا تطلبوه من القاسية (قلوبهم)[١٦٦] ، فإن اللعنة تنزل بهم » .

وقال ﷺ :

« إن الدنيا حلوة خضرة نضرة ، وإن الله مستعملكم فيها فينظر [١٦٧] كيف تفعلون »[١٦٨] .

---

(١٦٢) إبراهيم : ١٨ .

(١٦٣) فى الأصل : « مقيدا » والمبيد من باد الشىء يبيد بيدا وبيودا : هلك .

(١٦٤) من قوله تعالى : ﴿ والساعة أدهى وأمر ﴾ القمر : ٤٦ .

(١٦٥) فصلت : ٤٦ .

(١٦٦) ما بين القوسين زيادة ليست فى الأصل ،وهو اقتباس من القرآن من سورة الزمر : ٢٢ .

(١٦٧) فى الأصل : « نصره » .

(١٦٨) فى الأصل : « مستعملكم » والحديث فى سنن ابن ماجه ٢ / ١٣٢٥ برواية أخرى عن سَوْرة بن نصرة عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ قام خطيبا فكان فيما قال « إن الدنيا خضرة حلوة ، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، ألا فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء » وفى سنن الترمذى ٩ / ٤١ ، نثر الدر ١ / ٥٢ « مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون » .

وقال ﷺ :

« ألا إن التوبة مقبولة ، إلا أن يتعرض[١٦٩] الإنسان بنفسه » ثم تلا ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ﴾[١٧٠] .

وقال ﷺ :

« كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه حتى يعرب عنه لسانه ، فإما شاكرا ، وإما كفورا »[١٧١] .

وقال ﷺ :

« احفظ الله يحفظك ، وتعرف إليه فى الرخاء يعرفك بالشدة . وإذا سألت فاسأل الله فإن الله قريب يجيب دعوة الداعى إذا دعاه[١٧٢] ، وإذا استعنت فاستعن بالله . فإن اليقين مع الصبر[١٧٣] ، وإن مع العسر يسرا »[١٧٤] .

وقال ﷺ :

« إنما مثلى ومثل الناس كرجل استوقد ناراً فلما أضاءت ماحوله جعل[١٧٥] الفراش يتهافت فيها ، وجعل ينتزعهن عنها ، ويحول بينها وبينها ، فها أنا أبعدهم[١٧٦] عن النار وهم يقتحمون فيها »[١٧٧] .

---

(١٦٩) يتعرض من التعريض وهو خلاف التصريح ، ويقال عرض الكاتب إذا كتب مثبجا ولم يبين ويجوز أن يكون معناها يتعرض الإنسان أى يتظاهر بالتوبة ويبدى غير ما يظهر . الصحاح (عرض) .

(١٧٠) النساء : ١٧ .

(١٧١) الحديث فى موطأ مالك ١ / ٢٤١ برواية أخرى هى : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه كما تناتج الإبل فى بهيمة جمعاء هل تحس فيها من جدعاء قالوا : يا رسول الله ، أرأيت الذى يموت وهو صغير ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين » .

(١٧٢) من قوله تعالى فى البقرة : ١٨٦ .

(١٧٣) الحديث فى مسند الإمام أحمد ١ / ٣٠٧ « احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إليه فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » .

(١٧٤) من سورة الانشراح : ٦ .

(١٧٥) فى الأصل : « أضاءت . . حول . . » .

(١٧٦) فى الأصل : « آخذهم » .

(١٧٧) الحديث فى مسند الإمام أحمد ٣ / ٣٩٢ برواية أخرى وهى : « مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقد نارا فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها ، وهو يذبهن عنها ، وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدى » .

ويروى عنه ﷺ أنه كان إذا رأى[178] عليا رضى الله عنه بعد غزوة مؤتة يقول : « اللهم إنك أثكلتنى بعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب [179] يوم بدر ، وحمزة يوم أحد ، وجعفر يوم مؤتة وهذا على فـ ﴿ لا تذرنى فرداً وأنت خير الوارثين ﴾ [180] » .

ومن دعائه ﷺ : « اللهم اجمع على الهدى أمرنا ، وأصلح ذات بيننا ، واهدنا سواء السبيل[181] ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور ، واصرف عنا ﴿ الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ [182] ، ﴿ وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾ [183] »

---

(١٧٨) فى الأصل : « أعرى » .

(١٧٩) فى الأصل : « يزيد بن الحارث بن عبد المطلب » والصواب ما هو مثبت أعلاه وهو عبيدة بن الحارث بن المطلب من أبطال قريش فى الجاهلية والإسلام أسلم قبل أن يدخل النبى ﷺ دار الأرقم وعقد له النبى ﷺ ثانى لواء عقده بعد أن قدم المدينة وقتل فى معركة بدر سنة ٢ هـ . انظر سيرة ابن هشام ٢ / ٦٢٥ .

(١٨٠) الأنبياء : ٨٩ .

(١٨١) فى الأصل : « واهدانا سوا » .

(١٨٢) من قوله تعالى : ﴿ إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ الأعراف : ٣٣ .

(١٨٣) من قوله تعالى : ﴿ وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾ البقرة : ١٢٨ .

الباب الثالث

فى

ذكر العترة الزكية ، والشجرة النبوية ، وإيراد نبذ من فضائلهم ومآثرهم وقطعة من فقر أخبارهم ، وغرر ألفاظهم

الباب الثالث

فى ذكر العترة الزكية رضى الله عنهم ونُبذ من فضائلهم ، وقطعة من فقر أخبارهم وغرر ألفاظهم

فصـــــل

فى ذكر طرفهم وشرفهم ومجدهم

قال الله تعالى: ﴿ **وإنه لذكر لـك ولقومك** ﴾ [1] . وقال تعـالى :﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ [2] . وقال عز وجل : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى** ﴾ [3] .

وقال النبى ﷺ : « أهل بيتى كسفينة نوح عليه السلام من ركب فيها نجا ، ومن تأخر عنها هلك »[4] .

ابن عبـاس فى قول الله تـعالى ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصـالحات سيجعل لهم الرحمن ودا** ﴾ [5] ، قال : على أولاده لهم مودة فى قلوب المؤمنين .

يروى أن النبى ﷺ بينا هو يخطب إذ أقبل[6] الحسن والحسين رضى الله عنهما يعثران [7] فى أثوابهمـا . فنزل عن المنبر ، واحتـضنهما [8] ثم قـال : « صدق الـله ﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة** ﴾ [9] ، والله ما صبرت إذ رأيتهما حتى نزلت إليهما » .

---

(1) الزخرف : ٤٤ .
(2) الشعراء : ٢١٤
(3) الشورى : ٢٣ . وانظر : تفسيرها فى تفسير الطبرى ٢٥ / ٢٢ ، ٢٣ .
(4) ذكر أيضا فى ثمار القلوب : ٢٩ .
(5) مريم : ٩٦ .
(6) فى الأصل : « اذا قيل » .
(7) فى الأصل : « بعثران » .
(8) فى الأصل : « واختصهما » .
(9) التغابن : ١٥

لما توفى الحسن[١٠] رضى الله عنه قام محمد بن الحنفية[١١] على قبره وقد اغرورقت عيناه فقال : روح وريحان وجنة نعيم لك يا (أبا)[١٢] محمد . ولا غرو وأنت سليل[١٣] النبوة ، وربيب الرسالة ، ورضيع لبان الحكمة ، وأحد سيدى شباب أهل الجنة .

ولما قتل[١٤] الحسين صلوات الله عليه أتى قوم الربيع بن خثيم[١٥] فقالوا[١٦] : والله لنستخرجن منه كلاما . فقالوا له : قد قتل الحسين ، فما أجابهم إلا بدموعه وقال : ﴿ الله يحكم بينهم يوم القيامة ﴾[١٧] .

وكان عثمان بن حيان المرى[١٨] على المدينة من قبل الوليد بن عبد الملك فأساء بعبد الله والحسن ابنى الحسين إساءة عظيمة ، فلما عزل أتياه فقالا له : ألا تنظر ما كان بيننا ، فإن العزل قد محاه كله ، فكلفنا[١٩] أمرك ، وابتسط إلينا فى حوائجك ، فلجأ إليهما عثمان ، فبلغا له كل ما أراد ، فجعل عثمان يقول : (الله يعلم حيث يجعل رسالته)[٢٠] .

---

(١٠) فى الأصل : « الحسين » والصواب : الحسن وهو ابن على عليهما السلام والرواية فى تذكرة الخواص : ٢٢٤ وفيها « رحمك الله يا أبا محمد لئن عزت حياتك لقد هدّت وفاتك ، ولنعم الروح روح عمر به بدنك ، ولنعم البدن تضمنه كفنك وكيف لا ، وأنت سليل الهدى . . » .

(١١) فى الأصل : « الحنيفية » . وفى عيون الأخبار ٢ / ٢١٤ : أن الحسين بن على قال عند قبر أخيه الحسن عليهما السلام : رحمك الله يا أبا محمد إن كنت لتناصر الحق مظانه ، وتؤثر الله عند تداحض الباطل ، ولا غرو وأنت ابن سلالة النبوة ، ورضيع الحكمة ، فإلى روح وريحان وجنة نعيم . أعظم الله لنا ولك الأجر .

(١٢) ما بين القوسين زيادة ليست فى الأصل ، إذ أن الحسن بن على كان يكنى أبا محمد ، انظر تذكرة الخواص : ٢٢٥ .

(١٣) فى الأصل : « سليك » .

(١٤) فى الأصل : « ولها قبل » .

(١٥) مرت ترجمته .

(١٦) الخبر فى طبقات ابن سعد ٦ / ١٣٢ وحلية الأولياء ٢ / ١١١ وفيهما أنه قال : ﴿ قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ .

(١٧) البقرة : ١١٣ .

(١٨) فى الأصل : « جبان » والصواب : حيان كان واليا على المدينة سنة ٩٤ هـ وعزله سليمان سنة ٩٦ هـ انظر تاريخ الطبرى ٨ / ٩٢ - ١٠٢ .

(١٩) فى الأصل : « وكلفنا ... وابتسط الينا فى » .

(٢٠) من قوله تعالى فى الأنعام : ١٢٤ ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ .

وكتب بعض البلغاء : ما أقول فى قوم هم حجة الله على الورى وفيهم أنزل هل أتى [٢١] و ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى ﴾ [٢٢]

فصـــــل
فى فقــر من أخبـارهم

انصرف على بن الحسين رضى الله عنهما[٢٣] تعتاله العلة إلى الكوفة بعد المقتل[٢٤] وإذا نساء الكوفة متهتكات ، متسلبات[٢٥] للمصيبة ، والناس بين أنّة ورنّة[٢٦] فأومأت زينب ابنة على رضى الله عنهما إلى الناس بالسكوت . فسكتت الأنفاس ، وهدأت الأجراس . ثم قالت[٢٧] :

ياأهل الكوفة ، ياأهل الختل والختر[٢٨] ، والمكر والغدر ، لا رقأت[٢٩] العبرة ، ولا هدأت الزفرة [٣٠] ، فإنما مثلكم ﴿ كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم

(٢١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءا ولا شكورا ﴾ . وذكر الواحدى فى أسباب النزول ص ٢٥١ أن سبب نزول هذه الآية أن على بن أبى طالب رضى الله عنه سقى نخيلا ليلا وأخذ شعيراً أجرا على عمله هذا فلما قبضه وطحن ثلثه وجعلوا فيه شيئا ليأكلوا يقال له الخزيرة فلما تم إنضاجه أتى مسكين فأخرجوا له الطعام ثم عمل الثلث الثانى فلما تم إنضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه ، ثم عمل الثلث الباق فلما تم إنضاجه أتى أسير من المشركين فأطعموه ، وطووا يومهم ذلك فنزلت هذه الآية .

وهناك رواية أخرى لسبب نزول الآية فى الكشاف ٤ / ١٩٧ تفسير البيضاوى ٧٧٥ وفيهما : أن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله ﷺ فى أناس معه فقالوا له : يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر على وفاطمة وفضة جارية لهما رضى الله عنهم صوم ثلاثة أيام إن برئا فشفيا وما معهم شىء فاستقرض على كرم الله وجهه من شمعون الخيبرى ثلاثة أصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص فوضعوه بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا لم يذوقوا شيئا . . إلخ فنزلت الآية .

(٢٢) الشورى : ٢٣ .

(٢٣) فى الأصل : « يعتال الله » والصواب ما أثبتناه ومعناه خرج عليلا .

(٢٤) ، (٢٥) فى الأصل : « المضل متسيلبات » ويقال سلبت المرأة إذا كانت محدة تلبس ثياب السواد .

(٢٦) فى الأصل : « وربه » .

(٢٧) فى بلاغات النساء : ٢٥ أن الخطبة لأم كلثوم ابنة على وليست للسيدة زينب وفى رواية الخطبة خلاف فى بعض الألفاظ وزيادة ونقصان .

(٢٨) فى الأصل : « فى الخبر » . والختر الغدر والخديعة ، وهو أقبح الغدر .

(٢٩) فى الأصل : « لا ردأت » . ورقأ الدمع إذا جف وسكن .

(٣٠) فى بلاغات النساء : « ولا هدأت الرنة » .

دخلا (٣١) بينكم ﴿هل فيكم إلا ملق الإماء (٣٢)، وغمز الأعداء، كمرعى على دمنة (٣٣) وفضة ملحودة(٣٤) ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم، وفى العذاب أنتم خالدون(٣٥). فابكوا كثيرا، واضحكوا قليلا(٣٦) فقد بؤتم بعارها(٣٧)، وشنارها(٣٨).

قتل سليل الرسالة(٣٩)، وسيد شبيبة(٤٠) أهل الجنة بين أظهركم، تعساً ونكساً. فقد خاب السعى(٤١) وتبت الأيدى، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة(٤٢).

أتدرون ويلكم أى كبد لرسول الله فريتم(٤٣)، وأى دم له سكبتم(٤٤)، وأى كريمة أصبتم. ولقد جئتم (٤٥) شيئاً إدا (٤٦) ﴿ **تكاد السماوات يتفطرن (٤٧) منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا** ﴾ (٤٨).

---

(٣١) الدخل ما يدخل فى الشىء وليس منه، والقول من الآية ٩٣ من النحل.

(٣٢) فى الأصل: «الايماء». وأثبتنا نص بلاغات النساء، وفيه أيضا، ألا وهل فيكم إلا الصلف والشنف وملق الإماء.

(٣٣) فى الأصل: «دمنة». والدمنة، آثار الديار بعد الرحيل عنها من بعر ورماد وغيرهما. وفى بلاغات النساء وهل أنتم إلا كمرعى على دمنة.

(٣٤) فى الأصل: «قصة كجلوده». وهو تحريف فى النسخ. والملحودة المدفونة فى لحدها تريد أنهم لا ينتفع بهم.

(٣٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ **لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون** ﴾ المائدة: ٨٠. بعدها فى بلاغات النساء، أتبكون؟ أى والله فابكوا، وإنكم والله أحرياء بالبكاء. فابكوا كثيرا واضحكوا قليلا.

(٣٦) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ **فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون** ﴾ التوبة: ٨٢.

(٣٧) فى الأصل: «فقد بنم بغارها».

(٣٨) الشنار: أقبح العيب.

(٣٩) فى بلاغات النساء، لن ترحضوها بغسل بعدها أبدا وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة، ومنار محجتكم، ومدره حجتكم، ومفرج نازلتكم. فتعسا ونكسا. لقد خبا السعى، وخسرت الصفقة.. ولها تتمة غير موجودة فى رواية الثعالبى.

(٤٠) فى الأصل: «شبية». (٤١) فى الأصل: «حاب».

(٤٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ **أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله** ﴾ البقرة: ٦١.

(٤٣) فريتم أى قطعتم وشققتم. (٤٤) فى الأصل: «سكنتم».

(٤٥) فى الأصل: «جنم».

(٤٦) فى الأصل: «اذا» والادّ الأمر العظيم المنكر.

(٤٧) فى الأصل: «ينفطر». (٤٨) مريم: ٩٠.

ولما كان يوم الطف خرجت زينب ابنة عقيل تندب قتلاها[٤٩] ، وتقول :

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ... ماذا صنعتم وأنتم آخر الأمم[٥٠]

في أهل بيتي وأولادي وتكرمتي ... منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم[٥١]

فقال أبو الأسود الدؤلي [٥٢] تقول ﴿ **ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** ﴾ [٥٣] .

ولما ارتحلت سكينة ابنة الحسين رضي الله عنهما بعد مقتل زوجها مصعب بن الزبير[٥٤] عن الكوفة ارتفعت أصوات أهلها بالبكاء فقالت سكينة :

لا أحسن الله عليكم الخلافة ، من أهل بلد قتلوا جدى ، وأبى وزوجى فأيتمونى[٥٥] صغيرة وأرملونى كبيرة[٥٦] ثم أنشأت تقول شعراً[٥٧] :

---

(٤٩) فى الطبرى ٦ / ٢٢١ : أن نساءبنى هاشم حملهم يزيد من الشام إلى المدينة فلما دخلوها خرجت امرأة من بنى عبد المطلب ناشرة شعرها واضعة كمها على رأسها تلقاهم وهى تبكى وتقول الأبيات . وفى جـ ٦ / ٢٦٨ أن ابنة عقيل بن أبى طالب خرجت حاسرة رأسها ومعها نساؤها وهى حاسرة تلوى بثوبها وتقول الأبيات .

(٥٠) فى الأصل : « اجزاء » .

(٥١) فى الأصل : « صبرحوم بدم » .

ورواية البيت فى الطبرى :

بعترتى وبأهلى بعد مفتقدى ... منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم

وبعده :

ما كان هذا جزائى أن نصحت لكم ... إن تخلفــونى بسوء فى ذوى رحمى

وفى أمالى ابن الشجرى : ١٦٨ :

بأهل بيتى وأنصارى وذريتــى ... منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم

ما كان ذاك جزائى ان نصحت لكم ... أن تخلفونى بسوء فى ذوى رحم

وفى رواية أخرى نسب البيتان إلى أبى الأسود الدؤلى والرواية المثبتة أرجح فالشعر غير وارد فى ديوان أبى الأسود ولم تنسبه المصادر إلا لزينب بنت عقيل .

(٥٢) فى الأصل : « السود » . (٥٣) الأعراف : ٢٣ .

(٥٤) مصعب بن الزبير بن العوام يكنى أبا عبد الله . ثار فى العراق زمن الخليفة عبد الملك بن مروان قتل سنة اثنتين وسبعين . انظر الطبقات : ٢٤١ .

(٥٥) فى الأصل : « وأنى وزوجى وايتمونى » .

(٥٦) فى الأغانى ١٦ / ١٥٨ ط دار الكتب : أن قوما من أهل الكوفة جاءوا يسلمون على سكينة فقالت لهم : الله يعلم أنى أبغضكم ، قتلتم جدى عليا وأبى الحسين ، وأخى عليا وزوجى مصعب فبأى وجه . . أيتمتمونى صغيرة وأرملتمونى كبيرة .

(٥٧) فى الأصل : « يقول » .

يبكــون من قتـلـت ســيوفهـم ظلمـا بكا متقطع القلب[٥٨]
كبــكـاء إخـوة يوسـف وهـم حســدًا لـه ألقـوه في الجـب[٥٩]

فصـــــل
فى بعض ماقيل من الأشعار

قال السيد الحميرى[٦٠] :

إن العـبـاد تـفـرقـوا مــن واحـد فلأحمـد السبق الـذى هو أفضـــل
أم من ينادى الناس حين يخصه[٦١] بـالـوحـى قـم يا أيـهـا المـزمـل[٦٢]

وقال محمد بن منذر بن جارود :

وحسبى من الدنيا كـفاف يقيـمنى وأثواب كـتان أزور بها قـبرى[٦٣]
وحبى ذوى قـربى الـنبى مـحمـد فمـا سؤلنـا إلا المودة مـن أجر[٦٤]

يعنى قوله تعالى : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى ﴾ [٦٥]

وقال على بن محمد الحمامى[٦٦] :

بـأمـركم يـا آل أحـمـد أصبحـت قريش ولاة الأمر دون ذوى الذكر
إذا مـا أناخـت فى ظلال بـيـوتهـا أنخـم ببيت الطهر فى محكم الذكر[٦٧]

---

(٥٨) البيتان فى غرر السير ذكرهما الثعالبى على سبيل التمثل . ورواية الشطر الثانى من البيت الأول ظلما بكاء قوله الكلب .

(٥٩) روايته فى غرر السير :

كبكـاء إخــوة يوسف وهـــم ظلمـا له ألقوه فى الجـــب

(٦٠) السيد الحميرى هو إسماعيل بن محمد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى كان شاعرا ظريفا اشتهر بمديحه لأهل البيت . انظر طبقات الشعراء : ٣٢ فما بعدها .

(٦١) فى الأصل : « خصه » والبيتان غير موجودين فى ديوانه .

(٦٢) إشارة إلى مطلع سورة المزمل : ١ .

(٦٣) فى الأصل : « قربى » وهو تحريف .

(٦٤) فى الأصل : « فما سألنا إلا المودة من أجر » .

(٦٥) الشورى : ٢٣ .

(٦٦) ذكره الثعالبى فى خاص الخاص : ١٢٧ .

(٦٧) فى الأصل : « انختكم ببيت » .

يعنى قوله تعالى ﴿ ويطهركم تطهيرا ﴾ (٦٨) .

أناس هم عدل القرآن ومألف ... البيان وأصحاب المفاخر فى بدر

وَمَازَهُمُ الجبار عنكم بخلة ... يراها (ذوو)(٦٩) الأقدار يانعة القدر

وأعطاهم الخمس الذى فضلوا به ... بآية (ذى) القربى على العسر واليسر

يعنى قوله جل ذكره : ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى ﴾ (٧٠) . وقال ﴿ وأنذر عشيرتك ﴾ (٧١) فخص بنى هاشم قرباه دون بنى فهر يعنى قوله تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ (٧٢) .

إذا قلتم منا الرسول فقولنا ... أتوا يا رسول الله فخرا على(٧٣) فخر

قال أبو هاشم الجعفرى(٧٤) :

لى نفس أحبت الله فى الله ... « حسينا » ولا تحب يزيدا(٧٥)

يا ابن أكالة الكبود لقد ... أصبحت من لابسى الكساء كيودا(٧٦)

أى هول ركبت عذبك الر ... حمن فى ناره عذابًا شديدا(٧٧)

لهف نفسى على يزيد وأشياع ... يزيد ضلوا ضلالا بعيدا(٧٨)

---

(٦٨) الأحزاب : ٣٣ .

(٦٩) فى الأصل : « ذوى » .

(٧٠) الأنفال : ٤١ . وفى الأصل : « خمسه ولذى القربى » .

(٧١) الشعراء : ٢١٤ .

(٧٢) نفسها .

(٧٣) فى الأصل : « فخر » .

(٧٤) هو محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب شاعر مقل سكن الكوفة وله أشعار فيما جرى بين العباسيين والطالبيين من نزاع حول الخلافةانظر معجم الشعراء : ٣٨٢ .

(٧٥) روايته فى أمالى ابن الشجرى : ١٨٦ :

لى نفس تحب فى الله والله ... حسينا ولا تحب يزيدا

وما بين القوسين زيادة فى أمالى ابن الشجرى .

(٧٦) روايته فى أمالى ابن الشجرى :

يابن أكالة الكبود لقد أنـ ... ـضجت من لابس الكساء الكبودا

(٧٧) روايته فى الأصل : أى هول ركبت عذبك الله البره من وهو خطأ أثبتناه مكانه رواية ابن الشجرى . وفى البيت إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا ﴾ آل عمران : ٥٦ .

(٧٨) بعده فى أمالى ابن الشجرى : ١٨٦ :

وقال بعضهم :

أيا قتيلاً عليك ... كان النبي المعزى
قد أقرح الحزن قلبي ... كأن في القلب وخزا[79]
إذا ذكرت حسينا ... ورأسه يوم حزا
إلى اللعين يزيد ... سارت به البرد جمزا[80]
فظل ينكث منه ... يديه ينهز[81] نهزا
فسوف يصلى سعيرا[82] ... به يدور ويخزى

فصل

في كلام لعلي والحسن وولده رضي الله عنهم

قال علي رضي الله عنه : الفقيه كل الفقيه من لا يقنط الناس من رحمة الله[83] ، ولا يرخص لهم في معاصي الله ، ولا يؤمنهم مكر الله[84] ، ولا يؤسهم من روح الله[85] .

وقيل للحسن بن علي عليهم السلام ، فيك عظمة . قال : كلا ، ولكن عزة . قال الله تعالى : ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾[86] .

= يا أبا عبد الله يابن رسول الله ... يا أكرم البرية عودا
ليتني كنت يوم كنت فأمسى ... منك في كربلاء قتيلا شهيدا

وفي البيت إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ﴾ النساء : ١٦٧ .

(٧٩) أقرح بمعنى جرح ، والوخز الطعن بالرمح وغيره .

(٨٠) البرد جمع بريد . ذكر الخوارزمي في مفتاح العلوم : ٤٢ أصل كلمة البريد وأنها سمي بها البغل والرسول الذي ركبه سمي بريدا أيضا . والجمز ضرب من السير أشد في العنق .

(٨١) في الأصل : « فظل ينكث منه يديه نهرا » ونهزه مثل نكزه أي ضربه ودفعه « عن زميلنا » د . رشدي العبيدي .

(٨٢) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وأما من أوتي كتابه وراء ظهره . فسوف يدعو ثبورا . ويصلى سعيرا ﴾ الانشقاق : ١٠ ــ ١٢ .

(٨٣) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ﴾ الحجر : ٥٦ . وقوله تعالى : ﴿ لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾ الزمر : ٥٣ .

(٨٤) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ الأعراف : ٩٩ .

(٨٥) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ يوسف : ٨٧ .

(٨٦) في الأصل : « فلله » والآية من سورة المنافقون : ٨ .

وتوجه يوما[٨٧] إلى دار معاوية فسأل عنه ، وعمن عنده . فقيل : هو جالس وعنده عمرو بن العاص [٨٨] ، والمغيرة [٨٩] ، وفلان ، وفلان . فقال : ﴿ **فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون** ﴾ [٩٠] .

وقال عبد الله بن الحسن[٩١] لصديق له : أوصيك بتقوى الله ، فإنه جعل لمن اتقاه المخرج مما يكره ، والرزق من حيث لا يحتسب يعنى قوله تعالى : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ [٩٢] .

لما قتل محمد بن عبد الله بن الحسن[٩٣] بعث المنصور برأسه إلى أبيه ، وهو فى جيشه ، فلما وضع بين يديه قال : مرحبا ، وأهلا يا أبا القاسم أما والله ، لقد كنت من الذين قال الله تعالى ﴿ **يوفون بالنذر**) [٩٤] ، **ويخافون يوما كان شره مستطيرا** ﴾ [٩٥] . ومن الذين قال جل جلاله ﴿ **الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق** ﴾ [٩٦] فرحمة الله عليك ، وعلى من معك[٩٧] .

فصـــــل

فى كلام الحسين وولده رضى الله عنهم

جاء رجل إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : أخبرنى عن الناس ، وعن

---

(٨٧) فى الأصل : « يوم » .

(٨٨) عمرو بن العاص بن وائل بن هشام أمه سلمى بنت النابغة من بنى جيلان يكنى أبا عبد الله . مات بمصر يوم الفطر سنة اثنتين ويقال ثلاث وأربعين . الطبقات ٢٦ .

(٨٩) المغيرة بن شعبة بن عامر بن مسعود يكنى أبا عبد الله ولى البصرة نحوا من سنتين وله فيها فتوح وولى الكوفة ومات بها سنة ٥٠ هـ انظر الطبقات : ٥٣ .

(٩٠) النحل : ٢٦ .

(٩١) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب أمه فاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام . وقد عده الجاحظ من خطباء بنى هاشم وبلغائهم ، انظر الطبقات : ٢٥٨ ، البيان والتبيين ٢ / ١٧٤ ، ٢٣٣ .

(٩٢) الطلاق : ٢ ، ٣ .

(٩٣) محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب المعروف بالنفس الزكية أمه هند بنت أبى عبيدة ابن عبد الله قتل سنة خمس وأربعين ومائة . الطبقات : ٢٦٩ .

(٩٤) زيادة ليست فى الأصل .

(٩٥) الإنسان : ٧ .

(٩٦) الرعد : ٢٠ .

(٩٧) فى الأصل : « معاك » .

أشباه الناس ، وعن النسناس . فقال للحسين : أجب عمك يا بنى . فأقبل عليه وقال : أما الناس فنحن . قال الله تعالى : ﴿ أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ [٩٨] . وأما أشباه الناس فمن والانا وأحبنا . قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ فمن تبعنى فإنه منى ﴾ [٩٩] . وأما النسناس فهذا السواد . قال الله تعالى : ﴿ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل ﴾ [١٠٠] . فقام على وقبل رأسه .

جرى بين الحسين وابن عباس كلام فى ذكر يزيد وبنى أمية . فقال الحسين : يا ابن عمى ، والله إنهم ليعدّن لى كما عدت اليهود فى السبت[١٠١] .

وكتب إليه عمرو [١٠٢] بن سعيد بن العاص ينهاه عن الخلاف والشقاق فكتب إليه (إنه لن يشاق من دعا إلى الله وعمل صالحا)[١٠٣] . فكتب إليه [١٠٤] : ﴿ وإن كذبوك فقل لى عملى ، ولكم عملكم ، أنتم بريئون مما أعمل ، وأنا برئ مما تعملون ﴾[١٠٥] .

وورد عليه كتاب يزيد فى الموعظة والتحذير فكتب إليه فـ ﴿ إن كذبوك فقل لى عملىَ ولكم عملكم ، أنتم بريئون مما أعمل ، وأنا برىء مما تعملون ﴾ [١٠٦] .

ولما هرب من المدينة ، وواليها الوليد بن عتبة[١٠٧] يطالبه بالبيعة ليزيد خرج يريد

---

(٩٨) البقرة : ١٩٩ .

(٩٩) فى الأصل : « فهومنى » والآية من سورة إبراهيم : ٣٦ .

(١٠٠) فى الأصل « إنهم كالانعام » والآية من سورة الفرقان : ٤٤ .

(١٠١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة النساء : ١٥٤ . ﴿ ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ﴾ .

(١٠٢) فى الأصل: « سعيد بن العاص » والصواب عمرو بن العاص عامل يزيد على مكة الذى كتب إليه : « فإنى أسأل الله أن يصرفك عما يوبقك وأن يهديك لما يرشدك ، بلغنى أنك قد توجهت إلى العراق وإنى أعيذك بالله من الشقاق . . » انظر جمهرة رسائل العرب ٢ /٨٦ .

(١٠٣) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب ﴾ الحشر : ٤ وقوله تعالى : ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا ﴾ فصلت : ٣٣ .

(١٠٤) فى الأصل : « وكتب » .

(١٠٥) يونس : ٤١ .

(١٠٦) يونس : ٤١ .

(١٠٧) فى الأصل : « عقبة » والصواب : عتبة وهو الوليد بن عتبة بن أبى سفيان بن حرب الأموى أمير من رجالات بنى أمية فصاحة وحلما ولى المدينة سنة ٥٧ هـ وكتب إليه يزيد أن يأخذ البيعة له من الحسين بن على وعبد الله بن الزبير فأخبرهما بما يريده يزيد فاستمهلاه إلى الصباح ثم خرجا ليلا فعزله يزيد سنة ٦٠ هـ وتوفى سنة ٦٤ هـ . انظر نسب قريش:١٣٣ .

مكة [١٠٨] ، وجعل يسير ، ويقرأ هذه الآية ﴿ **فخرج منها خائفا يترقب قال ربى نجنى من القوم الظالمين** ﴾ [١٠٩] ، فلما نظر إلى جبال مكة جعل يتلو : فـ ﴿ **لما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل** ﴾ [١١٠] .

وقال للحر بن يزيد[١١١] وقد سار لمحاربته بأمر عبيد الله بن زياد ، بئس الإمام إمامك ، فإنه ممن ذكر الله تعالى : ﴿ **وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون** ﴾ [١١٢] .

وقيل لعلى رضى الله عنه بعد المقتل ، كيف انسبيت يا ابن رسول الله . فقال : كبنى إسرائيل (يذبحون أبناءهم . ويستحيون نساءهم)[١١٣] .

وكان يكثر البكاء ليلا ، ونهارا فقيل له فى [ذلك][١١٤] . فقال : لا تلومونى فإن يعقوب فقد ابناً من أحد عشر ابنا فبكى حتى ابيضت عيناه من الحزن[١١٥] . وقد رأيت بضعة عشر رجلا من أهل بيتى يذبحون فى غداة واحدة . أفترون حزنى عليهم يذهب من قلبى أبدا ؟!

وكان مرة يأكل فأتته جارية بقصعة فيها مرقة فتعثرت بطرف البساط ، وانصبت المرقة على رأسه وثيابه فقالت الجارية ﴿ **والكاظمين الغيظ** ﴾ [١١٦] قال : وقد كظمت قالت : ﴿ **والعافين عن الناس** ﴾ [١١٧] قال : قد عفوت . فقالت : ﴿ **والله يحب المحسنين** ﴾ [١١٨] . قال : أنت حرة لوجه الله ، ومزوجة بمن أحببت ، ومجهزة بما شئت .

---

(١٠٨) فى الأصل : « خرج يزيد ملكه » وهو تحريف فى النسخ .

(١٠٩) القصص : ٢١ .   (١١٠) نفسها : ٢٢ .

(١١١) الحر بن يزيد التميمى اليربوعى كان من أشراف تميم ، وأرسل لاعتراض جيش الحسين رضى الله عنه ومحاربته فالتقى به ، وانضم معه وقاتل بين يديه قتالا عجيبا حتى قتل . جمهرة أنساب العرب : ٢٢٧ ، الطبرى ٦ / ٢٧٠ فما بعدها .

(١١٢) فى الأصل : « يبصرون » والقول من الآية ٤١ من سورة القصص . وقد نسب القول فى الطبرى ٦ / ٢٣٢ إلى أحد أصحاب الحسين وهو أبو الشعثاء . وفيه : عصيت ربك ، وأطعت إمامك فى هلاك نفسك كسبت العار والنار ثم تمثل بالآية .

(١١٣) إشارة إلى الآية : ٤٩ البقرة .   (١١٤) زيادة ليست فى الأصل .

(١١٥) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم** ﴾ يوسف : ٨٤ .

(١١٦) آل عمران : ١٣٤ .   (١١٧) نفسها .

(١١٨) نفسها .

سأل المنصور جعفر بن محمد عن محمد وإبراهيم ابنى عبد الله بن الحسن ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أتلو عليك آيةً من كتاب الله فيها منتهى علمى بهما . قال : هات على اسم الله . قال : ﴿ **لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم** ﴾ (١١٩) فقبل المنصور مابين عينيه وقال : حسبك .

حضر الرضا على بن موسى(١٢٠) عند المأمون ، ووجبت الصلاة ، فأتى المأمون بالطست ، والإبريق . واشتغل بتوضيته عدة من الخدم . فقال له الرضا : يا أمير المؤمنين لو توليت هذا بنفسك ، فإن الله تعالى يقول ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** ﴾ (١٢١) . فقال المأمون سمعاً وطاعةً . وأمر الخادم (١٢٢) بالانصراف ، وتولى الوضوء بنفسه .

فصـــــل

فى أن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا

يقال إن أحسن ماحفظ من كلام السفاح قوله من خطبة(١٢٣) له :

الحمد لله الذى اصطفى الإسلام ديناً لنفسه ، فكرمه(١٢٤) ، وشرفه ، وعظمه ، واختاره له ، وأيده(١٢٥) ، وجعلنا(١٢٦) أهله ، وكهفه ، وحصنه والقوام به ، والذائدين عنه ، والناصرين له . وألزمنا كلمة التقوى ، وجعلنا أحق بها ، وأهلها . وخصنا برحم رسول الله ﷺ ، وقرابته وأنشأنا من شجرته(١٢٧) ، واشتقنا من نبعته(١٢٨) ، وجعله من أنفسنا(١٢٩) ، فوضعنا من الإسلام وأهله بالمنزل الرفيع(١٣٠) ، وذكرنا فى كتابه المنزل على

(١١٩) سورة الحشر : ١٢ . وفى الأصل : « فان اخرجوا » .

(١٢٠) هو على بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق الملقب بالرضا ثامن الأئمة الإثنى عشر عند الإمامية ، زوجه المأمون ابنته وعهد إليه بالخلافة من بعده . ومات فى حياة المأمون سنة ٢٠٣ هـ .

(١٢١) الكهف : ١١٠ .

(١٢٢) فى الأصل : « الخاوم » .

(١٢٣) الخطبة فى تاريخ الطبرى حوادث سنة ١٣٢ .

(١٢٤) فى الطبرى : « تكرمة » .

(١٢٥) فى الطبرى : « وايده بنا » .

(١٢٦) فى تاريخ الطبرى : « وجعلنا أحق بها وأهلها وخصنا برحم رسول الله » .

(١٢٧) فى الطبرى : « وأنشأنا من آبائه وأنبتنا فى شجرته » .

(١٢٨) فى الأصل : « نعمته » .

(١٢٩) فى الطبرى : « جعله من أنفسنا عزيزا ، ما عنتنا ، حريصا علينا بالمؤمنين رءوف رحيم » .

(١٣٠) فى الطبرى : « بالموضع الرفيع وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتابا يتلى عليهم . فقال عزّ من قائل فيما أنزل من محكم كتابه » .

نبيه المرسل فقال : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾ [١٣١] .

ومن كتاب لابن أبي البغل[١٣٢] في تطهير أولاد المقتدر :

اتصل[١٣٣] بي خبر الأمراء بالتطهير الذي لولا الأخذ بالسنة فيه ، والتأدب بأدب النبي ﷺ في استعماله لا غنى عنه فيهم قديم ماحكم[١٣٤] به لهم من الطهارة في كتابه الناطق ، ووصية الصادق . إذ يقول عز وجل ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويطهركم تطهيرا** ﴾ [١٣٥] وصلى الله على محمد وعلى آله الذين أذهب عنهم الأرجاس . وطهرهم[١٣٦] من الأنجاس وجعل مودتهم[١٣٧] أجرا له على الناس .

---

(١٣١) الأحزاب : ٣٣ وبعدها في الطبرى وقال : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ وقال : ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى ﴾ وقال : ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى ﴾ فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا ، وأوجب عليهم حقنا ومودتنا ، وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا تكرمة لنا ، وفضلا علينا ، والله ذو الفضل العظيم . . ولها تكملة طويلة فلتراجع .

(١٣٢) ابن أبي البغل اسمه محمد بن يحيى بن أبي البغل يكنى أبا الحسن استدعى من أصفهان وكان يلي الوزارة في أيام المقتدر ، وكان بليغا مترسلا وشاعرا وله ديوان رسائل. انظر الفهرس : ٢٠٣ ، الوزراء للصابي : ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٨٥ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ .

(١٣٣) كذا في الأصل .

(١٣٤) في الأصل : « احكم » .

(١٣٥) الأحزاب : ٣٣ .

(١٣٦) في الأصل : « واطهرهم » .

(١٣٧) في الأصل : « فودتهم » .

الباب الرابع

فى

ذكر الصحابة وما خصهم الله تعالى من الفضل والشرف ، وأقاويل بعضهم فى بعض ، وغرر من محاسن كلامهم ونكت أخبارهم رضى الله عنهم أجمعين

الباب الرابع

فى ذكر الصحابة وما خصهم الله تعالى به من الفضل والشرف ، وأقاويل بعضهم فى بعض ، وغرر من محاسن كلامهم ونكت أخبارهم

فصـــل
فى ذكـــرهم عامـة

قد ذكر الله تعالى ذكره أصحاب رسول الله ﷺ ورضى عنهم فى آية من كتابه تشتمل[1] على جميع الحروف ، ومدحهم بها ، ونبه على ارتفاع مقاديرهم وعلو درجاتهم فيها فقال عز من قائل : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم**[2] **ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما** ﴾[3] . فكل من أساء القول فيهم ، يخلو كلامه من هذه الحروف التى مدحهم الله بها . وأثنى عليهم وذكرهم فى آية من كتابه فقال : ﴿ **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم** ﴾[4] .

---

(١) فى الأصل : « مشتمل » .
(٢) فى الأصل : « تريهم » .
(٣) الفتح : ٢٩ .
(٤) التوبة : ٢٠ ـ ٢٢ . وفى الأصل « احر » .

وقال فيهم : ﴿ لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون . أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ﴾(٥) .

وقال جل ذكره فيهم : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ (٦) .

وذكر بيعة الرضوان (٧) فقال : ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ﴾ (٨) .

وقال عز ذكره : ﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك (٩) تحت الشجرة ﴾ .

فصـــــل

فى ذكر أبى بكر الصديق

قال الله تعالى فى شأن الصديق : ﴿ والذى جاء بالصدق وصدق به ﴾ (١٠)

وقال فى مصاحبته رسول الله ﷺ فى الغار : ﴿ ثانى اثنين إذ هما فى الغار ﴾ (١١) حتى صارت هذه الكلمة مثلا لكل متآخيين متصافيين يقتربان ، ولا يكادان يفترقان . كما قال أبو تمام :

ثانيه فى كبد السماء ولم يكن لاثنين ثان إذ هما فى الغار(١٣)

---

(٥) التوبة : ٨٨ ، ٨٩ . وفى الأصل « آمنوا وجاهدوا » . (٦) نفسه . (١٠٠)

(٧) بيعة الرضوان كانت قبل صلح الحديبية حين أرسل الرسول ﷺ عثمان ليفاوض قريشاً وكان المسلمون عند الحديبية فاحتبسته قريش وبلغ المسلمين أنه قتل فدعا الرسول ﷺ المسلمين إلى بيعة الرضوان بأن بايعوا الرسول ﷺ على الموت ، أو على عدم الفرار وتم ذلك تحت شجرة مثمرة . انظر سيرة ابن هشام ٣ / ٣١٤ الطبرى حوادث سنة ٨ هـ .

(٨) الفتح : ١٠ .

(٩) فى الأصل : « يبايعون » والصواب : يبايعونك والآية من سورة الفتح : ١٨ .

(١٠) الزمر : ٣٣ . (١١) التوبة : ٤٠ .

(١٢) فى الأصل : « متواخين » .

(١٣) البيت فى بدر التمام جـ ١ ٣٦٢ من قصيدة يمدح بها المعتصم ومطلعها :

الحق أبلج والسيوف عوار فحذار من أسد العرين حذار

وذكر الصولى أن البيت يروى : « لاثنين ثالث إذ هما » .

وكان النبى ﷺ استشاره وعمر رضى الله عنهما فى أسرى قريش فأشار أبو بكر بالمن عليهم ، وإطلاقهم ، وأشار عمر بعرضهم على السيف واستصفاء أموالهم . فقال النبى ﷺ : « الحمد لله (الذى) [١٤] أيدنى بكما أما أحدكما فسهل رحيم رفيق مثله كمثل إبراهيم عليه السلام إذ قال : ﴿ **فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم** ﴾ [١٥] ، وكمثل عيسى عليه السلام إذ قال : ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ [١٦] وأما الآخر فصلب فى دين الله ، قوى شديد مثله كمثل نوح عليه السلام إذ قال : ﴿ **رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا . إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا** ﴾ [١٧] ، وموسى عليه السلام إذ قال : ﴿ **ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم** ﴾ [١٨] » .

فصـــل
فى حسن آثاره فى الإسلام

لما قبض الله نبيه[١٩] صلوات الله عليه لم يجسر أحد من المسلمين على نعيه ولم يستجز ذكر موته[٢٠] لجلالته فى النفوس ، وعظم شأنه فى القلوب حتى قام أبو بكر رضى الله عنه خطيباً بعد أن حمد الله ، وأثنى عليه[٢١] :

أيها الناس إنه من كان يعبد محمداً فإن محمدا قد مات . ومن كان يعبد[٢٢] الله فإن

---

(١٤) زيادة ليست فى الأصل .

(١٥) إبراهيم : ٣٦ .

(١٦) المائدة : ١١٨ .

(١٧) نوح : ٢٦ ، ٢٧ .

(١٨) يونس : ٨٨ وفى الأل : « حتى مروا العذاب » .

(١٩) فى الأصل : « بينه » .

(٢٠) فى الأصل : « يستحز قوته » .

(٢١) الخطبة فى سيرة النبى ﷺ ق ٢ : ٦٥٥ وفى تاريخ الطبرى : حوادث سنة ١١ هـ وسيرة عمر بن الخطاب ص ٣٤ ، أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال اجلس يا عمر فقال أبو بكر ، أما بعد : من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان . . قال والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها الناس كلهم فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها . نثر الدر ٢ / ١٧ . وفى تاريخ ابن خلدون ٢ / ٨٥١ وفى البداية والنهاية ٦ / ٣١٢ أنه خطب بعد أحداث الردة فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : الحمد لله الذى هدى فكفى ، وأعطى فأغنى إن الله بعث محمدا والعلم شريد ، والإسلام غريب طريد وقد رث حبله ، وخلف عهده . . . ثم يذكر النص المذكور أعلاه .

(٢٢) فى الأصل : « بعيد محمدا . . بعيد » .

الله حى لا يموت [٢٣] ، والله قد نعاه الله إلى نفسه فى أيام حياته فقال [٢٤] ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ [٢٥] . ثم قال : ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون** ﴾ [٢٦] و ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ [٢٧] ثم قال : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين** ﴾ [٢٨] إلا إن محمدا قد مضى [٢٩] لسبيله . ولابد لهذا الأمر من قائم يقوم به ، فدبروا ، وانظروا وهاتوا آراءكم . فبكى الناس ، ونادوه من كل جانب ، نصبح[٣٠] وننظر فى ذلك إن شاء الله .

ثم كان من شأن يوم السقيفة وأمر البيعة ماقرن الله الخير والخيرة به وكان من احتجاج أبى بكر على الأنصار فى استحقاق الإمامة دونهم أنه قال[٣١] : نحن الذين أنزل الله فينا ﴿ **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون** ﴾ [٣٢] فى كتاب الله .

وقد أمركم الله أن تكونوا معنا بقوله [٣٣] : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾ [٣٤] ، فاتفقت الكلمة [٣٥] ، ونزلت الرحمة ، وتم أمر البيعة .

---

(٢٣) بعدها فى نثر الدر : « أيها الناس الآن كثر أعداؤكم وقل عددكم وركب الشيطان منكم هذا المركب » ثم يورد ثلاث آيات غير المذكورة فى النص أعلاه .

(٢٤) هنا ينتهى نص ابن خلدون وفيه يذكر أن أبا بكر تلا الآية : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل** ﴾ فكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية فى المنزل . قال عمر : فما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها فوقعت على الأرض ما تحملنى رجلاى . وعرفت أنه مات . وقيل إنه تلا معها : ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ .

(٢٥) الزمر : ٣٠ .

(٢٦) الأنبياء : ٣٤ .

(٢٧) آل عمران : ١٨٥ .

(٢٨) آل عمران : ١٤٤ .

(٢٩) فى الأصل : « قضى » .

(٣٠) فى الأصل : « نصيح » .

(٣١) فى البيان والتبيين ٣ / ١٤٧ ، عيون الأخبار ٢ / ٢٣٣ ، العقد الفريد ٢ / ١٣ « أيها الناس نحن المهاجرون أول الناس إسلاما ، وأكرمهم أحسابا ، وأوسطهم دارا ، وأحسنهم وجوها ، وأكثر الناس ولادة وأمسهم رحما برسول الله ﷺ . أسلمنا قبلكم ، وقدمنا فى القرآن عليكم فقال تعالى : ﴿ **والسابقون . . .** ﴾ .

(٣٢) الحشر : ٨ .

(٣٣) فى الأصل : « قوله » .

(٣٤) التوبة : ١١٩ .

(٣٥) فى الأصل : « فان ضعفت الكافة » .

فصـــــــل

فى مثل ذلك وذكر شىء من كلامه أيام الردة[٣٦]

[حين][٣٧] امتنعت[٣٨] العرب عن الزكاة قال عمر لأبى بكر : لو تجافيت عن زكاة أموال العرب فى عامك ، ورفقت بهم ، ورجوت أن يرجعوا عما هم عليه . فقد علمت أن النبى ﷺ كان يقول [٣٩] : « أمرت أن [٤٠] أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . فإذا قالوها عصموا منى أموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله » . فقال أبو بكر : والله لو منعونى عقال[٤١] ناقة مما كان يأخذ منهم النبى صلوات الله عليه لقاتلتهم عليه أبدا حتى ينجز الله وعده . فإن قضاءه[٤٢] حق ، ووعده صادق لا خلف فيه . وقد قال الله تعالى : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا** ﴾ [٤٣] . فقال عمر : سمعاً وطاعة لأمرك يا خليفة رسول الله ثم كان ما كان من إظهار الله إياه عليهم ، واستقامة أمر المسلمين والإسلام بيمن خلافته ، وقوة يقينه ، وثبات عزمه رضى الله عنه .

ولما خطب الناس يدعوهم إلى غزو الروم[٤٤] سكتوا جميعا فوثب عمر ، وقال : يامعشر المسلمين ما لكم لا تجيبون خليفة[٤٥] رسول الله ، وقد دعاكم إلى الجنة التى وعد المتقون أما والله ﴿ **لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصداً لاتبعوك ولكن** [٤٦] **بعدت عليهم الشقة** ﴾ [٤٧] . وقام خالد بن سعيد بن العاص [٤٨] ، وأقبل على أبى بكر فقال له :

---

(٣٦) فى الأصل : « اللودة » . (٣٧) زيادة ليست فى الأصل .

(٣٨) فى الأصل : « فأنصفعت » .

(٣٩) فى البداية والنهاية ٦ / ٣١١ وفيه أن أبا بكر قال : والله لو منعونى عقالا وفى رواية أخرى عفاقا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعها . إن الزكاة حق المال والله لأقاتلنّ من فرق بين الصلاة والزكاة . ثم ذكر له رواية أخرى لخطبته وخبره عند وفاة الرسول ﷺ .

(٤٠) فى الأصل : « آن » .

(٤١) العقال ، صدقة عام . انظر الصحاح ، لسان العرب (عقل) .

(٤٢) فى الأصل : « قضاؤه » . (٤٣) النور : ٥٥ .

(٤٤) فى الأصل : « الدم » . (٤٥) فى الأصل : « لا يحبون خليفة » .

(٤٦) فى الأصل : « والى » .

(٤٧) من سورة التوبة : ٤٢ وفى الأصل : « عليكم وهو . إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ لو كان عرضا قريبا ... ﴾ .

(٤٨) خالد بن سعيد بن العاص قال الواقدى عنه إنه خامس من أسلم من العرب وصدق رسول الله . وأرسله =

(والله [٤٩] لأن يتخطفنى الطير أو تهوى بى الريح فى مكان سحيق) [٥٠] أحب إلى من أن أقعد [٥١] عن دعوتك أو أبطىء عن إجابتك .

وأوصى أبو بكر الجيش الذين بعثهم إلى الشام[٥٢] فقال :

اذكروا الله عند كل مصعد ومهبط ، ولا تقتلوا امرأة[٥٣] ، ولا صبيا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا تقعروا[٥٤] نخلاً ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة لا حاجة [٥٥] لكم فى ذبحها ، ولا تخربوا عامرا ﴿ **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز** ﴾ [٥٦] . ثم رفع يده إلى السماء بعد أن استقبل القبلة فقال : اللهم إنك خلقتنا ولم نك شيئا مذكورا ثم بعثت إلينا رسولك محمدا بشيرا ونذيرا فهديتنا به وكنا ضلالا . وحببت إلينا الإيمان وكنا كفارا ، وقويتنا به وكنا ضعافا وجمعتنا به وكنا أشتاتا . فأمرتنا أن نقاتل[٥٧] المشركين حتى يقولوا لا إله إلا الله أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون[٥٨] . اللهم إنا أصبحنا نطلب رضاك ، ونجاهد من عاداك وعبد معك إلها سواك . اللهم فانصر عبادك المؤمنين على عبادك المشركين . اللهم شجع جبانهم ، وثبت أقدامهم ، وزلزل أقدام أعدائهم ، واقذف الرعب فى قلوبهم ، وأبد خضراءهم واستأصل شأفتهم[٥٩] واقطع دابرهم ، وأورثنا أرضهم ، وديارهم وأموالهم . وكن

= الرسول ﷺ مع من أرسلهم إلى اليمن ليفقهوا أهلها واشترك فى فتوح الشام مع خالد بن الوليد . انظر طبقات فقهاء اليمن : ١٤ ، ٢٢ ، ٢٣ ، تاريخ الطبرى حوادث سنة ١٠ هـ جـ ٣ / ٢٨ فما بعدها .

(٤٩) ما بين القوسين زيادة ليست فى الأصل .

(٥٠) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ **فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق** ﴾ الحج : ٣١ .

(٥١) فى الأصل : « الراقعة » .

(٥٢) وصيته فى تاريخ الطبرى ٣ / ٢١٣ . الكامل لابن الاثير ٢ / ١٦٢ وفيهما : « أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى : لا تخونوا ولا تغلوا ، ولا تصدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة » .

(٥٣) فى الأصل : « المرأة » .

(٥٤) فى الأصل : « ولا تعقروا » وقعر النخل قطعها من أصولها ومنه قوله تعالى : ﴿ **أعجاز نخل منقعر** ﴾ .

(٥٥) فى الأصل : « شاة ولا حاجة . . ولا تحزنوا » .

(٥٦) الحج : ٤٠ .

(٥٧) فى الأصل : « يقاتل » .

(٥٨) من قوله تعالى : ﴿ **حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** ﴾ التوبة : ٢٩ .

(٥٩) فى الأصل : « شفأتهم » والشأفة قرحة تخرج فى أسفل القدم فتكوى فتذهب . يقال فى المثل استأصل الله شأفتهم أى أذهبهم الله كما أذهب تلك القرحة بالكى . انظر الصحاح : (شأف) .

للمسلمين وليا ، وبهم حفيا[٦٠] ، وثبتهم بالقول الثابت فى الحياة الدنيا ، وفى الآخرة يا أرحم الراحمين[٦١] .

وخطب يوما فقال بعد حمد الله ، والثناء عليه :

أيها الناس إنى قائل قولا من وعاه فعلى الله جزاؤه . ألا إن الموعظة حياة ، والمؤمنون إخوة ، وعلى الله قصد السبيل . ولو شاء لهداكم أجمعين فأتوا الهدى تهدوا ، واجتنبوا الغى ترشدوا ، ﴿ **وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ [٦٢] .

فصـــــل
فى مكاتبـــــاته

كتب إلى خالد بن الوليد ومن معه من المهاجرين والأنصار[٦٣] :

أما بعد ، فالحمد لله الذى أنجز[٦٤] وعده ، ونصر عبده[٦٥] ، وهزم الأحزاب وحده . وقد فرض على عباده الجهاد فقال : ﴿ **كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ [٦٦] . وأطيعوا الله فيما فرض عليكم [٦٧] ، وثقوا بوعوده وارغبوا فى الجهاد وإن عظمت المئونة أو بعدت الشقة . ﴿ **انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾ [٦٨] . ألا وإنى أمرت

---

(٦٠) حفيا من الحفاوة وهى المبالغة بالعناية . منه يقال حفيت به حفاوة ، وتحفيت به أى بالغت فى إكرامه وإلطافه . الصحاح (حفا) .

(٦١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** ﴾ إبراهيم : ٢٧ .

(٦٢) النور : ٣١ .

(٦٣) الخطبة فى فتوح الشام : ٤٦ .

(٦٤) فى الأصل : « انحزم » .

(٦٥) فى الأصل : « عزه » وفى فتوح الشام « ونصر دينه ، وأعز وليه وأذل عدوه ، وغلب الأحزاب بعده .. » وبعدها نص غير موجود أعلاه .

(٦٦) البقرة : ٢١٦ .

(٦٧) فى فتوح الشام : ٥٥ : « فاستتموا وعد الله إياكم ، وأطيعوه فيما فرض عليكم ، وإن عظمت فيه المؤونة ، واشتدت فيه الرزية » .

(٦٨) التوبة : ٤١ .

خالد بن الوليد بالسير إلى العراق[٦٩] ليلحق بالمثنى بن حارثة[٧٠] فيكون عونا له على محاربته الفرس ، فسيروا معه ، ولا تثاقلوا[٧١] عنه . كفانا الله وإياكم المهم من أمور الدارين برحمته .

وكتب إلى المثنى بن حارثة :

أما بعد ، فإني وجهت إليك خالد بن الوليد فاستقبله[٧٢] بجميع من[٧٣] معك وساعده وآزره ولا تعصين له أمرا[٧٤] . فإنه من الذين وصفهم الله تعالى فى كتابه فقال : ﴿ **أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا** ﴾[٧٥] .

وكتب إلى أهل اليمن[٧٦] يحرضهم على الجهاد كتابا فى فصل منه :

سارعوا رحمكم الله إلى فريضة ربكم ، وسنة نبيكم ، فإلى إحدى الحسنيين ؛ إما الشهادة التى جعل[٧٧] الله فيها السعادة ، وإما الفتح والغنيمة .

---

(٦٩) فى فتوح الشام : « لا يبرحه حتى يأتيه أمرى ، فسيروا معه ولا تثاقلوا عنه ، ولا تنفلتوا عنه فإنه سبيل يعظم الله فيه الأجر لمن حسنت فيه نيته ، وعظمت فى الخير رغبته فإذا قدمتم العراق فكونوا به حتى يأتيكم أمرى كفانا الله وإياكم أمور الدنيا والآخرة والسلام .

(٧٠) المثنى بن حارثة الشيبانى صحابى فاتح من كبار القادة . أسلم سنة ٩ هـ واشترك فى الفتوحات زمن أبى بكر وعمر توفى نحو ١٤ هـ . انظر الإصابة ٣ / ٣٤١ .

(٧١) فى فتوح الشام : ٥٥ فإنه سبيل يعظم الله فيه الأجر لمن حسنت فيه نيته ، وعظمت فى الخير رغبته . فإذا قدمتم العراق فكونوا بها حتى يأتيكم أمرى . كفانا الله وإياكم مهم أمور الدنيا والآخرة والسلام عليكم ورحمة الله .

(٧٢) فى فتوح الشام : فاستقبله بمن معك من قومك ثم ساعده وآزره وكاتفه .

(٧٣) فى الأصل : « بجمع » .

(٧٤) فى فتوح الشام : « ولا تخالفن له رأيا » .

(٧٥) الفتح : ٢٩ وفى فتوح الشام : ما أقام معك فهو الأمير ، فإن شخص عنك فأنت على ما كنت عليه والسلام عليك .

(٧٦) الرسالة فى تاريخ ابن عساكر ١ / ١٢٨ وروايتها : وقد استنفرنا المسلمين إلى جهاد الروم بالشام وقد سارعوا إلى ذلك وقد حسنت بذلك نيتهم وعظمت حسبتهم فسارعوا عباد الله إلى ما سارعوا إليه ، ولتحسن نيتكم فيه . فإنكم إلى إحدى الحسنيين إما الشهادة وإما الفتح والغنيمة .

(٧٧) فى الأصل: « إلى » .

فصـــــل

فى ذكر استخلافه عمر رضى الله عنه

قال عبد الله بن مسعود[٧٨] : أفرس الناس ثلاثة : العزيز الذى تفرس[٧٩] فى يوسف عليه السلام فقال لامرأته ﴿ **أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا** ﴾[٨٠] ، وصفورا[٨١] بنت (شعيب)[٨٢] إذ رأت موسى عليه السلام فقالت لأبيها ﴿ **يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين** ﴾[٨٣] ، وأبو بكر حين استخلف عمر على أمر الأمة .

ولما احتضر أبو بكر أملى فى استخلاف عمر كتابا فى نهاية الإيجاز والإبلاغ[٨٤] ونسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ عند آخر عهده فى الدنيا[٨٥] ، وأول عهده بالآخرة[٨٦] فى الحال التى يؤمن فيها الكافر ويتقى[٨٧] فيها الفاجر . أما بعد فإنى أستخلف[٨٨] عليكم عمر بن الخطاب فإنه بر[٨٩] وعدل ،

---

(٧٨) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن هذيل من كبار الصحابة بعثه عمر بن الخطاب معلما ووزيرا إلى أهل الكوفة ومات بالمدينة سنة ٣٢ هـ الطبقات : ابن خياط ١٦

(٧٩) القول فى لطائف المعارف ٧٦ ، سيرة عمر بن الخطاب : ٣٩ .

(٨٠) ما بين القوسين زيادة ليست فى الأصل . والآية من سورة يوسف : ٢١ .

(٨١) فى الأصل : « وصفرا » والصواب : صفورا وهى ابنة شعيب وقيل ابنة أخى شعيب وربما يكون صوابها وصفرى بنات . انظر لطائف المعارف ٧٧ .

(٨٢) زيادة ليست فى الأصل .

(٨٣) القصص : ٢٦ .

(٨٤) ذكر الجاحظ فى البيان والتبين ٢ / ٤٥ هذه الوصية برواية أخرى تختلف عن هذه تماما وفيها يخاطب أبو بكر عمر ويوصيه بتقوى الله وبأمور تلزمه فى الخلافة .

(٨٥) بعدها فى الكامل للمبرد : خارجا عنها ، داخلا فيها فى الحال .

(٨٦) والخطبة فى الكامل للمبرد ١ / ٦ ، الإمامة والسياسة ١ / ١٦ ، العقد الفريد ٢ / ٢٠٧ ، نثر الدر ٢ / ١٥ ، صبح الأعشى ٩ / ٣٥٩ .

(٨٧) فى الأصل : « ويبقى » وبعدها فى الكامل : « ويصدق الكاذب » .

(٨٨) فى نثر الدر : « إنى استعملت عليكم عمر بن الخطاب فإنه بر وعدل ، فذلك علمى به » .

(٨٩) فى الأصل : « فانه بر » وفى الكامل : « فذلك علمى به ورأيى فيه » .

فذلك ظنى به ، ورأيى فيه . وإن جار وبدل فلا علم لى بالغيب . والخير أردت لكل امرىء ما اكتسب [٩٠] ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون** ﴾ [٩١] .

فصـــــل
فى ذكر عمر وقطعة من مآثره

لما خطب عمر رضى الله عنه خطبة الاستسقاء [٩٢] لم يزد بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه محمد صلوات الله عليه وسلامه على الاستغفار ، حتى نزل عن المنبر . فقيل له فى ذلك . فقال : أما سمعتم الله يقول : ﴿ **استغفروا ربكم إنه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا** ﴾ [٩٣] .

قال : فهطلت السماء بمثل أفواه القرب .

وخطب يوما فقال : (لو شئت لدعوت « بصلاً [٩٤] ، وصياب [٩٥] وكراكر [٩٦] وأسنمة) [٩٧] ولكن الله عاب قوما فقال : ﴿ **أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا** ﴾ [٩٨] .

---

(٩٠) من قوله تعالى فى سورة النور : ١١ ﴿ **لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم** ﴾ وبعدها فى نثر الدر : ﴿ **ما اكتسب من الإثم** ﴾ .

(٩١) الشعراء : ٢٧ .

(٩٢) الخبر فى سيرة عمر بن الخطاب : ١١٩ وفيه : أن عمر بن الخطاب خطب هذه الخطبة عام الرمادة ، وذلك فى السنة الثامنة عشر للهجرة حين أصابت الناس مجاعة شديدة بالمدينة وما حولها وانقطع المطر . وانظر اختلاف رواية الخطبة فى العقد الفريد ٤ / ٦٤ . الكامل لابن الاثير ٣ / ٢٣٠ .

(٩٣) نوح : ١٠ ، ١١ .

(٩٤) كذا فى الأصل ويجوز أن تكون بصلاء . والصلاء بالكسر والمد الشواء لأنه يصلى بالنار .

(٩٥) فى الأصل : « صاب » والصياب الخالص من كل شىء . لسان العرب مادة (صيب) . وفى نثر الدر ٢ / ٣٨ بداية لهذه الخطبة بمعناها وأنه قالها للربيع بن زياد بن الحارث : « يا ربيع إنا لو نشاء ملأنا هذه الرحاب من صلائق وسبائك وصناب ولكنى رأيت الله عز وجل نعى على قوم شهواتهم فقال : ﴿ **أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا** ﴾ الصلائق الرقاق . والسبائك ما سبك من الدقيق ، وأخذ خالصه . والصناب الخردل بالزبيب .

(٩٦) كراكر جمع كركرة وهى كما يقول الجوهرى رحى زور البعير أى أعلى صدره .

(٩٧) أسنمة جمع السنام ويريد : أنه لو شاء لاختار ما يشاء لنفسه من الطيبات والطعام ولكنه زهد فى ذلك لأن الله تعالى يقول : ﴿ **أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا** ﴾ .

(٩٨) الأحقاف : ٢٠ .

فقامت عجوز فى أخريات الناس ، وقالت : يا أمير المؤمنين هذه الآية إنما هى فى الكفار ، ﴿ **ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا** ﴾(٩٩) . فقال عمر : الله أكبر كلكم أفقه من عمر حتى العجائز !

وقيل لعمر رضى الله عنه : هاهنا غلام نصرانى كاتب(١٠٠) من أهل الحيرة(١٠١) فلو اتخذته كاتبا ، فقال : لقد اتخذت بطانة من دون المؤمنين(١٠٢) وتلا : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض** ﴾(١٠٣) .

دخل على رضى الله عنه يوما دار الصدقة ، فنظر إلى عمل عمر قائما فى شمس يوم شديد الحر ، وهو يملى فى إبل الصدقة وألوانها وأسنانها . فقال على لعثمان رضى الله عنهما : أسمعت قول ابنة شعيب فى كتاب الله تعالى : ﴿ **إن خير من استأجرت القوى الأمين** ﴾(١٠٤) فهذا والله القوى الأمين(١٠٥) .

ولما ورد على عمر كتاب أبى عبيدة بن الجراح من الشام يذكر له مسير الروم إليه بقضهم وقضيضهم وأساقفهم وقسسهم وإنهم قد نزلوا فى أربعمائة ألف من بين فارس وراجل موضعاً يقال له اليرموك ، ويستمده الجيوش ويقول له : إنك إن قصرت فى مسيرها فاحتسب أنفس المسلمين إن أقاموا ، ودينهم إن انهزموا ، فقد جاءهم مالا قبل (لهم)(١٠٦) به ، لم يتمالك عمر أن بكى وبكى المسلمون بالمدينة . وقالوا : يا أمير المؤمنين ابعثنا جميعا أو أسر بنا . وترجح(١٠٧) برأيه فى ذلك ، فأشار على رضى الله عنه بلزوم المدينة لتكون المفزع(١٠٨) والملجأ للمسلمين بامداد أبى عبيدة بالرجال والأموال

---

(٩٩) فى الأصل : « وذلكم » .

(١٠٠) فى الأصل : « كانت » .

(١٠١) فى تاريخ الطبرى : إن هاهنا رجل من أهل الأنبار له بصر بالديوان .

(١٠٢) فى تاريخ الطبرى ٤ / ٢٠٢ : « لقد اتخذت إذن بطانة » ولم يذكر فى الخبر تلاوته الآية الكريمة .

(١٠٣) المائدة : ٥١ .

(١٠٤) القصص : ٢٦ .

(١٠٥) الخبر فى أسد الغابة ٤ / ٧١ عن أبى بكر العبسى أنه قال دخلت حين الصدقة مع عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب فجلس عثمان فى الظل وقام على على رأسه يملى عليه ما يقول عمر . وعمر قائم فى يوم شديد الحر عليه بردتان سوداوان متزر بواحدة وقد وضع الأخرى على رأسه وهو يتفقد إبل الصدقة فيكتب ألوانها وأسنانها ، فقال على لعثمان ، أما سمعت قول ابنة شعيب فى كتاب الله عز وجل : ﴿ **إن خير من استأجرت القوى الأمين** ﴾ وأشار بيده إلى عمر فقال ، هذا هو القوى الأمين .

(١٠٦) زيادة ليست فى الأصل ، وفى فتوح الشام : « فاحتسب أنفس المسلمين إن هم أقاموا ، ودينهم إن هم تفرقوا » .

(١٠٧) ترجح أى مال واضطرب ، يقال ترجحت الأرجوحة بالغلام أى مالت .

(١٠٨) فى الأصل : « المقرع » والصواب المفزع . انظر الصحاح مادة (فزع) .

وقال له : ثق بالله يا أمير المؤمنين ، ولا تيأس من روح الله ﴿ **إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون** ﴾[109] . فقبل رأيه ، وكتب إلى أبي عبيدة[110] :

أما بعد فقد ورد عليَّ كتابك تذكر فيه مسير الروم بقضهم[111] وقضيضهم فإن الله تعالى رأى أماكنهم حين بعث محمداً صلوات الله عليه وأعزه بالنصر ، ونصره بالرعب ، فقال وهو لا يخلف الميعاد : ﴿ **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾[112] . وقد علمت أبا عبيدة أنه لم تكن شدة قط إلا جعل الله بعدها فرجا فلا تهولنك[113] كثرة من جاءك من الكفرة الفجرة فإن الله برىء منهم . ومن يبرأ الله منه فلن ينصره . ولا توحشك قلة المسلمين وكثرة الكافرين ﴿ **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين** ﴾[114] . وليس بقليل من كان الله معه ، فأقم بمكانك وتوكل على الله واستظهر به وكفى بالله ظهيرا ، ووليا ونصيرا .

وقد كتبت فى كتابك[115] أن أحتسب المسلمين إن هم[116] أقاموا ، ودينهم إن هم[117] انهزموا . وليس الأمر[118] كما ذكرت رحمك الله يا أبا عبيدة . لأنك قد علمت أن المسلمين إن هم أقاموا ، وصبروا وقتلوا ، فما عند الله خير للأبرار . وقد قال الله تعالى : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**[119] **فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا** ﴾[120] . وإنهم بحمد الله منصورون ، وأخلصوا

---

(109) يوسف : 87 .

(110) الرسالة فى فتوح الشام : 82 وقد حذفت منها عبارات وآيات .

(111) يقال : جاءوا قضهم بقضيضهم أى جاءوا بأجمعهم . لسان العرب (قضض) . وفى فتوح الشام فقد قدم على أبو ثمالة بكتابك ، يخبرنى فيه بنفير الروم إلى المسلمين برا وبحرا وبما جاشوا عليكم وأساقفهم ، قسسهم ورهبانهم . إن ربنا المحمود عندنا والصانع لنا . والرسالة فى فتوح الشام : 162 مع اختلاف فى الرواية .

(112) التوبة : 33 .

(113) فى الأصل : « يهولنك » وفى فتوح الشام : 82 فلا تهولنك ، كثرة ما جاءك . منهم فإن الله منهم برىء ، ومن يبرىء الله منهم كان قمنا أن لا تنفعه كثرة . وأن يكله الله إلى نفسه ، ويخذله ، ولا توحشك قلة المسلمين فى المشركين فإن الله معك .

(114) البقرة : 249 .

(115) عبارة « فى كتابك » غير موجودة فى نص فتوح الشام . وانظر جزءا من كتابه فى نثر الدر 2 / 28 .

(116) فى الأصل : « إنهم » وفى فتوح الشام : « أنفس المسلمين إن هم » .

(117) فى الأصل : « انهم » .

(118) فى فتوح الشام : وأيم الله لولا استثناؤك بهذا لقد كنت أسأت ولعمرى إن أقام لهم المسلمون وصبروا فأصيبوا لما عند الله خير للأبرار .

(119) من هنا يبدأ نص الآية فى فتوح الشام .

(120) ما بين القوسين سقط فى نص المخطوط والآية من سورة الأحزاب : 23 .

نياتكم وارفعوا إليه رغباتكم و ﴿ اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾[١٢١] . وإنى موجه إليكم الجيوش قبل أن تواقعوا العدو إن شاء الله ، ثم جهز العساكر ووهب الله النصر والفتح .

وكتب إليه عمار بن ياسر يذكر شدة شوكة الفرس ، وكثرة عددهم واستفحال أمرهم فكتب إليه عمر :

يد الله فوق أيديهم ، وسيمدكم الله بجند من الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ، ويقذف الرعب فى قلوبهم[١٢٢] ، والزلازل فى أقدامهم حتى يهزمهم هزيمة يكون فيها بوارهم[١٢٣] ، ودمارهم إن شاء الله .

فصـــــل

فى قتله وثناء المسلمين عليه

لما طعن أبو لؤلؤة عمر[١٢٤] رضى الله عنه فى المحراب جمع إليه ملحفته وتلا : ﴿ وكان أمر الله قدراً مقدورا ﴾[١٢٥] .

ولما صار لمَّا به دخل إليه نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يعودونه فلما نظر إليهم استعبر باكياً ، وبكوا بين يديه . فقالوا : لا أبكى الله عينيك يا أمير المؤمنين ، وأبشر بالخير كله فإنك من الذين أنزل الله فيهم : ﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾[١٢٦] وممن قال فيهم : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ﴾[١٢٧] . ولقد صحبت رسول الله حتى بشرك بالجنة فى غير موطن وفارق الدنيا وهو عنك راض ثم خلّفت خليفة وأحسنت الخلافة ووليت أمور المؤمنين فلم تأخذك فى الله لومة لائم . وعدلت فى الرعية وقسمت بينهم بالسوية فجزاك عن نبيه وخليفته وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

---

(١٢١) آل عمران : ٢٠٠ .
(١٢٢) إشارة إلى الآية ١٠ من سورة الفتح .
(١٢٣) البوار : الهلاك . الصحاح ، لسان العرب (بور) .
(١٢٤) فى الأصل : « طعنه . . وعمر . . . » .
(١٢٥) الأحزاب : ٣٨ .
(١٢٦) الفتح : ١٨ .
(١٢٧) نفسه : / ٢٩ .

ولما مضى عمر رضى الله عنه لسبيله وجهز أقبل علي رضى الله عنه باكياً ثم قال للناس : هذا الفاروق قد قضى نحبه ولقى ربه وكان لا تأخذه فى الله لومة لائم ، ولا يتقدم ولا يتأخر [إلا][١٢٨] وهو على بينة من ربه حتى كأن ملكاً يسدده . وكان شفيقاً[١٢٩] على المسلمين رءوفاً بالمؤمنين شديداً على الكافرين ، فرحمة الله ورضوانه عليه . ووالله ما أحد من عباد الله أحب من أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى بين أظهركم .

فصـــــل

فى ذكر محاسن عثمان رضى الله عنه

قال بعض السلف : من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها .

المدائنى[١٣٠] عن ابن سيرين[١٣١] قال : كان علي يقول فى عثمان : أشهد أنه من الذين قال الله فى حقهم[١٣٢] : ﴿ **إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون** ﴾[١٣٣] .

وجاء قوم إلى أبى هريرة يعيبون[١٣٤] عثمان فقال لهم : لا تذكروا ذا النورين إلا بخير[١٣٥] . فما انتهوا ولم يرتدعوا ، فرمى[١٣٦] أبو هريرة بسيفه حتى غرز فى الجدار[١٣٧] وتلا : ﴿ **يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم** ﴾[١٣٨] .

---

(١٢٨) زيادة ليست فى الأصل يقتضيها السياق .

(١٢٩) فى الأصل : « شفيا » .

(١٣٠) المدائنى هو أبو الحسن على بن محمد بن عبد الله بن أبى سيف المدائنى ولد سنة ١٣٥ وتوفى سنة ٢١٥ كان مؤرخا راويا للأخبار والآداب . الفهرست : ١٥٣ .

(١٣١) ابن سيرين محمد يكنى أبا بكر أحد أئمة المسلمين زاهد واعظ عرف بتأويله الأحلام توفى نحو ١١٠ هـ انظر حلية الأولياء ٢ / ٢٦٣ تاريخ بغداد ٥ / ٣٣١ .

(١٣٢) فى أنساب الأشراف جـ ٥ / ٨ عن محمد بن حاطب أنه قال يوما لعلى ، هؤلاء سيسألونا عن عثمان غدا فما نقول ؟ قال : نقول كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا ، وآمنوا ، ثم اتقوا وأحسنوا .

(١٣٣) الأنبياء : ١٠١ .

(١٣٤) فى الأصل : « يعينون » .

(١٣٥) فى الأصل : « لا نحين » .

(١٣٦) فى الأصل : « قدمى » .

(١٣٧) فى الأصل : « الحرر » .

(١٣٨) الأعراف : ٧٩ .

وعن الحسن بن علي كرم الله وجههما : كيف لا أسب قاتل عثمان ، وقد سبه الله فى كتابه فقال : ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾[139] .

فصـــــل

فى غرر من كلامه فى الخطب وغيرها

خطب يوما فارتج عليه فقال :

سيجعل الله بعد عسر يسرا ، وبعد عي نطقا ، وأنتم إلى إمام (فعال)[140] أحوج منكم[141] إلى إمام مقال[142] .

وخطب يوما فساق الكلام إلى شكاية الرعية فقال :

وأنا منهم بين ألسنة لداد ، وسيوف حداد ، وقلوب شداد . قد برىء الله منهم ، يوم لا ينطقون . ولا يؤذن لهم فيعتذرون .

صعصعة بن صوحان[143] قال : ما أعيانى جواب أحد كما أعيانى جواب عثمان ، دخلت إليه يوما فقلت : أخرجنا من ديارنا ، وأموالنا أن قلنا ربنا الله ، فقال : ياصعصعة نحن الذين أخرجنا من ديارنا وأموالنا أن قلنا ، ربنا الله ، فمنا من مات بأرض الحبشة ومنا من مات بالمدينة . ومن كلام عثمان (ما يزع)[144] .

---

(١٣٩) النساء : ٩٣ .

(١٤٠) زيادة ليست فى الأصل يقتضيها السياق .

(١٤١) فى الأصل : « اجوج » وفى عيون الأخبار ٢ / ٢٣٥ أن عثمان حين صعد على ذروة المنبر فرماه الناس بأبصارهم فقال : إن أول مركب صعب ، وإن مع اليوم أياما . وما كنا بخطباء وإن نعش لكم تأتكم الخطبة على وجهها إن شاء الله . وفى الفاضل للوشاء أن عثمان صعد المنبر فارتج عليه فقال : أيها الناس سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عى بيانا ، وإنكم إلى أمير فعال أحوج منكم إلى إمام قوال أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم . وفى بهجة المجالس فى باب من خطب فارتج عليه ص ٧٣ أنه قال (وليناكم وعدلنا فيكم ، عدلنا عليكم خير من خطبتنا فيكم وإن أعش يأتكم الكلام على وجهه) . والخبر فى نزهة الجليس ٧٣ .

(١٤٢) فى الأصل : « فقال » . والمشهور : « قوال » .

(١٤٣) صعصعة بن صوحان بن حجر العبدى من سادات عبد قيس من أهل الكوفة كان خطيبا بليغا شهد صفين مع على توفى بالكوفة نحو ٦٠ هـ . تهذيب ٤ / ٤٢٢ .

(١٤٤) كذا فى الأصل ولعل صوابه : ما يزع أى ما يزجر ويكف عن السيئات .

فصـــــل

فى كلام لعلي فى عثمان وكلام فيهما

شكا عثمان إلى علي أبا ذر الغفاري[١٤٥] فقال له علي : أنا أشير عليك فيه بما قال مؤمن آل فرعون : ﴿ **فإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب** ﴾[١٤٦] .

وقال يوماً[١٤٧] لعثمان :

قد بلغ الناس عنك أمور تركها خير لك من الإقامة (عليها)[١٤٨] فاتق الله ، وتب إليه فإنه يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات .

قال الحجاج للحسن البصري[١٤٩] : ماتقول[١٥٠] فى عثمان وعلى فقال : أقول فيهما ما قال من هو خير مني بين يدي من هو شر منك . قال : ومن هما ؟ قال : موسى وفرعون . ثم تلا : ﴿ **قال فما بال القرون الأولى . قال علمها عند ربي فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى** ﴾[١٥١] .

التقى الزهري[١٥٢] وأبو مسلم[١٥٣] فى الطواف[١٥٤] فقال له أبو مسلم : ماتقول فى على وعثمان ؟ فتحير[١٥٥] الزهري ولم يحر جوابا . فقال أبو مسلم : ويحك هلا قلت كما قال الله تعالى : ﴿ **تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون** ﴾[١٥٦] .

---

(١٤٥) أبو ذر الغفارى جندب بن جنادة الغفارى صحابى جليل نفاه عثمان إلى الشام وأرجعه معاوية إلى المدينة فنفاه عثمان مرة أخرى إلى الربذة فتوفى نحو ٣٢ هـ . انظر طبقات ابن سعد ٤ / ١٦١ ــ ١٧٥ ، الإصابة ٧ / ٦٠ .

(١٤٦) غافر : ٢٨ .

(١٤٧) فى الأصل : « يوم » .

(١٤٨) زيادة ليست فى الأصل .

(١٤٩) الحسن البصرى أبو سعيد الحسن بن يسار فقيه زاهد واعظ توفى نحو ١١٠ هـ حلية الأولياء ٢ / ١٣١ فما بعدها .

(١٥٠) فى الأصل : « وفى » .

(١٥١) طه : ٥١ ، ٥٢ .

(١٥٢) الزهرى محمد بن شهاب تابعى جليل كان أول من دون الحديث بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز توفى نحو ١٢٣ هـ .

(١٥٣) أبو مسلم هو عبد الله بن ثوب الخولانى تابعى كبير فقيه زاهد كان يسمى حكيم الأمة . انظر حلية الأولياء ٢ / ١٢٢ فما بعدها .

(١٥٤) فى الأصل : « الطراف » .

(١٥٥) فى الأصل : « فيتحرى » .

(١٥٦) البقرة : ١٣٤ .

فصـــل

فى نكت من أخبار محاصرة عثمان رضى الله عنه

لما حوصر فاشتد الأمر عليه كتب إلى الناس كتابا نسخته[١٥٧] :

أما بعد ، فإنى أذكركم الله ربكم الذى أنعم عليكم بالإسلام وهداكم من الضلالة[١٥٨] وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الإنسان لظلوم كفار** ﴾[١٥٩] فـ ﴿ **اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾[١٦٠] ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾[١٦١] ﴿ **ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم** ﴾[١٦٢] ﴿ **إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم** ﴾[١٦٣] . ألا وقد علمتم أن الله رضى لكم السمع[١٦٤] ، والطاعة ، وحذركم المعصية والفرقة[١٦٥] لتكون له الحجة عليكم إن عصيتموه فاقبلوا[١٦٦] أمره ، واحذروا عذابه فإنكم[١٦٧] لم تجدوا أمة هلكت قبلكم إلا من بعد مااختلفت ولم يكن لها رأس يجمعها . ومتى تفعلون بى[١٦٨] ماأزمعتم عليه[١٦٩] . لاتقيمون صلاة[١٧٠] ولا تخرجون زكاة ، ويسلط عليكم عدوكم ويستحل[١٧١] بعضكم دماء بعض[١٧٢] . وتكونون[١٧٣] شيعا ﴿ لست[١٧٤]

---

(١٥٧) فى الأصل : « بنسخته » . الرسالة فى الطبرى ٥ / ١٤٤ .

(١٥٨) فى الطبرى : وأنقذكم من الكفر وأراكم من البينات ، وأوسع عليكم من الرزق ونصركم على العدو وأسبغ عليكم نعمته .

(١٥٩) إبراهيم : ٣٤ .

(١٦٠) آل عمران : ١٠٢ .

(١٦١) نفسها : ١٠٤ .

(١٦٢) نفسها : ١٠٥ .

(١٦٣) نفسها : ٧٧ وقد حذف من نص الثعالبى آيات ذكرها الطبرى .

(١٦٤) فى تاريخ الطبرى : الطاعة والجماعة .

(١٦٥) فى الطبرى : « والاختلاف » .

(١٦٦) فى الطبرى : فاقبلوا نصيحة الله جل وعز ، واحذروا عذابه .

(١٦٧) فى الطبرى : لن تجدوا أمة هلكت إلا من بعد أن تختلف إلا أن يكون لها رأس يجمعها .

(١٦٨) فى الأصل : « لى » .

(١٦٩) فى الأصل : « ما ان منعتم » .

(١٧٠) فى الطبرى : ومتى ما تفعلون ذلك لا تقيمون الصلاة جميعا وسلط عليكم عدوكم . وفى الأصل : « لم تقيموا صلاة ولم تخرجوا زكاة » .

(١٧١) فى الأصل : « واستحل » .

(١٧٢) فى الطبرى : ومتى يفعل ذلك لا يقيم الله سبحانه دين ، وتكونوا شيعا .

(١٧٣) فى الأصل : « لم تكونوا » وهو تحريف .

(١٧٤) فى الأصل : « ليس » .

منهم فى شىء إنما أمرهم إلى الله ﴾[175] وقد علمتم[176] أن شعيبا لما نسبه قومه إلى الشقاق قال : ﴿ لا يجرمنكم شقاق أن يصيبكم مثل ماأصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد ﴾[177] ، (ألا إنى قد أنصفتكم وأعطيت فى نفسى الرضى على أن أعمل فيكم بالكتاب والسنة وأسير فيكم السيرة الحسنة ، وأعزل عن أمصاركم من كرهتم فأولى عليكم من أحببتم وكتابى هذا معذرة مني[178] إلى الله تعالى ثم إليكم وتنصل مما كرهتم)[179] ﴿ وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربى إن ربى غفور رحيم ﴾[180] . فاكتفوا منى بهذا العهد . ﴿ إن العهد كان مسئولا ﴾[181] . وإنى أتوب إلى الله من كل ما كرهتموه وأستغفر الله فى[182] ذلك فإنه لا[183] يغفر الذنوب إلا الله[184] والسلام .

وأشرف عثمان يوما على محاصريه . ومعه زيد بن ثابت فناداه المصريون : ياهذا إنا قد كرهناك فاعتزلنا ، وإلا قتلناك . فتكلم زيد : ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء إنما أمرهم إلى الله ﴾[185] فصاح به الناس وسبوه .

وتكلم فى بعض تلك الأيام عبد الله بن سلام[186] فكان من كلامه[187] أنه قال :

---

(١٧٥) الأنعام : ١٥٩ وقد ذكر الطبرى الآية كاملة فى نصه .

(١٧٦) فى الطبرى : وإنى أوصيكم بما أوصاكم الله وأحذركم عذابه ، فإن شعيبا ﷺ قال لقومه .

(١٧٧) هود : ٨٩ .

(١٧٨) فى الأصل : « معدودة » .

(١٧٩) ما بين العضادتين غير موجود فى نص الطبرى . وقد حذف الثعالبى أيضا نصا طويلا من الرسالة .

(١٨٠) يوسف : ٥٣ .

(١٨١) الإسراء : ٣٤ .

(١٨٢) فى الأصل : « استغفروا الله من » .

(١٨٣) فى الطبرى : وإن عاقبت أقواما فما أبتغى بذلك إلا الخير وإنى أتوب إلى الله عز وجل من كل عمل عملته ، وأستغفره إنه لا يغفر الذنوب إلا هو . إن رحمة ربى وسعت كل شىء .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أيها المؤمنون المسلمون . تاريخ الطبرى ٥ / ١٤٠ .

(١٨٤) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴾ آل عمران : ١٣٥ .

(١٨٥) الأنعام : ١٥٩ .

(١٨٦) عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلى يكنى أبا يوسف ، صحابى أسلم عند قدوم النبى ﷺ إلى المدينة فى السنة الأولى للهجرة وكان اسمه الحصين فأبدله الرسول ﷺ . ولما كانت الفتنة بين على ومعاوية اعتزلها وأقام بالمدينة إلى أن مات نحو سنة ٤٣ هـ . انظر التنبيه والإشراف : ٢٠١ ، طبقات فقهاء اليمن : الجعدى ٥٧ ، صفة الصفوة ١ / ٣٠١ .

(١٨٧) فى أنساب الأشراف ٥ / ١٥ : أن عثمان هو الذى طلب من عبد الله بن سلام أن يخرج إليهم ، فخرج إليهم ووعظهم ، وعظم حرمة المدينة ، وقال لهم إنه ما قتل خليفة قط إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفا . فقالوا كذبت يا يهودى ابن يهودى .

إياكم وقتل هذا الشيخ ، فإنه خليفة ولى[188] الله . ما قتل نبى إلا قتل به سبعون ألفا من أمته ، وما قتل خليفة لنبى إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفا . فنادوه من كل جانب أعزب[189] يا يهودى . فقال لهم : أتقولون هذا لمن قال الله فيه: ﴿ **قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم** ﴾[190] ، وقال فى آية أخرى : ﴿ **قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب** ﴾[191] . فلم يلتفتوا إلى قوله حتى كان ما كان من قتل عثمان رضى الله عنه .

وروى أنه بلغ عثمان عن عائشة رحمها الله كلام كرهه فتلا : ﴿ **ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا [عنهما][192] من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين** ﴾[193] .

فصـــــــل

فى كلام علي رضى الله عنه المقتبس من القرآن

يقال إنه اقتبس أحسن كلامه (منه)[194] وأنه فرع[195] قوله من القرآن مثل قوله السائر الذى هو أحكم مقال بعد كلام الأنبياء عليهم السلام :

قيمة كل امرئ ما يحسنه . فإنه مقتبس مما نطق به القرآن فى قصة طالوت : ﴿ **قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء** ﴾[196] .

وقوله رضى الله عنه : المرء مخبوء تحت لسانه ، مقتبس من قصة يوسف عليه السلام ، ﴿ **فلما كلمه قال إنك (اليوم)[197] لدينا مكين أمين** ﴾ .

---

(188) لعل صوابها خليفة نبى الله .
(189) أعزب أى تباعد . انظر الصحاح (عزب) .
(190) الأحقاف : 10 وقد أضيفت كلمة « واستكبرتم » خطأ بعد كلمة وكفرتم فحذفناها .
(191) الرعد : 43 .
(192) زيادة ليست فى الأصل .
(193) التحريم : 10 .
(194) زيادة ليست فى الأصل .
(195) فى الأصل : « فأنه » .
(196) البقرة : 247 .
(197) ما بين القوسين ساقط من المخطوط والآية من سورة يوسف : 54 .

وقوله : الناس أعداء ماجهلوا . من قوله تعالى : ﴿ **بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه** ﴾[198] .

وخطب علي رضى الله عنه فقال فى خطبته :

عباد الله الموت ليس منه فوت إن أقمتم له أخذكم . وإن هربتم منه أدرككم . ألا وإن القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار . ألا وإن وراءه ﴿ **يوماً يجعل الولدان شيبا** ﴾[199] و ﴿ **تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد** ﴾[200] .

ألا وإن وراء ذلك اليوم نار حرها شديد ، وقعرها بعيد . ليست لله فيها رحمة .

فارتفعت أصوات من حوله بالبكاء . فقال : ألا وإن وراءها جنة كعرض السموات والأرض أعدت للمتقين[201] .

فصـــــل
فى نكت من أخباره

لما بويع رضى الله عنه واستقام له بعض الأمر . أشير عليه بأن يقر معاوية على الشام وعبد الله بن عامر بن كريز[202] على البصرة[203] ريثما تستقر الأمور فى قرارها ، امتنع عن ذلك . وقال : ﴿ **ما كنت متخذ المضلين [عضداً]** ﴾[204] .

ولما استأذنه طلحة والزبير فى العمرة قال لهما : انطلقا ، فما العمرة تريدان .

---

(١٩٨) يونس : ٣٩ .

(١٩٩) المزمل : ١٧ .

(٢٠٠) الحج : ٢ .

(٢٠١) من قوله تعالى فى سورة آل عمران : ١٣٣ ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين** ﴾ .

(٢٠٢) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة يكنى أبا عبد الرحمن . ولد بمكة وولى البصرة أيام عثمان سنة ٢٩ هـ ومات بمكة . ودفن بعرفات سنة ٥٩ هـ القصد والأمم ٧٢ ، الإصابة ٣ / ٦١ .

(٢٠٣) فى الأصل : « التصرة » .

(٢٠٤) الكهف : ٥١ وفى الأصل : « متخذا المضلين » .

ولما خرج طلحة والزبير وعائشة وقد خرجوا من مكة إلى البصرة كتبت أم سلمة[٢٠٥] إلى على :

أما بعد ، فإن طلحة والزبير وعائشة[٢٠٦] قد خرجوا من مكة يريدون[٢٠٧] البصرة واستنفروا الناس إلى حربك . ولم يخف معهم إلا من كان فى قلبه مرض . و ﴿ **يد الله فوق أيديهم** ﴾[٢٠٨] والله كافيهم وجاعل دائرة السوء عليهم .

فكتب إليها : ﴿ **عما قليل ليصبحن نادمين** ﴾[٢٠٩] .

ولما أخبرت حفصة أم كلثوم بنت علي باجتماع الناس إلى عائشة بالبصرة قالت لها : إنك وعائشة إن تظاهرتما على أبى . (فقد تظاهرتما على من[٢١٠] كان الله مولاه ، وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير)[٢١١] .

ولما توجه إلى البصرة أنفذ[٢١٢] الحسن وعمار بن ياسر[٢١٣] رضى الله عنهما إلى الكوفة لاستنفارها[٢١٤] فلما وردها أجابت طائفة ، وامتنع الآخرون . وكثر الكلام بين الناس فوثب زيد بن صوحان[٢١٥] العبدى فقال : ﴿ **الم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن[٢١٦] الكاذبين** ﴾[٢١٧] . أيها الناس سيروا إلى أمير المؤمنين وانفروا إليه أجمعين

---

(٢٠٥) أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم زوج النبى ﷺ وقد روت عن النبى ﷺ . انظر الطبقات ٣٣٤ .

(٢٠٦) فى شرح نهج البلاغة ٢ / ٧٨ : فإن طلحة والزبير وأشياعهم شياع الضلالة يريدون أن يخرجوا لعائشة إلى البصرة ومعهم ابن الحزان عبد الله بن عامر بن كريز . ويذكرون أن عثمان قتل مظلوما وأنهم يطالبون بدمه والله كافيهم بحوله وقوته ولولا ما نهانا الله عنه من الخروج ، وأمرنا به من لزوم البيوت لم أدع الخروج إليك .

(٢٠٧) فى الأصل : « كدورون » .

(٢٠٨) الفتح : ١٠ .

(٢٠٩) المؤمنون : ٤٠ .

(٢١٠) فى الأصل : « جرى كان » .

(٢١١) إشارة إلى الآية : ٤ التحريم .

(٢١٢) فى الأصل « انعد » .

(٢١٣) زيادة ليست فى الأصل والخبر فى تاريخ الطبرى حوادث سنة ٣٦ هـ وفيه أن الحسن وعمارا لما دخلا المسجد قالا : أيها الناس إن أمير المؤمنين يقول إنى خرجت مخرجى هذا ظالما أو مظلوما وإنى أذكر الله عز وجل رجلا رعى لله حقا إلا نفر ، فإن كنت مظلوما أعاننى وإن كنت ظالما أخذ منى والله إن طلحة والزبير لأول من بايعنى .

(٢١٤) فى الأصل : « لاستقار » .

(٢١٥) زيد بن صوحان بن حجر العبدى من بنى عبد القيس تابعى من أهل الكوفة له رواية عن عمر وعلى . شهد الفتح فقطعت شماله يوم نهاوند وقاتل يوم الجمل مع الإمام على حتى قتل سنة ٣٦ هـ تاريخ بغداد ٨ / ٤٣٩ .

(٢١٦) فى الأصل : « المكاذبين » .

(٢١٧) العنكبوت : ١ ـ ٣ .

تصيبوا الحق راشدين . فاستجاب أكثرهم ونفروا مع الحسن .

ولما نزلت[٢١٨] الفئتان بالبصرة أنفذ علي إلى طلحة والزبير ينذرهما ويحذرهما عاقبة البغي والنكث ويشير عليهما بالطاعة . فأجاباه بأن قالا :

إنك لست راضياً[٢١٩] دون أن ندخل فى طاعتك ونحن لا ندخل فيها أبدا ، ﴿ فاقض ما أنت قاض ﴾[٢٢٠] .

ولما حمى الوطيس يوم الجمل وكادت تكون الدائرة[٢٢١] على عسكر عائشة غضبت ودعت بكف من حصى[٢٢٢] فحصبت[٢٢٣] بها عسكر علي وقالت : شاهت الوجوه . فصاح بها رجل من أصحابه : ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾[٢٢٤] .

ولما رمى طلحة بالسهم المسموم فأصابه . سقط لما به ، وأغمي عليه . فلما أفاق نظر إلى الدم يسيل منه فاسترجع وقال : إنا عنينا بهذه الآية من كتاب الله تعالى : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾[٢٢٥] .

ولما سقط الجمل قالت عائشة : ﴿ يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا ﴾[٢٢٦] فقال رجل : ﴿ يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ﴾[٢٢٧] .

وخطب علي بعد انقضاء حرب الجمل فكان من قوله فيها :

وإن طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي فجاهدتهما بعدما عذرت وأنذرت حتى ﴿ ظهر أمر الله وهم كارهون ﴾[٢٢٨] .

وقال فى خطبة أخرى[٢٢٩] :

---

(٢١٨) فى الأصل : « ترات » .

(٢١٩) فى الأصل : « ناضيا » .

(٢٢٠) طه : ٧٢ .

(٢٢١) فى الأصل : « الديرة » .

(٢٢٢) فى الأصل : « خصى » .

(٢٢٣) فى الأصل : « فحصنت » وحصبت معناها رمت .

(٢٢٤) الأنفال : ١٧ .

(٢٢٥) نفسها : ٢٥ .

(٢٢٦) مريم : ٢٣ .

(٢٢٧) النور : ١٧ .

(٢٢٨) من قوله تعالى فى سورة التوبة : ٤٨ ﴿ حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ﴾ . وهناك أكثر من خطبة للإمام على يذكر فيها نكث طلحة والزبير بيعتهما . انظر جمهرة خطب العرب ١ / ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٠٣ .

(٢٢٩) من خطبة مشهورة عرفت بالشقشقية . انظر شرح نهج البلاغة ١ / ٦٦ ورواية الخطبة هناك : فما راعنى إلا والناس كعرف الضبع إلى ينثالون على من كل جانب حتى لقد وطىء الحسنان وشق عطفاى حولى كربيضة =

وما راعني إلا انثيال[٢٣٠] الناس عليّ كعرف الضبع يسألونني أن أبايعهم حتى لقد وطيء الحسنان[٢٣١] ، وشق عطفاي[٢٣٢] . فلما نهضت بالأمر فسقت شرذمة ونكث آخرون كأن لم يسمعوا قول الله تعالى : ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين** ﴾ [٢٣٣] .

فصــــــل

فى نكت من أخباره فى أيام صفين

ورد جاسوس لمعاوية الكوفة قبل أيام صفين . فقيل له ما وراءك ؟ فقال : تركت بالشام خمسين ألفا خاضبين[٢٣٤] لحاهم من دماء أعينهم على قميص عثمان . وقد عاهدوا الله ألا يشيموا[٢٣٥] سيوفهم حتى يقتلوا قتلة عثمان . فقال له مسلمة بن زفر العبسي ، أتخوف المهاجرين والأنصار ببكاء أهل الشام على قميص عثمان ؟ والله ما قميصه بقميص يوسف[٢٣٦] . ولا بكاؤهم عليه ببكاء يعقوب[٢٣٧] ولئن بكوه بالشام لقد خذلوه بالحجاز .

ولما ورد جرير بن عبد الله[٢٣٨] على معاوية لأخذ البيعة منه راوغه معاوية وطاوله [في][٢٣٩] الأمر . فقال له جرير : يا معاوية ما أظن قلبك (إلا) مطبوعا عليه و ﴿ **كذلك يطبع الله على كل قلب** [٢٤٠] **متكبر جبار** ﴾[٢٤١] .

= الغنم فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسط آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول ﴿ تلك الدار . . ﴾ بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكن حليت الدنيا فى أعينهم وراقهم زبرجها .

(٢٣٠) فى الأصل : « الانتشال » . (٢٣١) فى الأصل : « الحسان » .

(٢٣٢) فى الأصل : « عطافى » بعدها فى نهج البلاغة « مجتمعين حولى كربيضة الغنم » .

(٢٣٣) القصص : ٨٣ بعد هذه الآية تتمة للخطبة فى شرح نهج البلاغة .

(٢٣٤) فى الأصل : « خاضئين لحاهم » .

(٢٣٥) يشيموا أى يغمدوا . الصحاح اللسان (شيم) .

(٢٣٦) إشارة إلى الآية : ١٨ من سورة يوسف : ﴿ وجاءوا على قميصه بدم كذب ﴾ .

(٢٣٧) إشارة إلى الآيتين : ١٦ ، ١٧ من سورة يوسف : ﴿ وجاءوا أباهم عشاء يبكون . قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب ﴾ .

(٢٣٨) جرير بن عبد الله البجلى ، أبو عمر وقيل أبو عبد الله روى عن النبى ﷺ وكان إسلامه فى السنة التى توفى فيها الرسول ﷺ وتوفى نحو سنة ٥١ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٢ / ٧٤ وأخباره فى الإمامة والسياسة .

(٢٣٩) زيادة ليست فى الأصل . (٢٤٠) زيادة ليست فى الأصل .

(٢٤١) غافر : ٣٥ .

ولما أراد على رضى الله عنه المسير إلى الشام . دعا بفرسه وقال : بسم الله . فلما استوى قال [٢٤٢] : ﴿ **سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا [له][٢٤٣] مقرنين . (وإنا) [٢٤٤] إلى ربنا لمنقلبون** ﴾ [٢٤٥] . ورأى نخلاً وراء النخل فقال : ﴿ **والنخل باسقات [٢٤٦] لها طلع نضيد** ﴾[٢٤٧] ونظر فى مسيره إلى إيوان كسرى فقال : ﴿ **أتبنون بكل ريع آية تعبثون . وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . وإذا بطشتم بطشتم جبارين** ﴾[٢٤٨] . ولما نزل صفين وجاءت رسل معاوية بالمحالات[٢٤٩] أجابهم بما لم يسمعوا فيه فقال : ﴿ **إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين . وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون** ﴾[٢٥٠] .

وكتب معاوية[٢٥١] :

ليس بينى وبين قيس عتاب غير طعن الكلى وضرب الرقاب

فكتب إليه على :

﴿ **إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ [٢٥٢] .

ولما صح عزمه على القراع[٢٥٣] خطب أصحابه فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه[٢٥٤] :

يا أيها الناس إن الله تعالى قد دلكم ﴿ **على تجارة تنجيكم من عذاب إليم** ﴾[٢٥٥] . وجعل ثوابه لكم المغفرة ﴿ **ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله**

---

(٢٤٢) فى الأصل : « قال » .

(٢٤٣) ما بين القوسين ساقط من أصل المخطوط .

(٢٤٤) فى الأصل « عايليون » .

(٢٤٥) الزخرف : ١٣ ، ١٤ .

(٢٤٦) فى الأصل : « باصقات » .

(٢٤٧) ق : ١٠ .

(٢٤٨) الشعراء : ١٢٨ ـ ١٣٠ .

(٢٤٩) المحالات جمع محالة وهى الحيلة .

(٢٥٠) النمل : ٨٠ ، ٨١ .

(٢٥١) الكتاب فى الإمامة والسياسة ١ / ٤٩ . وقد أجاب فيه معاوية على كتاب الإمام على فى توليته الشام وطلبه البيعة منه والقدوم إليه فى ألف رجل من أهل الشام . وهو أيضا فى وقعة صفين : ١٠٥ .

(٢٥٢) القصص : ٥٦ .

(٢٥٣) القراع : القتال ، ومقارعة الأبطال قرع بعضهم بعضا . اللسان (قرع) .

(٢٥٤) الخطبة فى نهج البلاغة ١٨ ـ ١٨٠ ، وقد بدأت فيه من قوله : « فقدموا الدارع » .

(٢٥٥) الصف : ١٠ .

أكبر ﴾(٢٥٦) وقد أخبركم بالذى يجب عليكم فيها فقال : **﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴾**(٢٥٧) . ألا فرصوا صفوفكم . وقدموا الدارع(٢٥٨) ، وأخروا الحاسر . وعضوا على النواجذ(٢٥٩) .

فإنه أنبى(٢٦٠) للسيوف عن الهام(٢٦١) . ثم قرأ : **﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ﴾**(٢٦٢) . ألا واحذروا الفرار(٢٦٣) فى الزحف ولا تتعرضوا لمقت الله . فإن مردكم إليه . وهو تعالى يقول : **﴿ قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا ﴾**(٢٦٤) .

وخطبهم يوماً آخر ، فقال :

إن الله بعث محمداً بشيرا ونذيرا للعالمين(٢٦٥) . وأمينا على التنزيل ، وشهيدا على هذه الأمة(٢٦٦) . وأنتم معاشر العرب فى شردين وجور(٢٦٧) . بين حجارة جلس(٢٦٨) وحيات صم . تشربون الأجاج(٢٦٩) . وتأكلون الجشب(٢٧٠) . وتسفكون دماءكم(٢٧١) بينكم وتقتلون أولادكم ، ولا ترجون لله وقارا . ولا يؤمن أكثركم بالله إلا وأنتم مشركون . فمن الله عليكم برسول من أنفسكم . **﴿ عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾**(٢٧٢) . فأمركم بأداء الأمانة(٢٧٣) ، وصلة الرحم(٢٧٤) .

---

(٢٥٦) التوبة : ٧٣ .

(٢٥٧) الصف : ٤ .

(٢٥٨) فى الأصل : « الدراع » والصواب ما أثبتناه .

(٢٥٩) فى نهج البلاغة : « وعضوا على الأضراس » .

(٢٦٠) فى الأصل : « ابنى » .

(٢٦١) من هنا يختلف نص الخطبة فى نهج البلاغة ١٨١ .

(٢٦٢) التوبة : ١٤ وفى الأصل : « ويشفى » .

(٢٦٣) فى الأصل : « القران » .

(٢٦٤) الأحزاب : ١٦ .

(٢٦٥) إشارة إلى سورة سبأ : ٢٨ والبقرة : ٧٩ ، ٨٠ ، ١١٩ وآيات كثيرة أخرى .

(٢٦٦) إشارة إلى قوله تعالى: **﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾** النساء : ٤١ ولفظ « شهيدا » غير موجود فى نهج البلاغة .

(٢٦٧) الجور : الميل عن القصد . وفى نهج البلاغة : « على شر دين وفي شر دار » .

(٢٦٨) فى الأصل : « حبيس » والجلس : الحجارة الغليظة الخشنة وفى نهج البلاغة : « حجارة خشن » .

(٢٦٩) الأجاج : المالح . وروايتها فى نهج البلاغة : « الكدر » .

(٢٧٠) فى الأصل : « الخشب » والتصويب فى نهج البلاغة والجشب من الطعام الغليظ أو ما يكون منه بغير أدم .

(٢٧١) بعدها فى نهج البلاغة : « وتقطعون أرحامكم والأصنام فيكم منصوبة ، والآثام بكم معصوبة » وينتهى بعدها النص فيه .

(٢٧٢) التوبة : ١٢٨ .

(٢٧٣) إشارة إلى قوله تعالى: **﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾** النساء : ٥٨ .

(٢٧٤) إشارة إلى قوله تعالى: **﴿ واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ﴾** النساء : ١ .

وحقن الدماء . ونهاكم[٢٧٥] عن التحاسد[٢٧٦] والتنازع[٢٧٧] .

واستمر فى الخطبة ثم ساق الكلام إلى ذكر أهل الشام فقال :

ودعوناهم فلم يجيبوا إلى الحق والبرهان ، ولم يتناهوا عن الطغيان والعدوان وقد أنذرناهم ، ونبذنا إليهم على سواء[٢٧٨] إن الله لا يحب الخائنين .

ومن دعائه فى ليلة الهرير[٢٧٩] :

اللهم إليك نقلت الأقدام ، وأفضت القلوب[٢٨٠] ، ورفعت الأيدى ، ومدت الأعناق ، وطلبت الحوائج . وشخصت الأبصار[٢٨١] . اللهم ﴿ **افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين** ﴾[٢٨٢] .

ونظر يوما إلى بعض أصحابه يتألمون من الجراح فقرأ : ﴿ **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم** ﴾[٢٨٣] .

ولما حمل أهل الشام المصاحف على رءوس الرماح ودعوا إليها . تقدم رجل منهم على فرس أبلق[٢٨٤] فى يده مصحف قد فتحه . ثم وقف بين الجمعين وجعل يقرأ :

﴿ **وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون . وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين . أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون . إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون** ﴾[٢٨٥] .

---

(٢٧٥) فى الأصل : « وانهاكم » .

(٢٧٦) الخطبة فى نهج البلاغة مع خلاف فى الرواية .

(٢٧٧) العبارة الأخيرة إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا** ﴾ الأنفال : ٤٦ .

(٢٧٨) فى الأصل : « سوا » والقول إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم** ﴾ الأنفال : ٥٨ .

(٢٧٩) الهرير معركة دارت بين جيش الامام على وجيش معاوية سنة ٣٧ هـ وكانت فى ليلة شديدة على المسلمين يضرب بها المثل فى الشدة . كثر فيها القتلى من الجانبين . انظر شرح نهج البلاغة ١ / ١٨٤ وأول الدعاء فيه « اللهم يا صمد ، يا إله محمد ، إليك . . . » .

(٢٨٠) قبلها فى نهج البلاغة : « اللهم إليك أمضت القلوب ، ومدت الأعناق ، ونقلت الأقدام » .

(٢٨١) فى شرح نهج البلاغة : « وشخصت الأبصار ، وطلبت الحوائج » وبعدها : « اللهم نشكو إليك غيبة نبينا ، وكثرة عدونا ، وتشتت أهوائنا . ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين . سيروا على بركة الله » .

(٢٨٢) الأعراف : ٨٨ . (٢٨٣) محمد : ٣١ .

(٢٨٤) الأبلق صفة للفرس من البلق إذا كان فى لونه سواد وبياض .

(٢٨٥) النور : ٤٨ ـ ٥١ .

فكانما كانت تلك الحرب نارا صبت عليها ماء . ثم اتفقوا على نصب الحكمين يتأولون قول الله تعالى : فـ ﴿ **إن خفتم شقاق**[٢٨٦] **بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما** ﴾[٢٨٧] . وقوله تعالى : ﴿ **يحكم به ذوا عدل منكم** ﴾[٢٨٨] .

ولما كان من خديعة[٢٨٩] عمرو بن العاص لأبي موسى[٢٩٠] ماكان . قال له أبو موسى : عليك لعنة الله . فوالله ما أنت إلا كما قال الله تعالى : ﴿ **كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني برىء منك إني أخاف الله رب العالمين** ﴾[٢٩١] .

فصـــــل

في نبذ من خبره مع الخوارج

لما سار علي رضي الله عنه إلى قتال الخوارج بالنهروان[٢٩٢] . قال له عفيف بن قيس : ياأمير المؤمنين لا تخرج في هذه الساعة . فإنها لعدوك عليك . فقال علي : ﴿ **إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم** ﴾[٢٩٣] . ثم تمم المسير إليهم فطحن أكثرهم طحنا .

ولما قال ذو الثدية حرقوص بن زهير[٢٩٤] : والله مانريد بقتالك إلا وجه الله . قرأ :

---

(٢٨٦) في الأصل : « شقاقا » .

(٢٨٧) النساء : ٣٤ . (٢٨٨) المائدة : ٩٥ .

(٢٨٩) في الأصل : « حذيفة » .

(٢٩٠) أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس بن سليم من بني الأشعر صحابي ولد في زبيد اليمن وقدم مكة عند ظهور الإسلام وأسلم . ولاه عمر بن الخطاب البصرة وافتتح أصبهان والأهواز . عزله علي عن الكوفة بعد التحكيم فأقام فيها إلى أن مات سنة ٤٤ هـ . انظر : الإصابة ٣ / ٣٥١ .

(٢٩١) الحشر : ١٦ .

(٢٩٢) النهروان : قال ياقوت عنها هي ثلاث نهروانات الأعلى والأوسط والأسفل ، وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي حدها الأعلى متصل ببغداد . وكان بها وقعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب مع الخوارج مشهورة . معجم البلدان ٤ / ٨٤٧ .

(٢٩٣) هود : ٥٦ .

(٢٩٤) في الأصل : الندبة ، وهو حرقوص بن زهير المعروف بذي الثدية رأس من رؤوس الخوارج قتله الإمام علي في النهروان . انظر : الإصابة ١ / ٤٧٢ .

﴿ هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾[٢٩٥] . ثم قال : منهم أهل النهروان ورب الكعبة .

فصـــــل

فى ذكر مقتله ووصيته

لما قدم من حرب الخوارج استقبله الناس يهنئونه بالظفر . فلما نزل دخل المسجد الأعظم فصلى ركعتين . ثم صعد المنبر فخطب ، فأوجز[٢٩٦] ثم ضرب بيده على لحيته وهى بيضاء فقال : (والله ليخضبها بدمها إذ انبعث أشقاها)[٢٩٧] . ثـم أنشـد :

أريد حياتـه ويريـد قتلـى عذيرى من خليلي من مراد[٢٩٨]

ولما ضرب الضربة التى مات منها رضى الله عنه قال : إن عشت فأنا ولى دمى[٢٩٩] . وإن أفن فالفناء ميعادى . والعفو قربة لى . وحسنة لكم ﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾[٣٠٠] .

ولما اشتد به الأمر جمع ولده . فقال : إنى أوصيكم بتقوى الله . فاتقوا الله و ﴿ لا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾[٣٠١] . ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾[٣٠٢] . ﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾[٣٠٣] كما أمركم الله ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا

---

(٢٩٥) الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٢٩٦) فى الأصل : « فاوجس » .

(٢٩٧) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الشمس : ١٢ ـ ١٥ ﴿ كذبت ثمود بطغواها . إذ انبعث أشقاها . فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها . فكذبوه فعقروها ﴾ .

(٢٩٨) قيل إن الإمام عليا كان يتمثل بهذا البيت كلما رأى ابن ملجم . فقيل له : ولم لا تقتله إذا كنت تعرف أنه قاتلك ؟ فيقول : كيف أقتل قاتلى .

ورواية البيت فى شرح نهج البلاغة ٢ / ٤٣٢ :

أريد حباءه ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد

والبيت لعمرو بن معدى كرب كما فى ديوان عمرو بن معدى كرب : ٦٥ وهو فى خاص الخاص : ٢٥ .

(٢٩٩) الرواية فى الأصل : « إن اتوفى » وهو تحريف والصواب ما أثبتناه . فى نهج البلاغة : إن عشت فأنا ولى دمى وإن مت فضربة بضربة .

(٣٠٠) النور : ٢٢ .

(٣٠١) البقرة : ١٣٢ .

(٣٠٢) آل عمران : ١٠٣ .

(٣٠٣) البقرة : ٨٣ .

على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾[٣٠٤] وعليكم بحفظ وصية جدكم في الصلاة . وما ملكت أيمانكم . والزكاة فإنها تطفىء غضب ربكم . وصيام شهر رمضان فانه جنة[٣٠٥] لكم . ثم الحج فهو الشريعة التي بها أمرتم . وأستودعكم الله . وأستغفر الله لى ولكم .

فصل

فى بعض ما قاله الشعراء فى فضله

قال علي بن محمد بن نصر بن بسام[٣٠٦] :

إن عليا لم يزل محنة[٣٠٧] لرابح منا ومغبون
أحله[٣٠٨] من نفسه المصطفى محلة لم تك في الدون
فارجع إلى الأعراف حتى ترى ما فعل القوم بهارون[٣٠٩]

يريد قوله ﷺ[٣١٠] : أنت منى بمنزلة هارون من موسى[٣١١] .

وقال بعض الشعراء[٣١٢] :

أحلف بالله وآياته شهادة[٣١٣] صادقة خالدة
إن علي بن أبي طالب إمامنا فى سورة المائدة

يريد قول الله تعالى : ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة

(٣٠٤) المائدة : ٢ .
(٣٠٥) الجنة : ما يستتر به .
(٣٠٦) على بن محمد بن نصر بن بسام يكنى أبا الحسن شاعر لسن هجاء ذكر له ياقوت جملة مصنفات ونشر د. مزهر السودانى مجموعا لشعره فى مجلة المورد ١٩٨٦ . والأبيات فى مجموعه الشعرى ق ١٤٢ وهى فى أعيان الشيعة ٤٢ / ٢٤ .
(٣٠٧) المحنة : واحدة المحن التى يمتحن بها الإنسان والمغبون المخدوع يقال : غبنته فى البيع أى خدعته .
(٣٠٨) فى الأصل : « وهارون » .
(٣٠٩) فى أعيان الشيعة : « ما صنع الناس » وفى البيت إشارة إلى فعلة يهود وصنيعهم بهارون حين استخلفه موسى كما ورد فى سورة الأعراف : ١٤٢ فما بعدها .
(٣١٠) فى الأصل : « قوله تعالى » .
(٣١١) الحديث رواه البخارى فى فضائل أصحاب النبى ، والترمذى مناقب ٢٠ ، ومسند الإمام أحمد ١ / ١٧٠ .
(٣١٢) البيتان لابن بسام فى مجموعة الشعرى ص ٢٢٦ .
(٣١٣) فى الأصل : « وسهادة » .

ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ (٣١٤) يقال إنها نزلت في علي لما سمع سائلاً وهو في صلاته فأعطاه خاتمه (٣١٥) .

فصل

فى تسليم الحسن الأمر إلى معاوية

لما رأى رضي الله عنه سكون الدهماء(٣١٦) . حقن الدماء فى ترك منازعة معاوية وتسليم الأمر إليه . قام خطيباً فأوجز وقال(٣١٧) :

أما بعد ، فإن الله هدى أولكم(٣١٨) بأولنا ، وحقن دماءكم بآخرنا(٣١٩) وإن هذا الأمر الذى تنازعت فيه ومعاوية إما حق رجل هو أحق به منى فسلمته ، وأما حقى فتركته لصلاح الأمة : ﴿ **وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين** ﴾(٣٢٠) .

فصل

فى لمع من أقوال الصحابة وأخبارهم

لما قال عمر لسحبان(٣٢١) وهو يدون الدواوين : مع من تريد أن أكتبك ؟ قال : مع(٣٢٢) الذين ﴿ **لا يريدون علواً فى الأرض ولا فسادا** ﴾(٣٢٣) .

---

(٣١٤) المائدة : ٥٥ .

(٣١٥) فى أسباب النزول للواحدى : ١١٣ أنها نزلت فى على بن أبى طالب رضوان الله عليه لأنه أعطى خاتمه سائلا وهو راكع فى الصلاة . وانظر أيضا أسباب النزول / السيوطى : ٩٠ .

(٣١٦) الدهماء ودهماء الناس جماعتهم .

(٣١٧) الخطبة فى تاريخ الطبرى ٦ / ٩٣ .

(٣١٨) فى الأصل : « هذا ولكم » .

(٣١٩) إلى هنا ينتهى نص الطبرى الموافق لرواية الثعالبى . وتتمة الخطبة فى تاريخه : وإن لهذا الأمر مدة ، وإن الدنيا دول ، وإن الله تعالى قال لنبيه ﷺ : ﴿ وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ﴾ .

(٣٢٠) الأنبياء : ١١١ .

(٣٢١) سحبان بن زفر بن أياس الوائلى من باهلة . خطيب يضرب به المثل فى البيان يقال أخطب من سحبان وأفصح من سحبان . أسلم زمن النبى ﷺ ولم يلاقه وأقام فى دمشق أيام معاوية وله شعر وأخبار . انظر الإصابة ٢ / ١٠٨ ، بلوغ الإرب ٣ / ١٥٦ ، البيان والتبيين فى مواضع عديدة . انظر جـ ١ / ١ ، ٢ ، ٦ ، ٤٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٨ . جـ ٢ / ١٤

(٣٢٢) فى الأصل : « من » .

(٣٢٣) القصص : ٨٣ .

وكان أبو عبيدة بن الجراح إذا ذكر الكفرة الذين بإزائه[٣٢٤] قال : ﴿ **صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون** ﴾ [٣٢٥] .

ولما حصر عثمان ومنع[٣٢٦] الماء . قال للزبير[٣٢٧] . ﴿ **وحيل بينهم وبين ما يشتهون** ﴾ [٣٢٨] .

وقال سعد بن أبي وقاص[٣٢٩] لأبي محجن الثقفي[٣٣٠] لما اتهمه بشرب الخمر بعد أن استتابه مرات : ﴿ **إنك لفي ضلالك القديم** ﴾ [٣٣١] ، وأمر بحبسه .

وكان ابن عمر إذا لقي[٣٣٢] مصعب بن الزبير بعد قتله المختار[٣٣٣] ، ومن كان معه من أصحابه أعرض عنه ، وإذا سلم عليه مصعب لم يجبه . فقال له يوماً : أسلم عليك فلا تجيبني [قال][٣٣٤] : لقتلك من قتلت من أهل الصلاة . فقال : إنهم كانوا كفرة فجرة[٣٣٥] . فقال ابن عمر : والله لو كانوا معزى لابنك لكنت في ذبحها من المسرفين ، ﴿ **ولتعلمن نبأه بعد حين** ﴾ [٣٣٦] .

ولما ألح الوليد بن عتبة[٣٣٧] على عبد الله بن الزبير في أمر البيعة ليزيد قال له : أمهلني هذه الليلة لأبايع صبح غد[٣٣٨] . فقال الوليد : مثلي ومثلك كما قال الله تعالى :

---

(٣٢٤) في الأصل « بـارابـه » والصواب بإزائه أي بحذائه .

(٣٢٥) البقرة : ١٨ .

(٣٢٦) في الأصل : « وخضع » .

(٣٢٧) الزبير بن العوام بن خويلد يكنى أبا عبد الله أمه صفية بنت عبد المطلب توفى سنة ٣٦ هـ . الطبقات ١٣ .

(٣٢٨) سبأ : ٥٤ .

(٣٢٩) في الأصل:« سعيد » والصواب:سعد بن أبي وقاص وهو من بني زهرة بن كلاب يكنى أبا إسحاق ولاه عمر وعثمان الكوفة . مات بالمدينة سنة ٥٥ هـ . الطبقات ١٥ .

(٣٣٠) أبو محجن الثقفي اسمه عمرو بن حبيب وقيل اسمه كنيته . أحد الأبطال الشعراء في الجاهلية والإسلام . كان منهمكا بشرب الخمر فحده عمر عدة مرات . ثم لحق بسعد بن أبي وقاص في القادسية . توفي بأذربيجان وقيل في جرجان سنة ٣٠ هـ . انظر : الإصابة ٤ / ١٧٣ .

(٣٣١) يوسف : ٩٥ .

(٣٣٢) في الأصل : « القى » .

(٣٣٣) المختار بن أبي عبيد الثقفي ثار بعد مقتل الحسين وملك الكوفة وقاتله الحجاج وقتل سنة ٦٧ هـ . انظر تاريخ الطبري ٧ / ١٦١ .

(٣٣٤) زيادة ليست في الأصل .

(٣٣٥) في الأصل : « فجرة فجرة » .

(٣٣٦) ص : ٨٨ .

(٣٣٧) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب الأموي أمير من رجالات بني أمية ولي المدينة سنة ٥٧ هـ أيام معاوية وعزله يزيد سنة ٦٠ توفي نحو ٦٤ هـ . انظر نسب قريش:١٣٣ ، ٤٣٣ .

(٣٣٨) في الأصل : « غدا » .

﴿ إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ﴾ (٣٣٩) ، فلما جن(٣٤٠) الليل هرب عبد الله إلى مكة .

وكان(٣٤١) أهل مكة قد بايعوا علياً . ثم أخذ منهم بسر بن أرطأة(٣٤٢) البيعة لمعاوية فأنفذ إليهم على من الكوفة حارثة بن قدامة(٣٤٣) فلما دخل مكة واستقبله الناس ، وبخهم وقال لهم : أخاف أن تكونوا من الذين ﴿ إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذ خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون ﴾ (٣٤٤) .

لما عرض معاوية بابن عباس بطول اللحية . تلا ابن عباس : ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكدا ﴾ (٣٤٥) .

قال رجل لمعاوية : قد بايعتك ، وأنا كاره . فقال : قد جعل الله فى الكره خيراً كثيراً(٣٤٦) .

ولما بلغ معاوية قول أبى الأسود الدؤلى(٣٤٧) :

بنو عم النبى وأقربوه ... أحب الناس كلهم إليّا(٣٤٨)
فإن يك حبهم رشدا (اصبه)(٣٤٩) ... وفيهم أسوة إن كان غيا(٣٥٠)

---

(٣٣٩) هود : ٨١ .

(٣٤٠) فى الأصل : « اجن » .

(٣٤١) فى الأصل : « وقال » .

(٣٤٢) وفى الأصل : « بشسر بن أرطأة » والصواب ما هو مثبت واسمه عمير بن عويمر بن عمران القرشى . روى عن النبى ﷺ وروى عنه جماعة . سكن دمشق وشهد صفين مع معاوية . توفى أيام الوليد بن عبد الملك سنة ٨٦ هـ . انظر تهذيب التهذيب ١ / ٤٣٦ .

(٣٤٣) حارثة بن قدامةالسعدى من أصحاب على بعثه الإمام على فى طلب بسر بن أرطأة حين قتل بسر عبد الله وقثم ابنى عبيد الله بن عباس فخرج حارثة مسرعا . وبعد مقتل على دعا أهل المدينة إلى البيعة للحسن فبايعوا . انظر : الأغانى ١٦ / ٢٧١ .

(٣٤٤) البقرة : ١٤ .

(٣٤٥) الأعراف : ٥٨ .

(٣٤٦) يريد قوله تعالى : ﴿ فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾ النساء : ١٩ .

(٣٤٧) أبو الأسود هو ظالم بن عمرو بن سفيان . قيل إنه أول من وضع علم النحو وأنه أخذه عن الإمام على بن أبى طالب . انظر : طبقات النحويين ١٣ : فما بعدها ، مراتب النحويين ١٠ طبقات ابن خياط : ١٩١ .

(٣٤٨) فى الأصل : « الينا » . والبيتان فى ديوانه : ١٧٧ وذكر فيه أن أبا الأسود كان جارا لبنى قشير وكانوا أصهاره . وكان بعضهم يكلمه كثيرا ويرد عليه فى حبه على بن أبى طالب فقال أبو الأسود . . الأبيات ومطلع القصيدة :

يقول الأرذلون بنو قشير ... طوال الدهر لا تنسى عليا

(٣٤٩) سقطت الكلمة من المخطوط وقد أثبتناها من رواية الديوان ، وواضح أنه سقط من نص المخطوط بقية الخبر .

(٣٥٠) يبدو أن هناك تتمة ساقطة من أصل المخطوط تتعلق بجواب معاوية لأبى الأسود .

ذكر الحسن البصري معاوية فقال : قاتله الله من شيخ أدرد[٣٥١] نعق بأقوام **﴿ فأوردهم النار وبئس الورد المورود ﴾**[٣٥٢] .

وكان ابن عباس إذا قرأ : **﴿ ما يعلمهم إلا قليل ﴾**[٣٥٣] . قال : أنا من القليل .

وكان يقول : لا يحل شرى المغنيات[٣٥٤] ، ولا بيعهن ، ولا التجارة فى أثمانهن ثم يتلو : **﴿ ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين ﴾**[٣٣٥] .

لما قدم عروة بن الزبير[٣٥٦] من الشام[٣٥٧] . وقد أصيب فى سفره برجله وابنه محمد[٣٥٨] ترك فى محله فقال : **﴿ لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ﴾**[٣٥٩] .

أصبح ابن عباس ذات يوم مهموماً فسئل عن ذلك فقال : **﴿ إنى أعلم ما لا تعلمون ﴾**[٣٦٠] . وقد رأيت البارحة كأن أبا قبيس[٣٦١] صار دخانا . ثم طار قطعا وفيه الصفا[٣٦٢] . وهو ركن من أركان الإسلام . فما أولت ذلك إلا بوفاة أمير المؤمنين علي . فما لبث أن ورد نعيه .

---

(٣٥١) فى الأصل : « ادره » .

(٣٥٢) هود : ٩٨ .

(٣٥٣) الكهف : ٢٢ .

(٣٥٤) فى الأصل : « المقنات » .

(٣٥٥) لقمان : ٦ .

(٣٥٦) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق ، ويكنى أبا عبد الله توفى سنة ثلاث وتسعين . الطبقات لابن خياط ٢٤١ ، نسب قريش:٢٤٣ .

(٣٥٧) فى التعازى للمدائنى:٤٤ أن عروة بن الزبير قدم على الوليد بن عبد الملك ومعه ابنه محمد بن عروة فدخل محمد دار الدواب فضربته دابة فخر وحمل ميتا ووقع فى رجل عروة الأكلة ولم يدع ورده تلك الليلة فقال له الوليد : اقطعها وإلا أفسدت عليك سائر جسدك فقطعت بالمنشار وهو شيخ كبير ولم يمسكه أحد فقال : **﴿ لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ﴾** .

(٣٥٨) فى الأصل : « محمدا » .

(٣٥٩) الكهف : ٦٢ .

(٣٦٠) البقرة : ٣٠ .

(٣٦١) أبو قبيس : جبل مشرف على الحرم المكى . انظر معجم البلدان ٤ / ٣٤ .

(٣٦٢) الصفا:جبل بين بطحاء مكة والمسجد وهو يكون المكان المرتفع من جبل أبى قبيس بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادى . انظر : معجم البلدان ٣ / ٣٩٧ .

الباب الخامس

فى

ذكر الأنبياء عليهم السلام وغيرهم ممن نطق القرآن بأخبارهم ، وما اقتبس الناس من فى فنون أغراضهم من قصصهم وتمثلوا به من أحوالهم

الباب الخامس

فى ذكر الأنبياء عليهم السلام وغيرهم ممن نطق القرآن بأخبارهم ، وما اقتبس الناس من فنون أغراضهم من قصصهم وتمثلوا به من أحوالهم.

فصـــــل

فى الاقتباس من قصة آدم عليه السلام

كان لآل عياش (بن)[1] أبى ربيعة عبد صالح يسمى زيادا[2] . فطلبه عمر بن عبد العزيز فأعتقه[3] . فقال : يارب قد رزقتنى العتق الأصغر فى هذه الدنيا فلا تحرمني العتق الأكبر فى الدار الآخرة .

ثم قدم على عمر لما ولى الخلافة فقال له عمر : يا زياد ، ﴿ **إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم** ﴾[4] . فقال : يا أمير المؤمنين إنى لا أخاف عليك أن تخاف ، ولكني أخاف عليك أن لا تخاف ، ولقد علمت أن آدم أذنب ذنباً واحدا فأخرج من الجنة وشقق الكتب[5] ، وصيح به فى الأمم : وعصى آدم ربه فغوى[6] . فالنجا ، النجا[7] .

---

(١) فى الأصل : « عياش أبى ربيعة » والصواب ما أثبتناه وهو أخو أبى جهل بن هشام لأمه . قيل إن إسلامه كان قديما وهاجر إلى الحبشة مع المستضعفين . قتل فى اليرموك . انظر الاستيعاب ٣ / ١٢٣٢ ، وانظر أيضا جمهرة نسب العرب : ٢٣٠ .

(٢) فى الأصل : « زياد » .

(٣) فى الأصل : « فاعتقده » .

(٤) الأنعام : ١٥ .

(٥) كذا فى الأصل .

(٦) من قوله تعالى : ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾ طه : ١٢١ .

(٧) فى الأصل : « النخا النخا » .

وهذا المعنى أراد محمود بن الحسين الوراق[8] قال :

يا ساهراً يرنو بعيني راقد [9] ومشاهداً للأمر غير مشاهد

تصل الذنوب إلى الذنوب[10] وترتجي درك الجنان بها وخوف[11] العابد

أنسيت أن الله أخرج آدما منها إلى الدنيا بذنب واحد

قال أبو أمامة [12] : لا شك في أن آدم كان أعقل من جميع أولاده . والله تعالى يقول : ﴿ **ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما** ﴾[13] .

وقال أبو تمام :

لا تنسين تلك العهود فإنما سميت إنساناً لأنك ناسي[14]

وأنشدني أبو الفتح علي بن محمد البستي[15] :

يا أكثر الناس إحساناً إلى الناس وأعظم الناس إغضاء عن الناس[16]

نسيت وعدك والنسيان مغتفر [17] فاغفر فأول ناس أول الناس

قال المأمون ليلة ليحيى بن أكثم [18] ، وهو يريد الانصراف : بكر غدا [19]

---

(8) محمود بن الحسن الوراق شاعر أكثر شعره في الحكم توفي نحو سنة ٢٣٠ هـ . انظر طبقات الشعراء ٣٦٧ ، تاريخ بغداد ١٣ / ٨٧ ، البيتان في مجموع شعره : ٦١ ورواية البيت الأول في القسم الثاني من الاقتباس : « ومشاهد » .

(9) في الأصل : « يربو ـــ راقدي » وفي العقد الفريد « يا غافلا ترنو . . . » .

(10) في الأصل « تصل الذنوب وترتجي » وروايته في العقد الفريد ٣ / ١٧٩ وأحسن ما سمعت : ٢٥ :

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي درك الجنان بها وفوز العابد

(11) في الأصل : « وقوف » .

(12) أبو أمامة صدى بن عجلان بن وهب من أهل الشام مات سنة ٨٦ هـ . انظر طبقات ابن خياط : ٤٦ .

(13) طه : ١١٥ .

(14) البيت في ديوانه ٢ / ٥٧٠ من قصيدة يمدح بها أبو تمام أحمد بن المعتصم ومطلعها :

ما في وقوفك ساعة من باس تقضي ذمام الأربع الأدراس

(15) البيتان في ديوانه ص ٤٣ .

(16) روايته في الأصل : « يا أكثر إحسانا إلى الناس » .

(17) في الأصل : « مفتقر » .

(18) يحيى بن أكثم كان قاضيا ومن كبار الفقهاء . روى عن سفيان بن عيينة ، وحدث عنه الترمذي . انظر ميزان الاعتدال ١ / ١٧٤ ، طبقات الحنابلة ١ / ٤١٠ .

(19) في الأصل : « عدا » .

للمساعدة على الهريسة . فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا والصبح كفرسي رهان . فلما أصبح ركب إلى دار المأمون مغلسا[٢٠] . فحين أخذ مجلسه بحضرته جاء الطباخ ووقف . فقال المأمون : يايحيى أتعلم ما يعني ؟ قال : لا ياأمير المؤمنين . قال : يعني أنه[٢١] نسي من اتخاذ الهريسة بما أمرناه . فقال يحيى : لا جرم إنه يعامل بما عومل به آدم حين أخرج من الجنة[٢٢] ، وعوقب .

قال بعض السلف : الحسد أول ذنب عصى الله به فى السماء والأرض ، أما فى السماء فحسد إبليس لآدم حين امتنع عن السجود[٢٣] له ، وأما فى الأرض فحسد ابن آدم أخاه لما قبل منه القربان[٢٤] حتى قتله[٢٥] .

جلس قاض فى مسجد من مساجد مصر فيه ثور بن يزيد[٢٦] . فلما أخذ القاضى فى (قراءة)[٢٧] القرآن انتهى إلى آية سجدة ، فسجد وسجد القوم فلما رفع رأسه إذا ثور لم يسجد ، فقرأ القاضى : ﴿ **فسجد الملائكة كلهم أجمعون . إلا إبليس أبى[٢٨] أن يكون مع الساجدين** ﴾[٢٩] . فهرب ثور ولم يعد إلى ذلك المسجد .

وقيل : إن أول من ذكر معنى قولهم : « النار ولا العار » إبليس . فقد حكى الله تعالى عنه ﴿ **أأسجد لمن خلقت طيناً** ﴾[٣٠] .

وأخذ فى طريقه[٣١] رافع بن الليث بن نصر بن سيار[٣٢] حيث قال :

---

(٢٠) فى الأصل : « مغلسا » والمغلس من الغلس وهو ظلمة آخر الليل . لسان العرب « غلس » .

(٢١) فى الأصل : « لانه » .

(٢٢) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو** ﴾ البقرة : ٣٦ .

(٢٣) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال** ﴾ الحجر : ٣٣ وقوله تعالى : ﴿ **إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا** ﴾ الإسراء : ٦١ .

(٢٤) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين** ﴾ المائدة : ٢٧ .

(٢٥) سيرد الخبر مرة أخرى فى فصل الحسد .

(٢٦) ثور بن يزيد الكلاعى يكنى أبا خالد أحد الحفاظ . كان صحيح الحديث . توفى سنة ١٥٣ هـ ميزان الاعتدال ١ / ١٧٤ .

(٢٧) فى الأصل : « القاضى » وما بين القوسين زيادة ليست فى الأصل .

(٢٨) فى الأصل : « أبا » .

(٢٩) الحجر : ٣٠ ، ٣١ .

(٣٠) الإسراء : ٦١ .

(٣١) فى الأصل : « بعضهم فى طريقة » .

(٣٢) فى الأصل : « ابن سيال » والصواب ما أثبتناه وهو رافع بن الليث بن نصر بن سيار ثار زمن الرشيد ودعا إلى =

النار[٣٣] لا العار فكن سيدا فرّ من العار إلى النار
وتلك أخلاق كنانية[٣٤] خص بها نصر بن سيار
فهن[٣٥] فى ليث وفى رافع[٣٦] تراث جبار لجبار

وقال بعض العلماء : إياكم والقياس فإن أول من قاس إبليس حيث قال : ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾[٣٧] .

وسئل بعض السلف عن شر[٣٨] المكاسب قال : كسب الدلالين لأنهم أكذب الناس ، ولا تتمشى[٣٩] أمورهم إلاّ بالكذب . فأول من دل إبليس حيث قال لآدم : ﴿ هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾[٤٠] .

لما أنشد مسمع بن عاصم[٤١] قول أبى[٤٢] نواس :

عجبت من إبليس فى كبره وخبث ما أظهر من نيته[٤٣]
تاه[٤٤] على آدم فى سجدة وصار قوادا[٤٥] لذريته

قال : وأبيك لقد ذهب[٤٦] مذهبا .

= نفسه وانتدب لقتاله هرثمة نائب العراق فقيل إنه قتل سنة ١٩٤ ، ١٩٥ هـ . انظر تاريخ الطبرى ٦ / ٥٠٨ مطبعة الاستقامة . الأبيات فى حماسة الظرفاء ١ / ٢٠ مع بيتين .

(٣٣) فى الأصل : « لا النار لا العار فكن سيدا » .

(٣٤) فى الأصل : « نكاية فشت بينهم » والتصويب فى حماسة الظرفاء .

(٣٥) فى الأصل : « فهو » .

(٣٦) فى الأصل : « نافع » والصواب : رافع ، وهو المشار إليه أعلاه .

(٣٧) الأعراف : ١٢ .

(٣٨) فى الأصل : « شراء » .

(٣٩) فى الأصل : « يتمشى » .

(٤٠) طه : ١٢٠ .

(٤١) مسمع بن عاصم ذكره الذهبى فى ميزان الاعتدال ٣ / ١٧٠ ط . السعادة له رواية فى الحديث وقيل إنه لا يتابع على حديثه .

(٤٢) فى الأصل : « ابا » .

(٤٣) البيتان فى ديوان أبى نواس ط . الغزالى : ٣١٥ وأحسن ما سمعت : ٢٦ ورواية البيت الأول فى الديوان عجبت من إبليس فى تيهه وروايته فى أحسن ما سمعت :

عجبت من إبليس فى لعنته وخبث ما أظهر من نيته

(٤٤) فى الأصل : « تاه عن » .

(٤٥) فى الأصل : « قودا » والتصويب من الديوان

(٤٦) فى الأصل : « اذهب » .

لما مات جعفر بن محمد[٤٧] . قال أبو حنيفة لشيطان[٤٨] الطاق : مات إمامك[٤٩] فقال : لكن إمامك من (المنظرين)[٥٠] إلى يوم الوقت المعلوم[٥١] .

بلغ أبا عبد الله بن الجماز (أن) الفضل بن إسحاق[٥٢] نعاه فقال :

زعم الفضل بأني[٥٣]	قد نعاني الناعيان[٥٤]
نعياني[٥٥] قبل وقتي	بدهور وزمان[٥٦]
أنا والشيخ[٥٧]	(و) إبليس جميعا منظران

حكى المعروف بجراب الدولة[٥٨] في كتابه المنسوب إليه قال : كان لي غلام اطلعت منه على خيانة في سعيه[٥٩] خبر الوظيفة ، فقرعته وبخته[٦٠] . فقال لي : ألا تستح أن تتكلم في الخبر . فقلت : إن الله أخرج آدم وحواء من الجنة بسبب الخبر ، أفلا أخاصمك فيه . فخرس ، وترك عادته .

---

(٤٧) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الهاشمي العلوي المعروف بالصادق أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن ابن أبي بكر روى عن أبيه ومحمد بن المنكدر ، وعطاء وعروة . وروى عنه خلق كثير . تهذيب التهذيب ٣ / ١٠٣ .

(٤٨) شيطان الطاق هو محمد بن علي بن النعمان البجلي بالولاء تنسب إلى سوق في طاق المحامل بالكوفة كان يجلس للصرف به .

(٤٩) في العقد الفريد إن هذه الحادثة عند المهدي وإنه لما سمع كلام شيطان الطاق ضحك من قوله وأمر له بعشرة آلاف جـ ٤ / ٤٢ . والخبر في المزاح الثقيل ولعله موضوع .

(٥٠) في الأصل : « المنظر » .

(٥١) من قوله تعالى في سورة الحجر : ٣٤ ــ ٣٧ في إبليس حين أبى أن يسجد وطرده الله تعالى من الجنة ﴿ قال فاخرج منها فإنك رجيم . وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين . قال فأنظرني إلى يوم يبعثون . قال فإنك من المنظرين ﴾ .

(٥٢) الفضل بن إسحاق أبو العباس المعروف بالبزاز روى عنه أبو أحمد بن عبدوس السراج وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهما . ووصف بأنه ثقة مأمون . انظر تاريخ بغداد ١٢ / ٣٦١ .

(٥٣) في الأصل : « ثاني » . (٥٤) في الأصل : « الناعياني » .

(٥٥) في الأصل : « يعياني » . (٥٦) في الأصل : « بدهوز زماني » .

(٥٧) في الأصل : « أنا والشيخ إبليس » وما بين القوسين زيادة ليست في الأصل .

(٥٨) جراب الدولة واسمه أحمد بن محمد بن علوجة السجزي يكنى أبا العباس . كان طنبوريا وأحد الظرفاء المعروفين . وله كتاب في النوادر والمضاحك في سائر الفنون والنوادر . ذكره ابن النديم : ٢٢٥ في الفهرست . وفي الأصل : « المروف بجراب » .

(٥٩) في الأصل : « سعة » . (٦٠) في الأصل : « وويحته » .

سمعت بعض المشايخ (يقول)[61] لما صرف أبو على الحسن بن محمد البغدادى عن عمل البريد بايلاق[62] (وأتى)[63] بأبى محمد بن مطران الشاشي[64] الشاعر التقيا فى طريقهما ، وجمعتهما[65] بعض المنازل . وهذا وارد[66] وهذا صادر . فتحادثا ، وتذاكرا ، وتمازحا وتمالحا . فقال أبو على لأبى محمد : جعل الله مقامك بايلاق مدة حمل عرش[67] بلقيس . وقال أبو محمد : وجعل مقامك (في) الحضرة نظرة إبليس . عنى أبو على قول الله تعالى حكاية عن آصف [68] ﴿ أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾ [69] وعنى أبو محمد [70] قوله تعالى لإبليس : ﴿ إنك من المنظرين . إلى يوم [71] الوقت المعلوم ﴾ [72] .

فصـــــل

فى ذكر قصة نوح عليه السلام

قول النبى ﷺ : « عترتى [73] كسفينة نوح من ركب فيها نجا . ومن تأخر عنها [74] هلك » .

ويروى أن نوحاً عليه السلام كان يحمد الله إذا أكل ، وإذا شرب ، وإذا لبس ، وإذا نام . فأثنى عليه عند ذكره فقال : ﴿ إنه كان عبداً شكوراً ﴾ [75] .

---

(٦١) فى الأصل : « بقوله » .

(٦٢) يلاق مدينة من بلاد الشاش المتصلة ببلاد الترك على عشرة فراسخ من مدينة الشاش . ياقوت ، معجم البلدان ١ / ٤٢١ .

(٦٣) فى الأصل : « وولى » وإن كانت كذلك وجب أن يكون ما بعدها أبو محمد .

(٦٤) فى الأصل : « باب محمد المطرابى الشاش » والصواب ابن مطران شاعر مشهور من بلاد ما وراء النهر . كان الصاحب معجبا بشعره . انظر : يتيمة الدهر ٤ / ١١٤ فما بعدها .

(٦٥) فى الأصل : « وجمعهما » .

(٦٦) فى الأصل : « اورد » .

(٦٧) فى الأصل : « العرش » .

(٦٨) آصف : قيل إنه كاتب سليمان صلوات الله عليه دعا بالاسم الأعظم فرأى سليمان العرش مستقرا عنده . عن القاموس المحيط (أصف) .

(٦٩) النمل : ٤٠ .

(٧٠) فى الأصل : « أبى » .

(٧١) فى الأصل : « يوما » .

(٧٢) الحجر : ٣٧ ، ٣٨ .

(٧٣) فى ثمار القلوب ص ٢٩ : إن عترتى ، والحديث أخرجه الحاكم النيسابورى فى المستدرك جـ ٣ / ١٥١ بلفظ (ألا إن مثل أهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك) ، ورواه الخطيب البغدادى جـ ١٢ / ٩١ وأخرجه بمصادره الأمينى فى الغدير جـ ٢ / ٣٠١ .

(٧٤) فى الأصل : « منها » .

(٧٥) الإسراء : ٣ .

قال الصولي فى كتاب الوزراء[٧٦] :

كان أول ما ارتفع به أمر[٧٧] أحمد بن يوسف أن المخلوع لما قتل ، أمر طاهر بن الحسين الكتاب أن يكتبوا بذلك إلى المأمون . فأطالوا فقال طاهر : أريد أحسن من هذا كله . وأوجزه[٧٨] . فوصف له أحمد بن يوسف فأمر بإحضاره . فحضر . وكتب[٧٩] :

أما بعد ، فإن المخلوع وإن كان قسيم أمير[٨٠] المؤمنين فى النسب واللحمة[٨١] . فقد فرق كتاب الله بينهما[٨٢] فى الولاية والحرمة ، فيما اقتص علينا من نبأ نوح[٨٣] عليه السلام وابنه حيث قال : **﴿ يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ﴾**[٨٤] ولا صلة لأحد فى معصية[٨٥] الله ، ولا قطيعة ماكانت فى ذات الله .

وكتب إلى أمير المؤمنين : وقد قتل الله المخلوع ورداه رداء نكثه ووصلت[٨٦] لأمير[٨٧] المؤمنين الدنيا والآخرة ، أما الدنيا ففى[٨٨] رأس المخلوع . وأما الآخرة : فالبردة[٨٩] والقضيب والحمد لله الآخذ له ممن خان عهده ، ونكث عقده . حتى رد لأمير المؤمنين الألفة وأقام به الشريعة .

---

(٧٦) الخبر فى الوزراء والكتاب : الجهشيارى : ٣٠٤ ، ونقله الثعالبى أيضا فى أحسن ما سمعت : ٢٦ .

(٧٧) فى الأصل : « آجر » . (٧٨) فى الأصل : « وأوجزوا » .

(٧٩) ف الوزراء والكتاب عن على بن أبى سعيد أنه رأى رأس محمد وقد أدخله ذو الرياستين على ترس بيده إلى المأمون فلما رآه سجد ثم أمره المأمون أن ينشيء كتابا عن طاهر بخبره ليقرأه على الناس فكتب عدة كتب لم يرضها ، واستطالها فكتب أحمد بن يوسف فى ذلك كتابا .

(٨٠) فى الأصل : « قسم » . (٨١) اللحمة : القرابة .

(٨٢) ف الوزراء والكتاب : فقد فرق حكم الكتاب والسنة بينه وبينه .

(٨٣) ف الوزراء ، فيما اقتص عليه من نبأ نوح .

(٨٤) زيادة ليست فى الأصل والقول إشارة إلى قوله تعالى فى سورة هود : ٤٦ .

(٨٥) ف الوزارة والكتاب : ولا قطيعة ما كانت القطيعة فى ذات الله .

(٨٦) من هنا تختلف رواية الثعالبى عن رواية الوزراء والكتاب إذ ورد فيه : واحصد لأمير المؤمنين أمره ، وأنجز له ما كان ينتظره من وعده ، فالحمد لله الراجع إلى أمير المؤمنين معلوم حقه ، الكائد له من ختر عهده ، ونقض عقده . حتى ردّ الله به الالفة بعد فرقتها ، وأحيا به الأعلام بعد دروسها ، وجمع به الأمة بعد فرقتها والسلام . وانظر الطبرى ١٠ / ٢١٤ ، معجم الأدباء ٥ / ١٦٧ ، زهر الآداب ٢ / ٣٨ .

(٨٧) فى الأصل : « الى » . (٨٨) فى الأصل : « فى » .

(٨٩) البردة والقضيب من شارات الخلافة . والبردة هى بردة النبى ﷺ التى كان الخلفاء يلبسونها بالأعياد وعند توليهم الخلافة . والقضيب عود كان للنبى يأخذه بيده ، وهو من تركاته وهو ثالث علامات الخلافة . فإذا=

فرضي طاهر بذلك وأنفذه ، ووصل أحمد بن يوسف ، وعلا قدره ، حتى استوزره المأمون[٩٠] .

وقرأت فى كتاب التاجى لأبى إسحاق الصابى[٩١] فصلا فى هذاالمعنى استحسنته جداً[٩٢] وهو (فى ذكر من أفسد وجار)[٩٣] : قد نطق الكتاب ببراءة نوح [من][٩٤] ولده ، وإبراهيم عليه السلام (من)[٩٥] والده . ورأينا صاحب الشريعة صلوات الله عليه وصل أرحام أهله ، وقطعها بالحق . وسن[٩٦] ذلك لمن بعده من هذا الخلق . ولم يكن بجيار بقربة مولانا الملك رحما ، ولا ألصق به نسبا ، ولا أيسر عنده ذنبا ، ولا أخف جريرة ، وجرما من نوح إلى ابنه[٩٧] ، ومن إبراهيم إلى أبيه ، ومن أبى لهب وهو العم غير مرفوع ، وصنو الأب غير ممنوع . فما حميتهم عروق الوشيجة[٩٨] بينهم وبين الأنبياء المقربين من الأفعال الذميمة . ثم لم يرض الله تعالى ذكره بأن يجعل هذه القطيعة واجبة مع الخلاف فى الدين حتى أوجبها مع العداوة بين الأقارب من المؤمنين فأعلمهم نصا أن من أزواجهم وأولادهم عدواً لهم[٩٩] فأمرهم وحذرهم من شره ، وشحنائه .

ونسب[١٠٠] لأبى الحسين المرادى[١٠١] فى الأمير نوح الأكبر[١٠٢] رحمه الله لما رجع من

=تولى الخليفة جاءوه بالبردة والخاتم والقضيب . انظر : شرح الأستاذ ميخائيل عواد فى تحقيقه لرسوم دار الخلافة : ٨١ .

(٩٠) فى الوزراء والكتاب ٣٠٤ فلما عرض النسخة على ذى الرياستين رجع نظره فيها . قال لأحمد بن يوسف : ما أنصفناك وأمر له بصلات وكسى وكراع وغير ذلك . وقال له : إذا كان غدا فاقعد فى الديوان وليقعد جميع الكتاب بين يديك . واكتب إلى الآفاق .

(٩١) فى الأصل : « الصانى » .

(٩٢) فى الأصل : « جيدا » .

(٩٣) فى الأصل : « فى ذكر من افسر وبجار » .

(٩٤) ما بين القوسين ليس فى الأصل والقول إشارة إلى قوله تعالى فى سورة هود : ٤٦ .

(٩٥) ما بين القوسين زيادة ليست فى الأصل والقول إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الممتحنة : ٤ .

(٩٦) فى الأصل : « وشنّ » .

(٩٧) فى الأصل : « ابيه » .

(٩٨) فى الأصل : « الرشيحة » والوشيجة هى الرحم والقرابة .

(٩٩) نص الآية الكريمة : ﴿ إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ﴾ التغابن : ١٤ .

(١٠٠) فى الأصل : « انسيت » .

(١٠١) فى الأصل : « الحسن » والصواب أبو الحسين وهو محمد بن محمد المرادى شاعر من شعراء بخارى . ترجم له الثعالبى فى يتيمة الدهر ٤ / ٧٤ : ٧٦ .

(١٠٢) نوح الأكبر هو نوح بن نصر بن أحمد السامانى أبو محمد أمير . كان صاحب ما وراء النهر ، وليها بعد وفاة أبيه سنة ٣٣١ هـ . وأقام ببخارى توفى نحو ٣٤٣ هـ . انظر : اللباب ١ / ٥٢٣ ، وانظر أيضا : طبقات سلاطين الإسلام : ١٢٨ .

بخارى بعد إنجازه منها إلى سمرقند :

إن كنت نوحا فقد لاقيت كفارا ... فلا تذر منهم في الأرض ديارا[١٠٣]
فإن تذرهم يضلوا ثم لا يلدوا ... إلا ـ بربك ـ كفارا وفجارا[١٠٤]
غرّقهم[١٠٥] تحت طوفان السيوف وذر ... من في السفينة محمودين[١٠٦] عمارا
إن السفينة سلطان الأمير ومن ... فيها بنو الدين أعوانا وأنصارا
نوح بن نصر بن خير العالمين كما ... أن المرادى خير الناس أشعارا

وقال أبو بكر هبة الله بن الحسن العلاف[١٠٧] لفنا خسرو[١٠٨] :

يا عَلَمَ العالم في الجود ... مثلك جود[١٠٩] غير موجود
بل استوى الجود على جرمه[١١٠] ... كما استوى الفلك على الجود

وأنشدني أبو الفتح البستي لنفسه[١١١] :

لأن كدَّر الدهرُ الخئون مشاربي ... ومات أميرى[١١٢] ناصر الدين والملك
فلي من يقيني بالإله وفضله ... أمير يقيني السوء في النفس والملك[١١٣]

---

(١٠٣) البيت إشارة إلى قوله تعالى في سورة نوح : ٢٦ ﴿ وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ﴾ . وديار : أي أحد . انظر : الصحاح (دور) ، لسان العرب (دور) وأصل رواية البيت إذ كنت .

(١٠٤) البيت إشارة إلى تتمة الآية السابقة ﴿ إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا ﴾ .

(١٠٥) في الأصل : « عرفهم » .

(١٠٦) في الأصل « ممدودين » .

(١٠٧) كذا في الأصل ، والصواب أبو بكر هبة الله الحسن بن علي بن أحمد النهرواني شاعر عاش ببغداد ونادم بعض الخلفاء ، وكف بصره . توفي نحو ٣١٨ وقيل ٣١٩ هـ . انظر : وفيات الأعيان ١ / ٣٨٠ ، ٣٨٣ ، تاريخ بغداد ٧ / ٣٧٩ . جمع شعره صبيح رديف ببغداد ١٩٧٤ وأخلّ المجموع بالبيتين .

(١٠٨) « فنا خسرو » في الأصل منا خسرو وهو الملقب بعماد الدولة . أحد المتغلبين على الملك في الدولة العباسية . تولى ملك فارس ثم ملك الأهواز ، وبلاد الجزيرة ، توفي نحو ٣٣٨ وقيل بشيراز . انظر : وفيات الأعيان ٣ / ٧٨ . وفي الأصل : « فناخسرة » .

(١٠٩) في الأصل : « جودا » .

(١١٠) في الأصل: « خدمه » والصواب : جرمه .

(١١١) الأبيات في ديوان البستي ٥٧ .

(١١٢) في الأصل : « أمير ناصر الدين ذا الملك » .

(١١٣) في الأصل :

فلي من نفسي بالإله وفضله ... أمين نفسي في النفس والملك

فإن ماج طوفان الخلاف فإنني[114] هنالك نوح واعتزالي للفلك[115]
فقولوا[116] لإخواني طمئنوا وأبشروا جميعًا فإني والسلامة في السلك[117]

فصـــــــل

في الاقتباس من قصة إبراهيم عليه السلام

دخل أبو العيناء[118] على صاعد بن مخلد[119] بعد انقطاع كان منه . فقال له : يا أبا العيناء : ما الذى أخرك عنا ؟ فقال : أيّد الله الوزير[120] ، ابنتي . قال : كيف ؟ قال : قالت لي : قد كنت تغدو[121] من عندنا فتأتي بالخلعة السخية[122] ، والصلة السنية ، ثم أنت[123] الآن تغدو مسدفا[124] وترجع مغتما ، صفر اليدين ، بخفي حنين[125]

---

(114) فى الأصل : « فانني » .

(115) فى الأصل : « فالفلك » وهو تحريف . وروايته فى الديوان :

وإن جاش طوفا الهلاك فإنني

وقبله فى الديوان :

ومن عددى كف الأذى وقناعتي وصبرى فى هذا الزمان من الملك

(116) فى الأصل : « فقلوا » .

(117) روايته فى الديوان :

(فقولوا لإخوانى استقيموا وأبشروا) .

(118) هو عبد الله محمد بن القاسم بن خلاد الأهوازى من تلامذة أبي عبيدة والأصمعى وأبى زيد الأنصارى كان من الظرفاء الأذكياء ، وكان أديبا شاعرا توفى نحو ٢٨٣ هـ . انظر : وفيات الأعيان ١ / ٥٠٤ ، نكت الهميان : ٢٦٥ ، ميزان الاعتدال ٣ / ١٢٣ ، تاريخ بغداد ٣ / ١٠٧ انظر أخباره فى كتابنا « أبو العيناء الأديب البصرى الظريف » .

(119) صاعد بن مخلد : وزير من أهل بغداد كان نصرانيا وأسلم وكان كثير التعبد والصدقة استكتبه الموفق ولقب بذى الوزارتين . توفى نحو ٢٧٦ هـ . انظر : ابن الجوزى ، المنتظم ٥ / ١٠١ .

(120) فى الأصل : « الوزيرى » .

(121) فى الأصل : « تعدوا » .

(122) فى الأصل : « السرية » .

(123) فى الأصل : « ايت » .

(124) مسدفا من السدف وهو من الأضداد بمعنى الضوء والظلمة : أى تذهب مستبشرا متأملا الحصول على الجائزة .

(125) خفا حنين . مثل يضرب للخيبة وأصله إن حنينا كان إسكافيا فساومه أعرابى بخفين فاختلفا ، فأراد غيظه فألقى أحد الخفين فى طريقه ثم استقام على الطريق فألقى له الآخر ، وكمن له . فلما رأى الأعرابى الخف الأول قال : ما أشبه هذا بخف حنين ولو كان معه الآخر لأخذته . ومضى حتى انتهى إلى الآخر فأناخ راحلته ورجع ليأخذ الثانى فركب حنين راحلته ومضى بها ورجع هو إلى أهله خائبا . المستقصى ١ / ١٠٦ ، ثمار =

فإلى[126] من ؟ قلت : إلى (ذي الوزارتين)[127] إلى ذى العلا[128] . قالت : أفيشغلك[129] ؟ فقلت : لا . قالت : أفيعطيك ؟ قلت : لا . قالت : أفيرفع مجلسك ؟ قلت : لا . قالت : يا أبتى ﴿ لِمَ تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولايغنى عنك شيئا ﴾ [130] . فضحك صاعد وأمر له بثلاث آلاف [131] درهم . قال : ألفان لك . وألف لابنتك لئلا تضربنا بقوارع [132] القرآن

قال ابن المبرد[133] : سمعت[134] ابن الأعرابي[135] يقول : إذا سمعت الرجل يقول : رأيت فلاناً يذكر فلانا فاعلم أنه قد عابه . فقلت : أوجد من ذلك[136] فى القرآن ؟ فقال : نعم [137] . قول الله عز ذكره فى قصة إبراهيم ﴿ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴾ [138] أي يعيبهم . وفي الشعر قول عنترة :

لا تذكرى فرسي وما أطعمته ... فيكون جلدك مثل جلد الأجرب[139]

استقرض رجل[140] الأصمعى قرضا . فقال : نعم وكرامة . ولكن سكن قلبى برهان يساوى ضعف ماتستلمه[141] . فقال سبحان الله ، إبراهيم عليه (السلام)[142]

---

* القلوب : ٣٨٥ . وفى الأصل : « بخفى حسن » .

(١٢٦) فى الأصل : « قالى » .

(١٢٧) ما بين القوسين زيادة ليست فى الأصل . وفى الأصل : « الوزارتين » .

(١٢٨) فى الأصل : « الغلاف » .

(١٢٩) فى الأصل : « فيشفعك » .

(١٣٠) مريم : ٤٢ .

(١٣١) فى الأصل : « بثلاثة ألف » .

(١٣٢) فى الأصل : « بحيلا يضربنا » .

(١٣٣) فى الأصل : « ابن المبرد » والصواب : المبرد وهو محمد بن يزيد إمام العربية فى زمانه وصاحب كتاب الكامل ت ٢٨٦ هـ ، انظر بغية الوعاة ١١٦ .

(١٣٤) فى الأصل : « سمعنى ابن الأعرابى » .

(١٣٥) ابن الأعرابى : هو أبو عبد الله محمد بن زياد أحد الرواة اللغويين المشهورين أخذ عن المفضل والكسائى ولد نحو ١٥٠ هـ وتوفى سنة ٢٣١ . نزهة الألباء : ١٠٣ .

(١٣٦) فى الأصل : « أوجدنى » .

(١٣٧) فى الأصل : « بعم » .

(١٣٨) الأنبياء : ٦٠ .

(١٣٩) البيت فى ديوانه : ٣٣ من قصيدة يخاطب بها امرأته التى كانت تلومه على حبه فرسه ، ولأنه يؤثره باللبن الخالص .

(١٤٠) فى الأصل : « استقرض الرجل » والرواية فى ثمار القلوب : ١٩ مع تغيير بسيط .

(١٤١) فى الأصل : « برهان . . يسلمه » .

(١٤٢) ما بين القوسين زيادة ليست فى الأصل وقد سقطت تتمة الخبر وهى كما فى ثمار القلوب فقال له : يا أبا سعيد ألست واثقا بى : فقال بلى ولكن هذا خليل الله كان واثقا بربه حين قال : ﴿ ربى أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى ﴾ .

كان واثقاً بربه حين قال : ﴿ **رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى** ﴾ (١٤٣) .

قال زياد فى خطبته بالبصرة(١٤٤) :

والله (١٤٥) ، لآخذن الجار بالجار ، والمقبل بالمدبر ، والقريب بالغريب . فقام (١٤٦) إليه رجل(١٤٧) فقال : أيها الأمير ، إن إبراهيم عليه السلام أدى عن الله تعالى أحسن مما قلت . قال الله تعالى : ﴿ **وإبراهيم الذى وفى . ألا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ (١٤٨) ، وأنت(١٤٩) تزعم أنك تأخذ بعضنا ببعض(١٥٠) . وايم الله ما ذلك لك . فقال زياد : صدقت ولكني لا أصل إلى الحق حتى أخوض الباطل خوضا(١٥١) .

مجاهد(١٥٢) فى قوله عز ذكره : ﴿ **ضيف إبراهيم المكرمين** ﴾(١٥٣) . قال : قيامه عليهم بنفسه(١٥٤) .

دخل الحسين الجمل المصرى(١٥٥) على قادم من مكة ، وعنده أقوام يهنئونه ، وبين

---

(١٤٣) البقرة : ٢٦٠ .

(١٤٤) من خطبته المعروفة بالبتراء والتى لم يحمد الله فيها ولم يصل على النبى وأولها : أما بعد فإن الجهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والغى الموف بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم . البيان والتبيين ٢ / ٦٢ .

(١٤٥) فى البيان والتبيين ٢ / ٦٣ : وإنى أقسم بالله لآخذن الولى بالولى والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر ، والمطيع بالعاصى ، والصحيح منكم فى نفسه بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول : انج سعد فقد هلك سعيد أو تستقيم لى قناتكم .

(١٤٦) فى الأصل : « بالمولى ... قام » .

(١٤٧) فى البيان والتبيين ٢ / ٦٥ : أن الذى قام هو أبو بلال مرداس بن أدية وهو يهمس ويقول : أنبأنا الله بغير ما قلت فقال .

(١٤٨) النجم : ٣٧ ، ٣٨ وبعدهما فى رواية الجاحظ آية أخرى وهى : ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى** ﴾ .

(١٤٩) فى الأصل : « وآيت » .

(١٥٠) فى البيان والتبيين : وأنت تزعم أنك تأخذ البرىء بالسقيم والمطيع بالعاصى والمقبل بالمدبر . فسمعه زياد ، فقال : إنا لا نبلغ ما نريد فيك وفى أصحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوضا .

(١٥١) ورد فى لسان العرب مادة « خوض » خاض الغمرات : اقتحمها .

(١٥٢) هو مجاهد بن جبر مولى مخزوم من كبار التابعين بمكة أخذ العلم عن ابن عباس وروى عنه كثيرون توفى نحو ١٠٢ هـ أو ١٠٤ . انظر : طبقات الفقهاء ـــ الشيرازى : ٤٥ .

(١٥٣) الذاريات : ٢٤ .

(١٥٤) وفى ثمار القلوب : ٣٣ : ثم ما لبث أن جاء بعجل سمين فقربه إليهم قال : ألا تأكلون .

(١٥٥) فى الأصل : « الجمل المصوى » والصواب : المصرى وهو الحسين بن عبد السلام يكنى أبا عبد الله . شاعر =

أيديهم طباق حلواء ، وليس يمد[156] أحدهم يده إليها . فقال : ياقوم لقد أذكرتموني ضيف إبراهيم . فقالوا : وكيف ؟ فقرأ : ﴿ **فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة** ﴾[157] . ثم قال : كلوا رحمكم الله ، فضحكوا من قوله ، فأكلوا ، وأكل معهم[158] .

دخل الشعبي[159] على صديق له فلما أراد القيام[160] قال له : لا تتفرق إلا عن ذواق . فقال الشعبي : فأتحفني بما عندك ، ولا تتكلف[161] لي بما لا يحضرك . فقال : أي التحفتين أحب (إليك)[162] تحفة إبراهيم ، أم تحفة مريم ؟ فقال الشعبي : أما تحفة (إبراهيم فعهدي بها الساعة وأريد تحفة مريم)[163] . فدعا له بطبق من رطب . فإنما[164] عنى بتحفة إبراهيم اللحم ، لأن في قصته[165] ﴿ **فما لبث أن جاء بعجل حنيذ** ﴾[166] وعنى بتحفة مريم الرطب ، لأن في قصتها : ﴿ **وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا** ﴾[167] .

كان حامد الكاف[168] يقول : إن المرء[169] إذا ضاف إنساناً حدث[170] بسخاء إبراهيم[171] وإذا أضافه إنسان حدث بوفد[172] عيسى عليهما السلام .

=مشهور مدح الخلفاء والأمراء . وكان شرها في الطعام دنيء الثوب ولد سنة ١٧٠ وتوفي نحو ٢٥٨ هـ . معجم الادباء ٤ / ٧٧ وانظر : يتيمة الدهر ١ / ٤٠٠ .

(١٥٦) في الأصل : « بمد » . (١٥٧) هود : ٧٠ .

(١٥٨) الخبر في ثمار القلوب ٣٣ .

(١٥٩) الشعبي هو عامر بن شراحيل بن عبد الشعبي من همدان وكان من كبار التابعين بالكوفة ولد لست خلت من خلافة عثمان ومات سنة أربع ومائة وقيل سبع ومائة . طبقات الفقهاء الشيرازي ٦١ .

(١٦٠) في الأصل : « الداد » . (١٦١) في الأصل : « ولا نتكلف » .

(١٦٢) ما بين القوسين زيادة لم تكن في الأصل .

(١٦٣) في الأصل : « وأما تحفة » وقد سقطت جملة ما بين القوسين . وتصويب النص من ثمار القلوب ٣٣ . والخبر في الكناية والتعريض ص ٤٩ مع اختلاف في الألفاظ .

(١٦٤) في الأصل : « فلما » . (١٦٥) في الأصل : « قصة » .

(١٦٦) هود : ٦٩ : وفي الأصل : « حينذ » وهو خطأ في النسخ .

(١٦٧) مريم : ٢٥ .

(١٦٨) كذا في الأصل ولم أهتد إلى اسمه الصحيح أو إلى ترجمته .

(١٦٩) في الأصل : « المراى » . (١٧٠) في الأصل : « جدث » .

(١٧١) سخاء إبراهيم إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين . إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون . فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين** ﴾ الذاريات : ٢٤ ـ ٢٦ .

(١٧٢) في الأصل « انسان حدن بوهد » ، والقول إشارة إلى قوله تعالى في سورة المائدة ١١٢ ـ ١١٤ ﴿ **إذ قال** =

ولما قال المتوكل لأبي العيناء أتشرب معنا النبيذ[١٧٣] ؟ قال له : ياأمير المؤمنين : ﴿ **ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه** ﴾[١٧٤] .

لما كلف عبد الله بن الحسن بن الحسن[١٧٥] (إبراز) ابنيه محمد[١٧٦] وإبراهيم من مستترهما وأخذ بذلك أشد أخذ جعل يقول : والله إن بليتى[١٧٧] لأعظم[١٧٨] .

فى سورة الصافات . وقال : ﴿ **يابنى إنى أرى فى المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين** ﴾[١٧٩] ثم قال بعد قصة الذبح : ﴿ **وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين** ﴾[١٨٠] فصح أن قولك إسحاق كان بعد الذبح وقد سمى الله تعالى العم أبا إذ ذكر إسماعيل فى جملة الآباء وهو عم يعقوب فقال حكاية عن أبناء يعقوب : ﴿ **نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق** ﴾[١٨١] . والعرب تسمى العم أبا .

ويروى عن النبى ﷺ أنه قال : « ردوا علي أبي » يعني عمه العباس .

قال أبو سعيد الرستمي[١٨٢] فى دار أبى القاسم الصاحب بن عباد[١٨٣] :

هى الدار أبناء الندى من حجيجها[١٨٤]   نوازل فى ساحاتها وقوافلا[١٨٥]

= الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا .. قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك ﴾ .

(١٧٣) فى الأصل : « لدن . . . البيذ » .   (١٧٤) البقرة : ١٣٠ .

(١٧٥) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على من العباد المعروفين وكان ذا هيبة ولسان شديد . وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز توفى نحو ١٤٥ هـ فى محبسه بالهاشمية . انظر : مقاتل الطالبين : ١٣٢ فما بعدها .

(١٧٦) فى الأصل : « ايران . . . محمد » .   (١٧٧) فى الأصل : « بيتى » .

(١٧٨) سقطت ورقة من أصل المخطوط عند هذا الخبر مع كون الترقيم متسلسلا صحيحا .

(١٧٩) الصافات : ١٠٢ .   (١٨٠) سورة الصافات : ١١٢ .

(١٨١) البقرة : ١٣٣ .

(١٨٢) أبو سعيد الرستمى هو محمد بن الحسن بن محمد بن رستم من أبناء أصبهان ومن أصدقاء الثعالبى وعده فى الطبقة الأولى من الشعراء وترجم له . انظر : يتيمة الدهر ٣ / ٣٠٠ فما بعدها .

(١٨٣) البيتان من قصيدة طويلة مطلعها فى يتمية الدهر ٣ / ٢٠٦ :

نصبن لحبات القلوب حبائلا   عشية حل الحاجيات حبائلا

(١٨٤) فى الأصل : « الدار ابدا . . حجيجهما » .

(١٨٥) بعده فى يتيمة الدهر ٣ / ٢٠٦ :

يزرنك بالآمال مثنى وموحداً   ويصدرن بالأموال دثرا وحاملا

قواعد إسماعيل يرفع سمكها[١٨٦] لنا كيف لا نعتدهن معاقلا

قرأت فى أخبار مزبد[١٨٧] أنه كان له ديك قديم الصحبة فى داره ، وعرف بجواره . فأقبل الأضحى ، ووافق مزبد رقة الحال ، وخلو المنزل من كل خير وميرة . فلما أراد أن يغدو[١٨٨] إلى المصلى أوصى امرأته بذبح الديك ، واتخاذ طعام منه للعيد[١٨٩] . وخرج لشأنه[١٩٠] . فأرادت المرأة (أن)[١٩١] تأخذه ، وتفعل ما أمرها زوجها . فجعل الديك يصيح ويثب[١٩٢] ، ويطير من جدار إلى جدار ، ويسقط من دار إلى دار حتى أسقط على هذا من الجيران لبنة ، وكسر لذلك[١٩٣] غضارة[١٩٤] ، وقلب لآخر قارورة . فسألوا المرأة عن القصة فى أخذها إياه . فأخبرتهم ، فقالوا جميعا : والله لا نرضى أن تبلغ[١٩٥] الحاجة بأبي إسحاق ما نرى[١٩٦] وكانوا هاشميين ، مياسير[١٩٧] ، أجواداً فبعث أحدهم بشاة وبقرة وذبحت[١٩٨] (امرأة)[١٩٩] شاتين . وأنفذ بعضهم بقرة . وتباروا[٢٠٠] فى الإهداء حتى غصت[٢٠١] دار مزبد بالشياه والبقر . وذبحت[٢٠٢] المرأة ما شاءت ، ونصبت القدور[٢٠٣] ، وشجر للشواء[٢٠٤] التنور . فلما رجع مزبد[٢٠٥] إلى

---

(١٨٦) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ﴾ البقرة : ١٢٧ .

(١٨٧) القصة فى ثمار القلوب ٣٧٢ ، وذكر عبد السلام هارون فى تحقيقه لهذا الاسم أن اسمه كثيرا ما يقع التحريف فيه فيقال مزيد ، وهو مزبد المدائنى من أصحاب النوادر والفكاهة . انظر : الحيوان جـ ٥ / ١٨٤ . وقد ذكر له الجاحظ عدة أخبار ونوادر . انظر : الحيوان ٥ / ١٩٢ ، ١٩٣ .

(١٨٨) فى الأصل : « يعدوا » .

(١٨٩) فى ثمار القلوب ٣٧٢ : واتخاذ الطعام لإقامة رسم العيد . (١٩٠) فى الأصل : « لسانه » .

(١٩١) زيادة ليست فى الأصل ، وفى ثمار القلوب : فعمدت المرأة تمسكه فجعل يصيح ويثب من جدار إلى جدار ، ومن دار إلى دار .

(١٩٢) فى الأصل : « ويفعل . . ويثبت » . (١٩٣) فى الأصل : « كذلك » .

(١٩٤) فى الأصل: « عصارة » . والغضار : الطين الحر ، والغضارة الصحفة المتخذة منه .

(١٩٥) فى الأصل: « نبلغ » .

(١٩٦) فى الأصل : « ما يرى » وفى ثمار القلوب : إن يبلغ حال أبى إسحاق إلى ما نرى .

(١٩٧) فى الأصل: « فكانوا . . . مياسيرا » .

(١٩٨) كذا فى الأصل والأرجح أن تكون وبعث .

(١٩٩) فى الأصل : « المرأة » وفى ثمار القلوب : وبعضهم شاتين .

(٢٠٠) فى ثمار القلوب : وتغالوا فى الإهداء . (٢٠١) فى الأصل : « غضبت » .

(٢٠٢) فى الأصل : « ود المرأة » وهو تحريف فى النسخ .

(٢٠٣) فى الأصل : « القرون » وفى ثمار القلوب : ونصبت القدر .

(٢٠٤) فى الأصل : « الشواب » . (٢٠٥) فى الأصل : « من يد » .

منزله فشاهد ما فى داره[٢٠٦] قال لامرأته : ما هذا الخصب الذى لم أعهده[٢٠٧] ، فقصت عليه قصة الديك ، وما ساق الله بسببه إليهم من الخيرات . فامتلأ سرورا ، وقال[٢٠٨] : احتفظى بهذا الديك ، لأن الله لم يفد[٢٠٩] إسماعيل إلاَّ بذبح واحد فقال : ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾[٢١٠] . وقد فدا[٢١١] هذا الديك الشاء والبقر .

فصـــــل

فى الاقتباس من قصة يعقوب ويوسف عليهما السلام

قيل للحسن البصري وقد اشتد جزعه على أخيه سعيد : أنت تنهى عن الجزع . وقد صرت منه إلى غاية . فقال : سبحان من لم يجعل الحزن عارا على يعقوب . فجعل جوابه احتجاجا . يريد قوله عز وجل : ﴿ **وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم** ﴾[٢١٢] .

وقيل له : أيكذب المؤمن ؟ فقال : أنسيتم إخوة يوسف[٢١٣] .

وتكلم يوما فارتفعت أصوات من حوله بالبكاء فقال : عج كعجيج[٢١٤] النساء وبكاء كبكاء إخوة يوسف .

قال الشعبى : حضرت شريحا[٢١٥] وبين يديه امرأة تخاصم زوجها وتبكي . فقلت لزوجها : يافلان ، هذه مظلومة . فقال : ياهذا إن إخوة يوسف ﴿ **جاءوا أباهم عشاء**

---

(٢٠٦) فى ثمار القلوب : وكر مزبد راجعا إلى منزله فرأى روائح الشواء قد امتزجت بالهواء .

(٢٠٧) فى ثمار القلوب : أنّى لك هذا الخير فقصت عليه قصة الديك .

(٢٠٨) فى ثمار القلوب ٣٧٣ وقال لها : احتفظى بهذا العلق النفيس وأكرمى مثواه فإنه أكرم على الله من نبيه إسماعيل عليه السلام . قالت : وكيف ؟ قال لأن الله تعالى لم يفد إسماعيل إلا بذبح واحد . قال الله تعالى : ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾ وقد فدا هذا الديك بكل هذه الشياه والبقر .

(٢٠٩) فى الأصل : « يقد » .

(٢١٠) الصافات : ١٠٧ .

(٢١١) فى الأصل : « وقد » .

(٢١٢) يوسف : ٨٤ .

(٢١٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ **وجاءوا أباهم عشاء يبكون** ﴾ يوسف : ١٦ .

(٢١٤) العجيج : ارتفاع الصوت والضجيج . وفى الأصل : « كعجيج النساء ولاعزم وبكاء » .

(٢١٥) شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم يكنى أبا أمية من أشهر القضاة الفقهاء فى صدر الإسلام . ولى قضاء الكوفة زمن عمر وعثمان وعلى ومعاوية واستعفى أيام الحجاج فأعفاه سنة ٧٧ هـ . توفى بالكوفة نحو ٧٨ هـ . انظر : لطائف المعارف : ١٤٠ . حلية الأولياء ٤ / ١٣٢ انظر كتاب القاضى شريح للدكتور بدرى محمد فهد .

يكون ﴾[٢١٦] وهم ظالمون .

حكى الجاحظ[٢١٧] قال : قال أبو علقمة : إن اسم الذيب الذى أكل يوسف دمعون . فقيل له : إن يوسف لم يأكله الذئب . فقال : فهذا اسم الذئب الذي يأكله . قيل : فينبغى أن يكون الاسم لجميع الذئاب .

وأنشد أبو عبد الله المرزباني[٢١٨] في كتاب المستنير لأبى الشيص[٢١٩] :

وقائلة ، وقد بصرت بدمـــع	على الخدين منهمل سكوب[٢٢٠]
أتكذب فى البكاء وأنت خلو[٢٢١]	قديماً ما جسرت على ذنوب
قميصك والدموع تجول فيه	وقلبك ليس بالقلب الكئيـــب
نظير قميص يوسف يوم جاءوا	على لباته[٢٢٢] بـدم كـذوب
فقلت لها : فداك أبى وأمى	رجمـت بسـوء ظنـك بالغيوب

وكان يقال : لا تلقن صاحبك الشر ، فاخلق به ألا[٢٢٣] تلقنه ، ويحتج به عليك . ألا ترى أن يعقوب عليه السلام قال لبنيه فى شأن يوسف : ﴿ **وأخاف أن يأكله الذئب** ﴾[٢٢٤] فتلقوه[٢٢٥] من فمه . وقالوا : ﴿ **يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب** ﴾[٢٢٦] .

---

(٢١٦) يوسف : ١٦ .

(٢١٧) الخبر فى الحيوان ٦ / ٤٧٧ وفيه يقول : إن اسم الذئب الذى أكل يوسف رجحون فقيل له : فإن يوسف لم يأكله الذئب . وإنما كذبوا على الذئب ولذلك قال الله عز وجل ﴿ **وجاءوا على قميصه بدم كذب** ﴾ قال فهذا اسم الذئب الذى لم يأكل يوسف .

(٢١٨) أبو عبد الله المرزبانى وقيل أبو عبيد الله واسمه محمد بن عمران بن موسى أديب مشهور ولد نحو ٢٩٧ وتوفى نحو ٣٨٤ وقيل ٣٧٨ هـ . انظر : معجم الشعراء أ فما بعدها .

(٢١٩) أبوالشيص : هو محمد بن عبد الله بن رزين الخزاعى وهو ابن عم دعبل الشاعر كثرت اخباره مع صريع الغوانى ، وأبى نواس ودعبل . انظر : طبقات الشعراء ٢٧ فما بعدها . وقد جمع شعره عبد الله الجبورى .

(٢٢٠) الأبيات فى ديوانه ق ٦ ص ٢٤ مع بيتين آخرين ورواية الشطر الثانى من البيت الأول فى الديوان « منحدر سكوب » .

(٢٢١) فى الأصل : « خلق » والتصويب من الديوان . وفى رواية الثعالبى فى ثمار القلوب . ٣٥ .

(٢٢٢) فى الأصل : « على ابيه » وقد أثبت رواية ثمار القلوب . وفى الديوان : « على البابه » .

(٢٢٣) فى الأصل : « أن تلقنه » والسياق يقتضى إضافة ألا .

(٢٢٤) يوسف : ١٣ .

(٢٢٥) فى الأصل : « تلقونه » .

(٢٢٦) يوسف : ١٧ .

وقال الشاعر :

عليَّ والله فيما لفقوا كذبوا ككذب أولاد يعقوب على الذيب

كتب أبو العيناء إلى أحمد بن أبي دؤاد[227] :

جعلني[228] الله فداك ، مسنا الضر ، وبضاعتنا المودة والشكر . فإن تعط أكن كما قال الشاعر :

إن الشهاب الذى يحمى ذماركم[229]
لا يخمد الدهر لكن جمرة[230] يقد[231]

فإن لم تفعل ، فلسنا كمن يلمزك فى الصدقات ، فإن[232] يعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا إذا هم يسخطون[233] .

[يقال] : من عرف بالكذب لم يجز صدقه .

وفى الأمثال السائرة : لا يقبل الصدق من الكذاب ، وإن أتى بمنطق صواب .

وفى قصة يوسف : ﴿ **وما أنت بمؤمن لنا ، ولو كنا صادقين** ﴾ [234] .

ومن أمثال العرب فى حفظ السر : صدرك أوسع لسرك من دمك .

وفى قصة يوسف : ﴿ **لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين** ﴾[235] ، قال الحسن البصرى : من أحسن عبادة الله فى شبيبته لقاه الله الحكمة فى اكتهاله كما قال الله تعالى فى شأن يوسف : ﴿ **ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين** ﴾[236] .

---

(227) أحمد بن أبى دؤاد يكنى أبا عبد الله القاضى . قال عنه ابن خلكان بأنه كان معروفا بالمروءة ، والعصبية ، وله مع المعتصم أخبار مأثورة أصيب بالفالج فى أول خلافة الواثق ، وتوفى سنة ٢٤٠ هـ . وفيات الأعيان : ١ / ٦٣ ، ٦٤ .

(228) الخبر فى المصون:٨٦ وبدأ فيه بقوله :«جعلنى الله فداك مسّنا وأهلنا الضر».

(229) فى الأصل:« دماءكم يحمد » .

(230) فى الأصل:« صوة » .

(231) فى المصون : « أنا الشهاب . . إلا ضوؤه يقد » .

(232) فى الأصل : « فان لم يعطوا » وهو خطأ .

(233) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **ومنهم من يلمزك فى الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون** ﴾ التوبة : ٥٨ . وفى المصون « وإن لم تعطنا فلسنا ممن يلزمك يسخطون » . وفى الأصل : « يسخطون العرب » .

(234) يوسف : ١٧ .

(235) نفسها : ٥ .

(236) نفسها : ٢٢ .

نظر شيخ إلى امرأتين تتلاعبان فى الطريق . فقال : إنكن صويحبات يوسف فقالت إحداهن : ياعم ، فمن ألقاه فى غيابة الجب نحن أم أنتم ؟

قيل لأبى الحارث جميز[٢٣٧] وهو فى ثياب منخرقة[٢٣٨] : ألا يكسوك محمد بن يحيى[٢٣٩] ؟ فقال : لو كان له بيت مملوء إبراً وجاءه[٢٤٠] يعقوب ومعه النبيون[٢٤١] شفعاء[٢٤٢] ، والملائكة ضمناء يطلب منه إبرة ليخيط بها قميص يوسف الذى قُدَّ من دبر ما أعاره إياها . فكيف يكسوني[٢٤٣] !!

وقال العباس بن الأحنف[٢٤٤] :

و قد زعمت جمل بأني أريدها
على نفسها تبا لذلك من فعل[٢٤٥]

سلوا عن قميصي مثل شاهد يوسف
فإن قميصي لم يكن قُدَّ من قبل[٢٤٦]

---

(٢٣٧) أبو الحارث جميز ، وفى الأصل « جمين » وقد ذكره الجاحظ فى البخلاء : ١٧ ، ٧٢ ، ٩٧ ، ١٩٧ . وأشار إلى طائفة من نوادره وأخباره . وفى الوزراء والكتاب للجهشيارى ٤٢ أبو الحارث جميز وكان ممن حظى عند محمد بن يحيى البرمكى وكان الأخير يألفه .

(٢٣٨) فى الأصل : « منحرقة » . والخبر فى ثمار القلوب : ٣٥ .

(٢٣٩) هو محمد بن يحيى بن خالد البرمكى استعمله الرشيد على الزمام ثم حبسه بعد مقتل جعفر ، ثم عفا عنه ، وقد برّ به الأمين والمأمون من بعده . انظر : الوزراء والكتاب ١٩٣ ، ٢٢٤ ، ٢٩٧ .

(٢٤٠) فى الأصل : « ابرا وجاه » .

(٢٤١) فى الأصل : « النبون » .

(٢٤٢) فى الأصل : « شفعا » .

(٢٤٣) فى الوزراء والكتاب : ٢٤٢ : أن يحيى بن خالد هو الذى سأل أبا الحارث وأنه قال له : أنت خاص به وثوبك تخرق ، قال : والله ما أقدر على إبرة أخيطه بها ، ولو ملك محمد بيتا من بغداد إلى النوبة مملوء إبرا ، ثم جاء جبريل ، وميكائيل ومعهما يعقوب النبى يضمنان له عنه إبرة ، ويسألونه إعارته إياها ، ليخيط بها قميص يوسف الذى قد من دبر ما فعل .

(٢٤٤) العباس بن الأحنف من بنى حنيفة . كان شاعرا ظريفا مفوها منشؤه بغداد عرف بغزله الرقيق . انظر : طبقات الشعراء : ٢٥٤ ــ ٢٥٧ .

(٢٤٥) روايته فى ديوان العباس : ٢١٣ .
وقد زعمت يمن بأنى أريدها . فى ثمار القلوب : وقد زعمت جمل .

(٢٤٦) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ قال هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قُدَّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين . وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ﴾ يوسف : ٢٦ ، ٢٧ .

قال المتنبى :

كأن كل سؤال فى مسامعه قميص يوسف فى أجفان يعقوب[٢٤٧]

وقال أبو عثمان الخالدي[٢٤٨] للمهلبى[٢٤٩] الوزير ، وذكر معز الدولة أبا الحسن[٢٥٠] :

إن غبت أودعك الإله حياضه وإذا قدمت أباحك الترحيبا[٢٥١]
ويكون من مقة[٢٥٢] كتابك عنده كقميص يوسف إذ أتى يعقوبا

ولأبى العباس أحمد بن إبراهيم الضبي[٢٥٣] من كتاب كتبه إلى أبي سعيد الشبيبي[٢٥٤] :

وصل كتاب شيخ[٢٥٥] الدولتين فكان فى الحسن[٢٥٦] روضة حزن بل جنة عدن .

---

(٢٤٧) فى الأصل : « كأن كل سواك » والبيت فى ديوان المتنبى ١ / ٩٥ ، ويريد المتنبى بالبيت أن الممدوح يسر ويبتهج إذا سمع سؤال سائل يستجديه ابتهاج يعقوب حين رأى قميص يوسف ، وذلك لكرمه وجوده .
والبيت من قصيدة يمدح بها المتنبى كافورا سنة أربع وأربعين وثلثمائة ومطلعها :

من الجآذر فى زى الأعاريب حمر الحلى والمطايا والجلابيب

وفى بيت المتنبى إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا ﴾ يوسف : ٩٦ .

(٢٤٨) أبو عثمان الخالدى : هو سعيد بن هاشم شاعر وأديب ، وهو أخو محمد الذى عرف وإياه باسم الخالديين . ولهما الكتاب المشهور « الأشباه والنظائر » انظر : الفهرس : ٢٤٦ ، اللباب ١ / ٣٣٩ .

(٢٤٩) المهلبى : هو الحسن بن محمد بن هارون المكنى أبا محمد من ولد المهلب بن أبى صفرة ، استوزره معز الدولة وبقى فى وزارته ثلاث عشرة سنة توفى سنة ٣٥١ هـ ، انظر : المنتظم : ٧ ، ٩ ، ١٠ . يتيمة الدهر ٢ / ٢٢٣ .

(٢٥٠) معز الدولة : هو الحسن أحمد بن بويه . دخل بغداد سنة ٣٣٤ هـ واعترف الخليفة المستكفى به ومنحه ثقته ، ولقبه بلقب أمير الأمراء إضافة إلى لقب معز الدولة . انظر : طبقات سلاطين الإسلام ١٣٥ .

(٢٥١) البيتان فى ثمار القلوب ٣٦ وخاص الخاص : ١٨٥ وهما فى ديوان الخالديين ص ١٠٨ وفيه : « أودعك الإله حياطة » .

(٢٥٢) المقة : المحبة . انظر : الصحاح (ومق) ورواية البيت فى الأصل : « ويلون من ... بقميص » .

(٢٥٣) أحمد بن إبراهيم الضبى يكنى أبا العباس ، وزير فخر الدولة البويهى كان من العقلاء الأفاضل توفى نحو ٣٩٨ هـ . انظر : معجم الأدباء ١ / ٦٥ — ٧٤ .

(٢٥٤) أبو سعيد الشبيبى : هو أحمد بن شبيب ، شاعر أديب كان جامعا بين القلم والسيف وكان مختصا بالدولة السامانية ، والدولة البويهية وسمى صاحب الجيشين . انظر : يتيمة الدهر ٤ / ٢٤٢ .

(٢٥٥) فى الأصل : « الشيخ » وهو تحريف والكتاب فى ثمار القلوب : ٣٧ ، المتنبى ما له وما عليه : ٢١ ، إرشاد الأريب ١ / ٦٧ . وفى ثمار القلوب : فكان رحمه الله عند أيوب عليه السلام ، وقميص يوسف عند أجفان يعقوب .

(٢٥٦) فى الأصل : « الحبس » وأثبتنا رواية المتنبى ما له وما عليه وفى كتاب من غاب عنه المطرب (وهو الحسن) .

وفى شرح الصدور[٢٥٧] ، وأنس القلوب قميص يوسف إذ وافى يعقوب[٢٥٨] .

قال أبو طالب المأموني[٢٥٩] لابن عباد ، وقد أحسن جدا[٢٦٠] :

وعصبة بات فيها الغيظ متقدا
إذ شدت لى فوق أعناق الورى رتبا[٢٦١]
فكنت يوسف والأسباط هم وأبو الـ
أسباط أنت ودعواهم دماً كذبا[٢٦٢]

وقال ابن المعتز[٢٦٣] :

بنو هاشم عودوا نعد لمودة
فإنا إلى الحسنى سراج التعطف[٢٦٤]
وإلا فإنى لا أزال عليكم
مخالف[٢٦٥] أحزان كثير التلهف
لقد بلغ الشيطان من آل هاشم
مبالغه[٢٦٦] من قبل (في)[٢٦٧] آل يوسف

---

(٢٥٧) فى من غاب عنه المطرب : « وفى شرح النفس وبسط الأنس برد الأكباد والقلوب وقميص » .

(٢٥٨) فى من غاب عنه المطرب : « وقميص يوسف على أجفان » وفى إرشاد الاريب : وبسط الأنس ، وبرد الأكباد والقلوب وقميص يوسف فى أجفان القلوب .

(٢٥٩) أبو طالب المأمونى : هو عبد السلام بن الحسين شاعر وأديب يتصل نسبه بالمأمون العباسى . ولد ببغداد ، وتعلم فيها . وامتدح الصاحب بن عباد ولقى بنيسابور بعض أولاد الخلفاء . انظر : يتيمة الدهر ٤ / ٨٤ ــ ١١٢ .

(٢٦٠) قال الثعالبى فى خاص الخاص : ١٨٥ معلقا على البيتين بأنهما من معجزات شعره وقوله هذا من قصيدة فى تضمين كل قصة يوسف عليه السلام وذكرا أيضا فى أحسن ما سمعت : ٢٨ .

(٢٦١) فى الأصل : « ان تبا » .

(٢٦٢) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وجاءوا على قميصه بدم كذب ﴾ يوسف : ١٨ .

(٢٦٣) الأبيات فى ديوانه : ٢٧٨ (ط دمشق) .

(٢٦٤) فى ديوان ابن المعتز :

بنى عمنا عودوا نعد لمودة ... فإنا إلى الحسنى سراع التعطف

(٢٦٥) فى الأصل : « مخالف » .

(٢٦٦) فى الأصل : « مبالغة » .

(٢٦٧) زيادة ليست فى الأصل أثبتناها من رواية الديوان .

وقال آخر :

يا شبه من كان الذى قطّعن أيديهن فيه[٢٦٨]
وشبيه من بقميصه جاء البشير إلى أبيه
لم لا ترق لمدنف أسْهَرْت ليلة ممرضيه

وقال آخر :

من كف يقظان الشمائل ناعس الـ
أحاظ (يفديه)[٢٦٩] الغزال الأهيف
ويروق لي ذقن له مستودع
جباً ومن ذى[٢٧٠] الجب يطلع يوسف

ومن أحسن ما قيل في سجن يوسف ، وحسن عاقبته قول البحتري لمحمد بن يوسف[٢٧١] :

أما في رسول الله يوسف أسوة
لمثلك محبوساً على الضيم والإفك[٢٧٢]
أقام جميل الصبر[٢٧٣] فى السجن برهة[٢٧٤]
فآض به الصبر[٢٧٥] الجميل إلى الملك

---

(٢٦٨) فى الأصل : « يا شبه من البرق وقطعن .. والقول إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن ﴾ يوسف : ٣١ .

(٢٦٩) فى الأصل : « يمديه » .

(٢٧٠) فى الأصل : « ذا » وفى القول إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ وألقوه فى غيابة الجب ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب ﴾ يوسف : ١٠ ، ١٥ .

(٢٧١) البيتان فى ديوان البحترى ٣ / ١٥٦٧ من قصيدة مطلعها :

جعلت فداك الدهر ليس بمنفك من الحادث المشكو والنازل المشكى

(٢٧٢) رواية البيت فى الديوان :

أما فى نبى الله يوسف أسوة لمثلك محبوسا على الظلم والإفك

وفى البيت إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ﴾ يوسف : ٣٢ .

(٢٧٣) فى الأصل : « صبر » .

(٢٧٤) فى الأصل : « نزهة » وفى أحسن ما سمعت : ٢٨ : (مدة) .

(٢٧٥) فى الأصل : « فاضر به الجميل إلى الملك » والصواب فآض وهو من قولهم آض يئيض أيضا أى عاد . يقال آض =

وقال محمد بن زيد العلوي[٢٧٦] :

وراء مضيق الخوف متسع الأمن   وأول مفروج به آخر الحزن
فلا تيأسن فالله ملك يوسفا   خزائنه بعد الخلاص من السجن[٢٧٧]

وقال أبو عبد الله بن الأسمى العلوى من قصيدة فى مرثية الداعى[٢٧٨] وتعزية ابنه المحبوس :

فلا تيأس فيوسف كان قدما   أتاه الملك فى سجن البغايا
وموسى بعد مافى اليم ألقى   حباه الله سلطاناً وآيا[٢٧٩]

عوتب بعض العلماء على خطبته عمل السلطان فقال : لقد خطبه ، وطلبه الصديق ابن إسرائيل بن الذبيح بن الخليل عليهم السلام فى ملك مصر . فقال : **﴿ اجعلنى على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ﴾**[٢٨٠] . أى كاتب حاسب .

لما وصف عبد العزيز بن يحيى[٢٨١] للمأمون[٢٨٢] استدعاه ، فلما رآه قال : إلى أن أختبرك فافتح[٢٨٣] وجهك . فقال : يا أمير المؤمنين : إن حسن الوجه ليس مما ينال منه الحظوة عند[٢٨٤] الملوك . وإني سمعت الله حكى فى كتابه العزيز عن يوسف قول الملك **﴿ إنى حفيظ عليم ﴾**[٢٨٥] ، ولم يقل إني صبيح مليح . وهل سجن إلا لحسن وجهه ،

= فلان إلى أهله أى رجع . وروايته فى أحسن ما سمعت ٢٨ :

أقام جميل الصبر لى السجن مدة   فآض به الصبر الجميل إلى الملك

وفى البيت إشارة إلى قوله تعالى: **﴿ وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء ﴾** يوسف : ٥٦ .

(٢٧٦) محمد بن زيد العلوى بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب ، وهو المعروف بالداعى صاحب طبرستان . قتل أيام المعتضد سنة ٢٨٩ مقاتل الطالبيين ٤٩٥ .

(٢٧٧) البيت الثانى فى المنتحل ٢٦٤ ورواية الشطر الثانى منه « خزائنه » وهى الأرجح . وفى القول إشارة إلى قوله تعالى **﴿ قال اجعلنى على خزائن الأرض ﴾** يوسف : ٥٥ .

(٢٧٨) الداعى : هو محمد بن زيد المذكور أعلاه وابنه المحبوس هو زيد بن محمد الذى أسر بعد قتل أبيه وحمل إلى خراسان . مقاتل الطالبيين : ٤٩٥ ولم أهتد إلى ترجمة الشاعر ومعرفته .

(٢٧٩) آيا : جمع آية . الصحاح (أيا) .   (٢٨٠) يوسف : ٥٥ .

(٢٨١) عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكنانى المكى ، كان من تلامذة الإمام الشافعى . قدم بغداد أيام المأمون ، وكان يلقب بالغول لدمامته ، توفى نحو ٢٤٠ هـ . تهذيب التهذيب ٦ / ٣٦٣ .

(٢٨٢) فى الأصل : « المأمون » .

(٢٨٣) فى الأصل : « فلما افتح » وهو تحريف فى النسخ .

(٢٨٤) فى الأصل : « عبد » .   (٢٨٥) يوسف : ٥٥ .

وولى إلا لعلمه . فقال : أحسنت ، وأمر بإكرامه .

استأذن آدم بن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز[٢٨٦] على يعقوب بن الربيع[٢٨٧] وهو على الشراب فأمر برفعه ، والإذن له . فلما دخل قال : ﴿ **إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون**[٢٨٨] ﴾[٢٨٩] . فأمر برد الشراب ، ونادمه[٢٩٠] .

لما استقبل عبد الملك بن مروان أخاه عبد العزيز عند مشرفه من مصر ، وأثقاله على ألف حمل . سئل بعض أصحابه : على كم كانت البداءة ؟ فقال : على ثلاثمائة جمل (قال) : ما عير أحق أن يقال لها ﴿ **أيتها العير إنكم لسارقون** ﴾[٢٩١] من هذه . فبلغ كلامه هذا عبد العزيز فقال : ﴿ **إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل** ﴾[٢٩٢] .

عن عطاء الخراساني[٢٩٣] : الحوائج إلى الشبان أسهل منها إلى الشيوخ ألم تر[٢٩٤] أن يوسف قال لإخوته : ﴿ **لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم** ﴾[٢٩٥] (وقال)[٢٩٦] أبوهم : ﴿ **سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم** ﴾[٢٩٧] . وإنه آخر الدعاء إلى وقت السحر[٢٩٨] ، لأن وقت السحر مرجو الاستجابة .

قال بعض الشعراء[٢٩٩] :

---

(٢٨٦) فى الأصل : « آدم بن عبد العزيز » والصواب ما أثبتناه وهو حفيد عمر بن عبد العزيز منّ عليه أبو العباس السفاح بالسماح . وكان ماجنا خليعا ، وكان الخليفة المهدى يقربه ويصطفيه ، الأغانى ١٤ / ٥٨ — ٦٠ ، طبعة ساسى جمهرة أنساب العرب : ١٦ .

(٢٨٧) يعقوب بن الربيع بن يونس شاعر طريف كان أكثر شعره فى رثاء جارية له اسمها ملك . وكان الرشيد يأنس به قبل الخلافة . معجم الشعراء ٤٩٧ .

(٢٨٨) فى الأصل : « تقلدون » وهو تحريف فى النسخ .

(٢٨٩) يوسف : ٩٤ .

(٢٩٠) الخبر فى ثمار القلوب ٣٨ ، وسماه آدم بن عمر بن عبد العزيز خطأ .

(٢٩١) يوسف : ٧٠ . (٢٩٢) نفسها : ٧٧ .

(٢٩٣) عطاء الخراسانى : هو ابن أبى مسلم واسم أبيه ميسرة وقيل عبد الله مولى هذيل توفى نحو سنة ١٣٣ هـ . انظر الطبقات : ابن خياط : ٣١٣ .

(٢٩٤) فى الأصل : « الم ير الى » . (٢٩٥) يوسف : ٩٢ .

(٢٩٦) زيادة ليست فى الأصل .

(٢٩٧) يوسف : ٩٨ ، وفى الأصل : « انه هو الغفار » .

(٢٩٨) فى الأصل : « السجد » . (٢٩٩) فى الأصل : « الشعر » .

إن أكن مذنبا فحظي عقاب[٣٠٠] فهب لي عقوبة التأديب
قل كما قال يوسف لبنى يعقوب لما أتوه[٣٠١] لا تثريب

فصل

فى الاقتباس من قصة موسى عليه السلام

قال لي : (أبو)[٣٠٢] نصر بن سهل بن المرزبان : هل تعرف بيت شعر فيه بشارة ، وشماته ، ومجازاة ، واعتراض ، وانفصال ، فقلت : لا ، ولكني أعرف أية من كتاب الله تعالى فيها خبران ، وأمران ، ونهيان ، وبشارتان . فقال : عرفني هذه الآية . لأنشدك ذلك البيت . فقرأت عليه قوله تعالى فى قصة موسى عليه السلام : ﴿ **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين** ﴾[٣٠٣] ، فأنشدني من أبيات :

سوف نبرا ويمرضون ونجفو[٣٠٤] فإن عاتبوا أقل ذا بذاكا

كان على بن هشام ، أهدى جاريته صرفا إلى المأمون ، وكانت بارعة[٣٠٥] الجمال ، والغناء ، وكاتبة وأوصاها[٣٠٦] ، أن تتجسس له أخبار المأمون ليلة ، فلما انصرف سقطت منه رقعة صغيرة وفيها : ﴿ **ياموسى إن الملأ** ﴾[٣٠٧] فقال المأمون : إن في هذه تحذيرا . ولم يقف على كاتبها . فلما قتل علي انكشفت القصة ، وإذا هى رقعة صرف تحذره[٣٠٨] مما يجرى عليه .

كان موسى بن عبد الملك[٣٠٩] متحاملاً على نجاح بن سلمة ، سيء الرأى به ،

---

(٣٠٠) فى الأصل : « فحظى خطاب » كذا فى المخطوط والبيت فيه خلل .
(٣٠١) فى الأصل : « لما أبوه » .
(٣٠٢) فى الأصل : « نصر » والصواب أبو نصر وهو الأديب المعروف بسهل بن المرزبان من أدباء نيسابور ترجم له الثعالبى وذكر له أشعارا ومؤلفات . انظر يتيمة الدهر ٤ / ٣٩٢ .
(٣٠٣) القصص : ٧ .
(٣٠٤) فى الأصل : « وتجفوهم » .
(٣٠٥) فى الأصل : « صرف ... بادعة » .
(٣٠٦) فى الأصل : « وكاتبة وساطعة »
(٣٠٧) القصص : ٢٠ .
(٣٠٨) فى الأصل : « تخلود » .
(٣٠٩) موسى بن عبد الملك الأصبهانى يكنى أبا عمران من أصحاب ديوان الخراج فى الدولة العباسية . وكان من فضلاء الكتاب وأعيانهم وله ديوان رسائل . انظر : وفيات الأعيان ٢ / ١٤١ . والخبر فى نثر الدر ٣ / ٢٠٣ ، وزهر الآداب ١ / ٢٨٤ ، نكت الهميان : ٢٦٨ .

شديد البغض له. فلما سلم[٣١٠] إليه تلف على يده فى المطالبة، فقال المتوكل يوما لأبى العيناء : ماقولك فى نجاح بن سلمة ؟ فقال : أقول فيه ما قال الله : **﴿ فوكزه موسى فقضى عليه ﴾**[٣١١] . فضحك المتوكل ، وتغير لموسى . وعلم موسى أنه أتى من أبي العيناء فتوعده بالقتل . فقال له أبو العيناء : **﴿ تريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس ﴾**[٣١٢] : فكف عنه موسى ، ثم ترضاه بمال أنفذه إليه[٣١٣] .

قال بعض السلف : إن الفرار مما لا يطاق من سير المرسلين . يعنى ماكان من فرار موسى[٣١٤] .

قال بعض السلف [عن][٣١٥] ابن عائشة : كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو فإن موسى ذهب يقتبس النار فكلمه الملك الجبار .

تعرض رجل للرشيد وهو فى الطواف فقال : يا أمير المؤمنين إنى مكلمك بكلام غليظ فاحتمله . فقال : لا ، ولا كرامة لك . إن الله قد بعث من هو خير منك إلى من هو شر منى فقال : **﴿ فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾**[٣١٦] .

وكان يحيى بن معاذ[٣١٧] إذا قرأ هذه الآية قال : هذا رفقك بمن يدعي الربوبية فكيف رفقك بمن يقر بالعبودية .

---

(٣١٠) فى الأصل : « سلن » . (٣١١) القصص : ١٥ .

(٣١٢) نفسها : ١٩ .

(٣١٣) الخبر فى زهر الآداب ١ / ٢٨٤ وفيه : أن قول أبى العيناء بلغ نجاح بن سلمة ، وفى ذيل زهر الآداب : ٣٣٢ أن نجاح بن سلمة كان قد ضمن الحسن بن مخلد وموسى بن عبد الملك بمال عظيم للمتوكل فاحتال عبد الله بن يحيى حتى تضمناه بذلك وعاد عليه الأمر ، ثم اغتاله موسى بن عبد الملك فقتله فبلغ الأمر المتوكل فأكبره وهمّ بالإيقاع بموسى فتلطف عبيد الله بن يحيى وعمه الفتح بن خاقان حتى سكن غضبه . واتفق ذلك فى ولادة المعتز فاشتغل باللهو والسرور بذلك . فدخل أبو العيناء بعد ذلك على المتوكل ، وكان واجدا على موسى بن عبد الملك . فقال : ما تقول فى نجاح بن سلمة ؟ قال ما قاله الله عز وجل **﴿ فوكزه موسى فقضى عليه ﴾** .

(٣١٤) فى الأصل : « القرار .. ستر .. قرار » .

(٣١٥) يبدو أن كلمة سقطت بعد قوله بعض السلف وأرجح أن تكون (عن) لأن القول منسوب إلى ابن عائشة فى ثمار القلوب ٣٩ والإيجاز والإعجاز ٣٦ وابن عائشة هذا هو عبد الرحمن بن عبيد الله ، وعائشة أمه هى أم محمد بنت عبد الله بن عبيد الله من تيم قريش ، أديب شاعر له شعر فى هجاء أحمد بن أبى دؤاد وغيره . انظر : معجم الشعراء ٣٣٨ .

(٣١٦) طه : ٤٤ .

(٣١٧) يحيى بن معاذ الرازى : واعظ زاهد من أهل الرى أقام ببلخ ومات بنيسابور . توفى نحو ٢٥٨ هـ . انظر : صفة الصفوة ٤ / ٧١ — ٨٠ .

رأى على بن يقطين[318] الحسين بن راشد واقفا بباب يحيى بن خالد حين مضى فى حاجة له ورجع فرآه ، فقال له : أنت[319] واقف بباب هذا بعد ؟ فقال : نعم ، وما وقف موسى بباب فرعون أكثر . فبلغ ماجرى بينهما يحيى بن خالد ، ودخل إليه ابن راشد فقضى[320] حاجته . ثم قال خالد : الحمد لله الذي لم يجعل معك عصا ولا جعلني أدعي ما ادعى فرعون فاستحيا ابن راشد ، ورجع .

لما حج أبو مسلم تحفى بالحرم ، وتحفى الناس فقيل له فى ذلك ، فقال : سمعت الله يقول لموسى : ﴿ **اخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى** ﴾[321] ، وهذا الوادي أكرم من ذلك الوادى . قال الله تعالى لموسى : ﴿ **اخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى** ﴾[322] .

قال بعض المفسرين : كانتا من جلد غير زكي[323] .

قال الزهري : ليس كما قال ، بل أعلمه حق المقام الشريف ، والمدخل الكريم : ألا ترى أن الناس إذا دخلوا على الملوك كيف ينزعون نعالهم[324] خارجا .

قرأ الرشيد يوماً حكاية الله تعالى عن فرعون : ﴿ **أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتي أفلا تبصرون** ﴾[325] ، فقال : والله لأولينها أحداً من خدمي ، فولاها الخصيب[326] . وفيه يقول أبو نواس[327] :

---

(318) على بن يقطين بن موسى البغدادى مولى بنى أسد كان أبوه يقطين بن موسى داعية طلبه مروان فهرب وهربت أمه به إلى المدينة حتى ظهرت الدولة العباسية وهو محبوس . انظر : الرجال للحسن بن داود ، ص 253 .

(319) فى الأصل : « ابت » .

(320) فى الأصل : « قضى » .

(321) طه : 12 .

(322) نفسها . ويبدو أن تكرار الآية ليس من الأصل .

(323) انظر : الكشاف 3 / 55 ، زاد المسير 273 .

(324) فى الأصل : « رجالهم » .

(325) الزخرف : 51 .

(326) هو الخصيب بن عبد الحميد الدهقانى من ولاة مصر أيام الرشيد له أخبار كثيرة مع أبى نواس ، وقد امتدحه الأخير : انظر أخبار أبى نواس ، ص 31 ، 60 ، 63 ، 77 ، 129 ، وانظر المستطرف 1 / 275 .

(327) البيتان فى ديوان أبى نواس 484 (ط الغزالى) أخبار أبى نواس 32 مع تقديم البيت الثانى على الأول وقيل إن أهل مصر شغبوا على الخصيب فقال له النواسى : أنا أعفيك من قتالهم . فذهب إليهم وهم مجتمعون بالمسجد ، وألقى عليهم الأبيات فتفرقوا وقبل البيتين :

منحتكم يا أهل مصر نصيحتي ... ألا فخذوا من ناصح بنصيب

ولا تثبوا وثب السفاة فتركبوا ... على حد حامى الظهر غير ركوب

رماكـم أمير المؤمنين بحيـة أكـول لحيات البلاد شـروب
فإن يك باقى إفك فرعون فيكم[328] فإن عصى موسى بكف خصيب

وقال أعرابى لعبد الله بن طاهر :

دانت لك الشـام بأقطارهـا وأذعـن المؤمـن والكافـر
أنـت عصـا موسى التي ألقيت تلقف[329] ما يأفكه الساحـر

وقال البحترى للمعتز بالله :

تعجبت من[330] فرعون إذ ظن أنه إلـه لأن النيل من تحته يجـرى
ولو شاهد الدنيا وعاين ملكها[331] لقـل لديه ما يكنـز من مصـر

ولما وقف عبد الله بن طاهر على مصر قال : أخزى الله فرعون ، فما كان أخسه وأدنى همته ، ملك هذه القرية فقال : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾[332] والله لا دخلتها ترفعاً عنها .

قال (أبو) الحسن بن ناصر العلوى :

كـان حـالى لمـا أتـى وداع[333] الحبيب وقلبى وجب
يمين ابن عمران عند العصا وقـد حولـت حيـة تضطرب

وقال بعض الظرفاء :

قـل لمـن يحمـل العصـا حيـث أمسى وأصبحـا[334]
مـا حوتهـا يـد امـرئ بعـد موسـى فأفلحـا

---

(٣٢٨) روايته فى الديوان : فإن يك فيكم إفك فرعون باقيا وهى الأرجح
(٣٢٩) فى الأصل : « تلطف ما يأفك » .
(٣٣٠) فى الأصل : « تعجب منى » . البيتان فى ديوان البحترى ٢ / ١٠٥٣ من قصيدة مطلعها :

حبيب سرى فى خفية وعلى ذعر يجوب الدجى حتى التقينا على قدر

(٣٣١) وروايته فى الديوان : ولو شاهد الدنيا وجامع ملكها . . ما يكثر .
(٣٣٢) النازعات : ٢٤ .
(٣٣٣) روايته فى الأصل : « كان لما اتت وداع الحبيب » .
(٣٣٤) البيتان منسوبان لأبى الطيب الشعيرى من أهل الشام كما فى ثمار القلوب ٣٩ .

قال : أبدع ما قال ابن الرومي[٣٣٥] :

مديحي عصا موسى وذلك أنني ضربت به بحر الندى فتضحضحا[٣٣٦]
فياليت شعري إذ ضربت به الصفا أيبعث لي منه جداول سيحا
كتلك التي أبدت ترى الأرض بابا وأبدت عيونا في الحجارة سفّحا[٣٣٧]
سأمدح بعض الباخلين لعله إن اطّرد المقياس أن يتمسحا

ولو لم يفترع إلا هذا المعنى البكر[٣٣٨] لكان من أشعر الناس ، إذ شبه مديحه لعصا موسى التي ضرب (بها)[٣٣٩] البحر فيبس ، فضرب بها الحجر فانبجس[٣٤٠] وذلك أن ابن الرومي مدح جوادا فبخل ، فقال سأمدح بخيلا[٣٤١] لعله أن يجود[٣٤٢] على هذا القياس .

لما فلج أحمد بن أبي دؤاد وكسر[٣٤٣] لسانه ، قال فيه أبو السمط :

ماضر أحمد من كسر اللسان وقد أضحت إليه أمور الناس يمضيها[٣٤٤]
موسى بن عمران لم ينقص نبوته كسر اللسان لأحكام يقضيها
بل كان أدى على عيّ بمنطقه رسائل الله بالآيات يبديها
لسان أحمد سيف مسه طبع[٣٤٥] من علة وشفاء الله جاليها

(٣٣٥) الأبيات في ثمار القلوب ٣٩ وفي ديوان ابن الرومي ٢ / ٧١ (ط محمد شريف سليم) من قصيدة طويلة قالها في إسماعيل بن بلبل ومطلعها :

عقيد الندى أطلق مدائح جمة حبائس عندي قد أبى أن تسرحا

(٣٣٦) تضحضح : أي ترقرق . الصحاح (ضحح) والبيت إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ﴾ البقرة : ٦٠ .

(٣٣٧) في الأصل : « كهلك التي ابدت قرى يابسا » والبيت إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ﴾ البقرة : ٧٤ .

(٣٣٨) في الأصل : « لو لم يفترع الا هذ المعنى الذكر » .

(٣٣٩) زيادة ليست في الأصل .

(٣٤٠) انبجس : أي انفجر .

(٣٤١) في الأصل : « نخيلا » .

(٣٤٢) في الأصل : « يجوز » .

(٣٤٣) في الأصل : « احمد بن داود بكسر » وقد ذكر الثعالبي في كتاب ثمار القلوب ، ص ١٦٣ ، أن فالج أحمد بن أبي داود ضرب به المثل لأنه كان قاضي قضاة المعتصم ، والواثق وكان من الشرف والكرم بالمنزلة العالية ، وكان مصروف الهمة إلى استعباد الأحرار وغرضا لمدائح الشعراء ولما أصابته عين الكمال فلج فصار فالجه مثلا في أدواء الأشراف وعاهاتهم .

(٣٤٤) يمضيها : أي ينفذها ، لسان العرب (مضا) .

(٣٤٥) الطبع : الصدأ ، الصحاح (طبع) .

قيل لأبي العيناء : ماتقول فى مالك بن طوق[٣٤٦] ؟ قال : لو كان في زمان بني إسرائيل ونزلت آية البقرة ما ذبحوا غيره[٣٤٧] .

لما شكا أبو العيناء إلى عبيد الله بن سليمان[٣٤٨] اختلال حاله ، لتأخر أرزاقه قال له : ألم نكن[٣٤٩] كتبنا إلى ابن المدبر[٣٥٠] فما فعل فى أمرك شيئاً ؟ قال : نعم ، كتبت إلى رجل قد قصر من همته طول الفقر ، وذل الأسر[٣٥١] ومعاناة محن الدهر فأخفقت[٣٥٢] ، وما ألححت . فقال : أنت اخترته يا أبا العيناء . قال : وما علي[٣٥٣] قد اختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا أكان منهم رجل رشيد ![٣٥٤] فأخذتهم الرجفة . وقد اختار النبى ﷺ ابن أبى[٣٥٥] سرح كاتبا فلحق بالمشركين مرتدا واختار على رضى

---

(٣٤٦) فى الأصل : « ملك البرطوق » وهو تحريف النسخ ومالك هد هو مالك بن طوق بن عتاب التغلبى يكنى أبا كلثوم أمير من أشراف الفرسان والأجواد كان فصيحا وله شعر توفى نحو ٢٩٥ هـ انظر : الأعلام ٦ / ١٣٧ .

(٣٤٧) الخبر فى وفيات الأعيان ٣ / ٤٦٦ ، زهر الآداب ١ / ٢٨٤ ، وذيل زهر الآداب ٢٣٤ وفيه : لو كان فى زمن بنى إسرائيل ونزل ذبح البقرة ما ذبح غيره . قيل فأخوه عمر ؟ قال : ﴿ **كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا** ﴾ .

(٣٤٨) فى الأصل : « عبيد الله بن سلمان » وهو تحريف . ويعرف بابن وهب يكنى أبا القاسم وزير من أكابر الكتاب استوزره المعتمد العباسى والمعتضد واستمرت وزارته عشر سنين توفى نحو ٢٨٨ هـ انظر : فوات الوفيات ٢ / ٢٧ . والخبر فى زهر الآداب ١ / ٢٨٦ ووفيات الأعيان ٤ / ٣٤٤ ، أخبار الأذكياء : ٨٨ ، أخبار الظراف ٧٣ ، معجم الشعراء ٧ / ٦١ .

(٣٤٩) فى وفيات الأعيان ٣ / ٤٦٦ : أليس قد كتبت إلى إبراهيم بن المدبر .

(٣٥٠) فى الأصل : « ابن المدنى » وهو تحريف وابن المدبر هو إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر وزير من الكتاب المترسلين الشعراء استوزره المعتمد لما خرج من سامراء يريد مصر سنة ٢٦٩ هـ توفى ببغداد نحو ٢٧٩ هـ . إرشاد الأريب ١ / ٢٩٣ — ٢٩٤ .

(٣٥١) علق ابن خلكان على الخبر بأن أبا العيناء إنما ذكر ذل الأسر لأن إبراهيم المذكور كان قد أسره على بن محمد صاحب الزنج بالبصرة ، وسجنه فنقب السجن وهرب . وفيات الأعيان ٣ / ٤٦٦ .

(٣٥٢) فى زهر الآداب ١ / ٨٦ : فأخفقته منى طلبتى ، وفى وفيات الأعيان ٣ / ٤٦٦ : فأخفق سعيى وخابت طلبتى .

(٣٥٣) فى وفيات الأعيان : فقال : وما علىّ أيها الوزير فى ذلك وقد اختار النبى ﷺ عبد الله بن أبى سرح كاتبا فرجع إلى المشركين .

(٣٥٤) اقتباس من قوله تعالى فى سورة الأعراف : ١٥٥ ﴿ **واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى** ﴾ .

(٣٥٥) ابن أبى سرح : هو عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، أسلم قبل الفتح ، واستكتبه النبى ﷺ . وكان يكتب موضع الغفور الرحيم العزيز الحكيم وأشباه ذلك ، فأطلع عليه النبى فهرب إلى مكة مرتدا فأهدر النبى دمه ثم =

الله عنه أبا موسى الأشعري حاكماً فحكم عليه .

ورئى[٣٥٦] بعض الظرفاء يسير[٣٥٧] فى قرية ، فقيل له[٣٥٨] : ما تصنع ؟ فقال : ما صنع موسى والخضر ، يعني قوله تعالى : ﴿ **حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها** ﴾[٣٥٩] .

فصـــــل

فى قصة داود عليه السلام

لما خطب زياد خطبته البتراء[٣٦٠] فاستحسنها السامعون . قام إليه رجل وقال[٣٦١] : أشهد أيها الأمير ، أنك قد أوتيت الحكمة وفصل[٣٦٢] الخطاب . فقال له : كذبت ، ذلك داود عليه السلام .

سئل أبو قرة الهاشمي[٣٦٣] بين يدى المأمون عن خصمين اختلفا يجوز أن يكون كلاهما محقين فقال : لا ، قيل[٣٦٤] : فإن[٣٦٥] أحدهما مدعٍ للباطل لا محالة . قال : بلى . قيل : أليس قد اختصم علي والعباس إلى أبي بكر فى ميراث النبي ﷺ فمن كان المخطىء منهما ، ومن المحق[٣٦٦] . فقال أبو قرة : لا أزعم أن واحدا منهما كان مخطئاً ، وأقول إنهما في ذلك مثل جبريل وميكائيل حين دخلا على داود عليه السلام فقالا : ﴿ **خصمان بغى[٣٦٧] بعضنا على بعض** ﴾[٣٦٨] وما كانا[٣٦٩] مخطئين ، لأنهما

= أسلم وحسن إسلامه ، وولى مصر سنة ٢٤ هـ فأقام عليها إلى أن حصر عثمان ومات بالشام . التنبيه والأشراف : ٢٤٦ ، زهر الآداب ١ / ٣٤٤ .

(٣٥٦) فى الأصل : « وروى » .

(٣٥٧) فى الأصل : « يسيل » .

(٣٥٨) فى الأصل : « فقيل لها » .

(٣٥٩) الكهف : ٧٧ .

(٣٦٠) ذكر الجاحظ فى البيان والتبيين ٢ / ٦١ : أن زيادا قدم البصرة واليا لمعاوية ابن أبى سفيان فخطب خطبة بتراء لم يحمد الله فيها ولم يصل على النبي ﷺ بل قال الحمد لله على أفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه ، اللهم كما زدتنا نعما فألهمنا شكرا .

(٣٦١) فى البيان والتبيين ٢ / ٦٥ : أن الذى قام لزياد وقال القول المذكور هو عبيد الله بن الأهتم ، وفى ذيل الآمالى ١٨٥ أنه صفوان بن الأهتم .

(٣٦٢) إشارة إلى قوله تعالى فى نبى الله داود : ﴿ وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾ ص : ٢٠ .

(٣٦٣) ذكره الجاحظ فى البيان والتبيين ٢ / ١٠٤ .

(٣٦٤) فى الأصل : « قل » .

(٣٦٥) فى الأصل : « فليس .. مدعيا » .

(٣٦٦) فى الأصل : « المحب » .

(٣٦٧) فى الأصل : « بغوا » .

(٣٦٨) ص : ٢٢ .

(٣٦٩) فى الأصل : « يكونا » .

يعلمان(٣٧٠) داود ظلمه وأنه نقل ما ليس له .

ولما باع البحتري غلامه(٣٧١) نسيما من(٣٧٢) إبراهيم بن الحسن بن سهل(٣٧٣) ، ثم ندم على بيعه وسأله الإقالة(٣٧٤) فلم يفعل كتب له قصيدة منها :

أبا الفضل في تسع وتسعين نعجة غنى لك عن ظبي بساحتنا فرد(٣٧٥)
أتأخذه مني وقد أخذ الجوى مآخذه مما أسر وما أبدى(٣٧٦)

فصـــــــل

فى قصة سليمان عليه السلام

قال بعض العلماء : العلم آلة يرتفع بها الصغير على الكبير ، والمملوك على المالك . ألا ترى الهدهد وهو (من)(٣٧٧) محقرات الطير(٣٧٨) قال لسليمان(٣٧٩) وهو الذي أقل ملكا(٣٨٠) لا ينبغى لأحد من بعده : ﴿ **أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين** ﴾(٣٨١) .

قيل فى قوله تعالى : ﴿ **لأعذبنه عذاباً شديدا** ﴾(٣٨٢) أي لأفرق بينه وبين إلفه .

قال أبو الشيص فى جارية(٣٨٣) يقال لها هدهد(٣٨٤) :

---

(٣٧٠) فى الأصل : « يعلما » . (٣٧١) فى الأصل : « غلاما » .
(٣٧٢) كذا فى الأصل وهي زيادة لا موجب لها والصواب أن تكون لإبراهيم .
(٣٧٣) إبراهيم بن الحسن بن سهل ذكره الصولى فى أخبار البحترى وذكر أن البحترى باعه غلامه نسيما وأنه كان أصدق الناس للبحترى ، انظر : أخبار البحترى : ١٢٧ .
(٣٧٤) الإقالة : الفسخ فى البيع يقال أقلته البيع إقالة إذا فسخته . انظر : الصحاح ، لسان العرب (قيل) .
(٣٧٥) البيتان فى ديوان البحترى ١ / ٥٣ من قصيدة مطلعها :

دعا عبرتى تجرى على الجور والقصد أظن نسيما قارف الهجر من بعدى

(٣٧٦) فى الأصل : « فيما استسر وابدى » . (٣٧٧) زيادة ليست فى الأصل .
(٣٧٨) فى الأصل : « الطين » والراجح أنه من محقرات الطير .
(٣٧٩) فى الأصل : « سلمان » .
(٣٨٠) فى الأصل : « مكاً » وهو تحريف فى النسخ وفيه إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب** ﴾ ص : ٣٥ .
(٣٨١) النمل : ٢٢ . (٣٨٢) نفسها : ٢١ .
(٣٨٣) فى الأصل : « جارته » .
(٣٨٤) الأبيات فى أشعار أبى الشيص : ٦٩ ، نثار الأزهار : ٨٥

لا تأمنن على سري وسركم	غيرى وغيرك أو طي القراطيس
أو طائراً سأحليه وأنعته	مازال[٣٨٥]صاحب تدبير وتحسيس[٣٨٦]
سود براثنه ميل ذوائبه	صفر حمالقه في الحسن مغموس[٣٨٧]
قد[٣٨٨] قد كان هم سليمان ليذبحه	لولا سعايته في ملك بلقيس

لما سار عبد الله بن طاهر[٣٨٩] إلى مصر لمحاربة (عبيد الله بن السري)[٣٩٠] المتغلب عليها منعه ابن السري[٣٩١] (من)[٣٩٢] دخولها . ثم بعث إليه ليلاً بألف وصيف[٣٩٣] ووصيفة ، مع كل واحد وواحدة ألف دينار في كيس حرير فأمر بردها . وقال للرسول[٣٩٤] : قل لمرسلك : **﴿ أتمدونن بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون . ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ﴾**[٣٩٥] فلما أبلغه الرسول ذلك طلب الأمان فأمنه على نفسه ، وأهله وماله ، ففعل . وكتب إليه :

---

(٣٨٥) فى الأصل : « ماء الصاحب » وهو تحريف ، وفى أشعار أبى الشيص ما زال صاحب تنقير وتأسيس ، وتحسس من تحسست الشيء إذا تخبرت خبره ، الصحاح (حسس) .

(٣٨٦) فى ثمار الأزهار ٨٥ :

أو طائر ساجليه وابعثه لنا	ما زال صاحب تبين وتأسيس

(٣٨٧) فى الأصل : « صما حماليقه » وهو خطأ فى النسخ والتصويب من ثمار الأزهار : ٨٥ :

سود ترائبه ميل ذوائبه	صفر حماليقه فى الحبر مغموس

(٣٨٨) فى الأصل : « فقد كان » ورواية الشطر الثانى فى ثمار الأزهار : لولا سياسته فى ملك بلقيس .

(٣٨٩) عبد الله بن طاهر كان واليا على الدينور ، ثم على خراسان ثم الشام ومصر ، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه ، توفى نحو ٢٢٨ أو ٢٣٠ هـ بمرو ، انظر وفيات الأعيان ٢ / ٢٧١ .

(٣٩٠) فى الأصل : « عبد الله بن اليسرى » والصواب ما أثبتناه وعبيد الله بن السرى كان قد خرج على الخلافة العباسية وجمع جموعا من أهل الأندلس وتغلبوا على الإسكندرية وسار إليه عبد الله بن طاهر وقضى على حركته .
انظر : الكامل ابن الأثير ٦ / ٣٩٧ ، ط صادر .

(٣٩١) فى الأصل : « ابن اليسرى » .

(٣٩٢) زيادة ليست فى الأصل .

(٣٩٣) فى الكامل : وأنفذ إليه ألف وصيف ووصيفة .

(٣٩٤) فى الكامل ٦ / ٣٩٧ : أنه قال للرسول : أرجع الهدايا وكتب إلى عبد الله بن طاهر لو قبلت هديتك نهارا لقبلتها ليلا **﴿ بل أنتم بهديتكم تفرحون . ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ﴾** قال : فحينئذ طلب الأمان .

(٣٩٥) النمل : ٣٦ ، ٣٧ .

أخـــي أنـــت ومـــولاي	ومـــن أشكـــر نعمـاه
فمـــا أحببـــت من شـــيء	فإنـــي[٣٩٦] الدهـــر أهـــواه
ومـــا[٣٩٧] تكـــره من شـــيء	فإنـــي لســـت أرضـــاه
لـــك اللّـــه عـــلى ذاك	لـــك اللّـــه لـــك اللّـــه

قال الحسن البصري : ما أنعم الله على عبد نعمـــة إلا وعليه منـة سليمان عليه السلام فإن الله تعالى قال له :﴿ **هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب** ﴾[٣٩٨] .

لما هدم الوليد بن عبد الملك كنيسة دمشق كتب إليه ملك الروم : إنك قد هدمت الكنيسة التى رأى أبوك تركها . فإن كان حقاً فقد أخطأ أبوك ، وإن كان باطلاً فقد أخطأت أنت في مخالفته[٣٩٩] .

فكتب إليه :

﴿ **وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . ففهمناها سليمان** ﴾[٤٠٠] .

قال جحظة البرمكي فى الغزل :

يا قريب المزار نائي اللقـــاء	ومريض الجفون من غير داء[٤٠١]
هب لعيني من الكرى قدر مـا	أمهل ذو الجن يوم عرش سبـاء

فصـــــــل

فى قصة يونس عليه السلام

جاء[٤٠٢] رجل إلى مزبّد فقال : أحب أن تخرج معى فى حاجة[٤٠٣] لي . فقال :

---

(٣٩٦) فى الأصل : « فان » .
(٣٩٧) فى الأصل : « ومن » .
(٣٩٨) صٓ : ٣٩ .
(٣٩٩) فى الأصل : « خالفته » .
(٤٠٠) الأنبياء : ٧٨ ، ٧٩ .
(٤٠١) البيتان غير موجودين فى ديوان جحظة « جحظة البرمكى الأديب الشاعر » للدكتور مزهر السودانى المنشور سنة ١٩٧٧ .
(٤٠٢) الخبر فى ثمار القلوب : ٥٢٢ .
(٤٠٣) فى ثمار القلوب : ٥٢٢ : أحب أن تخرج معى وتصل حاجتى فى حاجة لى .

هذا يوم الأربعاء[٤٠٤] ، ولست أبرح من بيتي . فقال له الرجل : وما تكره من يوم الأربعاء وفيه ولد يونس بن متى ؟ فقال : لا جرم ، بانت[٤٠٥] بركته فى اتساع موضعه فى بطن الحوت ، وحسن كسوته من ورق اليقطين[٤٠٦] قال : وفيه ولد يوسف أيضاً . قال : فما أحسن ما فعل به إخوته حتى طال حبسه وغربته . وقال : وفيه أوحى الله تعالى إلى إبراهيم . قال : فكيف رأيت[٤٠٧] ، قال : وفيه نصر رسول الله ﷺ على الأحزاب[٤٠٨] . قال نعم ، ولكن بعد[٤٠٩] ﴿ **وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا** ﴾[٤١٠] .

وقال يوسف بن أبى الساج[٤١١] فى حبس المقتدر :

ولست بهيّاب المنية إذ أتت	ولكنني رهن التأسف والأسى
وإنى لأرجو أن أؤوب مسلماً	كما سلم الرحمن فى اللج يونسا

فصـــــل

فى شأن عيسى عليه السلام

لما قام المستعين أمر عيسى بن فرخنبشاه[٤١٢] أبا على البصير أن يعمل قصيدة فى

---

(٤٠٤) فى ثمار القلوب ٥٢٢ : هذا يوم الأربعاء استثقله ولست أبرح من منزلى .

(٤٠٥) فى الأصل : « ثابت » وفى ثمار القلوب : « وقد بانت بركته فى اتساع موضعه وحسن كسوته حتى وصل على ورق القرع .

(٤٠٦) إشارة إلى قوله تعالى :﴿ فالتقمه الحوت وهو مليم .وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾ الصافات: ١٤٢، ١٤٦ .

(٤٠٧) فى ثمار القلوب : ٥٢٢ : قال فما كان أبرد الأتون الذى أوقدوه له حتى خلصه الله تعالى منه . وقد سقطت هذه العبارة من نص الاقتباس .

(٤٠٨) فى ثمار القلوب : « يوم الأحزاب » .

(٤٠٩) فى الأصل : « بمر » .

(٤١٠) الأحزاب : ١٠ ، ١١ ، وبعدهما فى ثمار القلوب فهذا يوم الأربعاء عائة ، وأما الأربعاء التى لا تدور فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما فيما رواه النبى ﷺ أنه قال : « آخر أربعاء من الشهر نحس مستمر » .

(٤١١) فى الأصل : « السياح » والصواب ما أثبتناه وهو أمير من كبار قواد الدولة العباسية قلده المقتدر نواحى المشرق سنة ٣١٤ هـ . قتل سنة ٣١٥ هـ انظر الكامل فى التاريخ : حوادث سنة ٣١٥ هـ .

(٤١٢) كذا فى الأصل : « بن فرخا » وفى الطبرى : عيسى بن فرخنشاه وهو الذى ولاه الخليفة المستعين ديوان الخراج بعد قتل أوتامش وعزل الفضل بن مروان ، وأثبته المسعودى فى مروج الذهب ٧٠ عيسى بن فرخنشاه .

المستعين يحرضه بها على عقد البيعة[٤١٣] لابنه العباس فقال قصيدة منها[٤١٤] :

بك الله حاط[٤١٥] الدين واحتاط أهله
من الموقف الدحض الذى مثله يردى
فول ابنك العباس عهدك إنه
له موضع واكتب إلى الناس بالعهد
فإن خلفته[٤١٦] السنّ فالعقل بالغ
به رتبة الشيخ الموفق للرشد
فقد[٤١٧] كان يحيى أوتى الحكم مثله
صبياً وعيسى كلم الناس فى المهد

فلما عرضت على المستعين قال : لا برأني الله[٤١٨] وأنا أجعل العهد إلى من لعل الناس يحتاجون إليه فى الوقت فلا يطيق القيام بأمورهم ، ولكن إن عشنا وكبر قليلاً فعلت ذلك إن شاء الله .

كتب قيصر إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

أما بعد فإن رسلى أخبرونى أن عندكم شجراً تحمل مثل أذواب[٤١٩] الحمر ثم ينفلق عن مثل اللؤلؤ الأبيض ، ثم يصير كالزمرد الأخضر ثم يصير كالياقوت الأحمر ، ثم ينضج كالعسل فيكون عصمة للمقيم ، وزاداً للمسافر ، فلئن صدقوا : إن هذه من شجر[٤٢٠] الجنة .

فكتب إليه عمر :

أما بعد فإن رسلك صدقوك ، هي شجرة عندنا يقال لها النخلة ، وهي التى أنبتها الله ، ولا تتخذ عيسى إلها من دون الله فإن الله مثّل عيسى كمثل آدم : خلقه من تراب ،

---

(٤١٣) فى الأصل : « العينة » .
(٤١٤) الأبيات فى مروج الذهب ٤ / ٧٠ وهى فى أشعار أبى على البصير ، المورد العددان الثالث والرابع ١٩٧٢ .
(٤١٥) فى الأصل : « حفظ » وهو تحريف ، والصواب : (حاط) وكذلك رواية المسعودى .
(٤١٦) فى الأصل : « فلقته » .
(٤١٧) وفى مروج الذهب : « لقد » .
(٤١٨) فى الأصل : « ترانى » .
(٤١٩) فى الأصل : « اذاب » والأذواب والأذوابة ما فى أبيات النحل من العسل ، انظر : الصحاح ، لسان العرب مادة (ذوب) .
(٤٢٠) فى الأصل : « شجرة » .

ثم قال له : كن فيكون .

أنشد ابن خالويه[٤٢١] :

ألـم تـر أن الـلـه قـال لمـريم	وهزى إليك النخل يساقط الرطب[٤٢٢]
ولو شـاء أن تجنيه من غيـر هزهـا	جنته ، ولكن كل شيء له سبب[٤٢٣]

وقال أبو بكر الخوارزمي[٤٢٤] من قصيدة[٤٢٥] :

وما كـنت فـى تركيك إلا كـتارك	طهـوراً وراض بعده بـالتيـمم[٤٢٦]
وذى خلة[٤٢٧] يأتى عليلاً ليشتفى	به وهـو جـار للمسـيح ابن مـريم

---

(٤٢١) ابن خالويه : هو الحسين بن أحمد بن خالويه ، يكنى أبا عبد الله لغوى نحوى مشهور كانت له مع المتنبى مجالس ومباحث عهد إليه سيف الدولة بتربية أولاده توفى نحو ٣٧٠ هـ ، نزهة الألباء : ٢١٤ ، لسان الميزان ٢ / ٢٦٧ ، غاية النهاية ١ / ٢٣٧ .

(٤٢٢) البيتان فى ثمار القلوب ٤٧٠ قبله فى احسن ما سمعت : ٣١ : توكل على الرحمن فى طلب العلا .

توكـل على الرحمن فى طـلب العلا ودع عنك قول الناس فى تركك الطلب

وفى البيت إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ﴾ مريم : ٢٥ .

(٤٢٣) روايته فى ثمار القلوب ٤٧٠ :

ولو شاء أن تجنيه من غير هزة جنته ولكن كل رزق له سبب

(٤٢٤) أبو بكر الخوارزمى : محمد بن العباس ، أحد الشعراء العلماء المترسلين ولد سنة ٣٢٣ توفى سنة ٣٨٣ هـ . انظر أخباره فى يتيمة الدهر ٤ / ١٩٤ فما بعدها .

(٤٢٥) البيت من قصيدة طويلة فى اليتيمة ٤ / ٢٠٥ وهما فى ثمار القلوب : ٦٠ ، أحسن ما سمعت : ٢٦ .

(٤٢٦) روايته فى ثمار القلوب ٤٧ :

وقد كنت فى تركيك لى مثل تارك طهورا وراض بعده بالتيمم

وفى البيت إشارة إلى الآية ٥٩ من سورة آل عمران .

(٤٢٧) كذا فى الأصل ، وفى ثمار القلوب ، وكذلك أحسن ما سمعت : ٣١ وذى علة وهى الرواية التى نرجحها لأن (خلة) على الأرجح محرفة عن علة التى يقتضيها سياق الكلام . وبعد البيت الأول فى ثمار القلوب :

وراوى كلام يقتفى أثر باقل ويترك قسا جانبا وابن أهتم

وقال أيضا لأبي أحمد الحسين بن المتكافي :

يقولون سعر البُر(428) يخشى ارتفاعه ... وإن خانت الأيام عهدًا فربما
فقلت سواء(429) رخصه وغلاؤه ... إذا عاش لى الشيخ الحسين مسلما
وكيف(430) أبالى بالطبيب وبالرقى ... إذا كنت جارًا للمسيح ابن مريما

فصـــــل
فى قصص لهم عليهم السلام

قال بعض السلف : إن الله تعالى يحتج بأربعة على أربع ، يحتج بسليمان على الأغنياء وعلى العبيد بيوسف وعلى المرضى بأيوب ، وعلى الفقراء بالمسيح عليهم السلام .

لما هم المنصور بهدم دور المدينة ، وإحراق نخلها عند خروج إبراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن . فقال له جعفر بن محمد : يا أمير المؤمنين إن سليمان أعطي فشكر ، وإن أيوب ابتلي فصبر ، وإن يوسف قدر فغفر . فاقتد بمن شئت منهم . فقال : حسبك ، ونقض عزمه(431) .

---

(428) البر : جمع برة من القمح . اللسان ، الصحاح (برر) .

(429) فى الأصل : « سوا رخصه وغلاه » .

(430) فى الأصل : « وليف » والرق والتمام .

(431) الخبر فى الأمالى ابن الشجرى : 277 وفيه قول عن أبى الفضل بن الربيع وهو : أن المنصور لما قدم المدينة قال ابعث إلى جعفر بن محمد العلوى — يعنى الصادق — ومن يأتينى بفتى قال : فأمسكت عنه لكى ينساه قال ألم آمرك أن تبعث إلى جعفر بن محمد العلوى وأن تأتينى بفتى قتلنى الله إن لم اقتله ، فأمسكت عنه لكى ينساه فقال لى الثالثة واغلظ لى : ألم آمرك أن تبعث إلى جعفر بن محمد العلوى بفتى قتلنى الله إن لم اقتله ، فبعثت إليه فجاء ، فدخلت عليه ، فقلت : يا أمير المؤمنين جعفر بن محمد بالباب فأذن له فدخل فلما دخل قال جعفر : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال له أبو جعفر : لا سلام عليك يا عدو الله تلحد فى سلطانى وتبغى الغوائل فى ملكى قتلنى الله إن لم أقتلك فقال له جعفر : يا أمير المؤمنين إن سليمان بن داود أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف ظلم فغفر وأنت الصالح . فأطرق طويلا فمد يده فصافحه حتى أجلسه على مفرشه . . .

لما قال المتوكل لأبي العيناء[٤٣٢] : إلى كم تمدح الناس ، وتذمهم ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، ما أحسنوا ، وأساءوا . وهذه آيات تعلمتها من الله تعالى فإن رضي عن عبد مدحه ، وأطراه ، و (إن) سخط على آخر شتمه وزناه[٤٣٣] .

قال : وكيف ؟ قال:قال : فى أيوب ﴿ **نعم العبد إنه أواب** ﴾[٤٣٤] . وفى الوليد ابن المغيرة[٤٣٥] ﴿ **عتل بعد ذلك زنيم** ﴾[٤٣٦] والزنيم الملحق بالقوم وليس منهم .

لبعض العرب :

لها حكم لقمان وصورة يوسف	**ومنطق داود وعفة مريم[٤٣٧]**
ولي سقم أيوب وغربة يونس	**وأحزان يعقوب ووحشة آدم**

فصل

فى قصص القرآن

قال ابن السماك[٤٣٨] :

طلبت المال ففكرت فى قارون ، ثم طلبت الرئاسة ففكرت فى فرعون ، ثم طلبت الجلادة[٤٣٩] ففكرت فى عاد ، ثم طلبت الزهد ففكرت في بلعم بن باعور[٤٤٠] ثم ما رأيت شيئاً يقرب إلى الله تعالى كقلب ورع ، ولسان صادق ، وبدن صابر .

(٤٣٢) الخبر فى الديارات ٥٨ ، الأمالى للمرتضى ١ / ٢٩٩ زهر الآداب ١ / ٢٨١ ، ذيل زهر الآداب ٣٣٢ ، مروج الذهب ٤ / ١٤٧ ، وفيات الأعيان ٤ / ٣٤٥ ، نور القبس ٢ / ٣٨٨ مع اختلاف فى ألفاظه .

(٤٣٣) فى الأصل : « فشتمه » وهو إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **ولا تطع كل حلاف مهين . هماز مشاء بنميم . مناع للخير معتد أثيم . عتل بعد ذلك زنيم** ﴾ القلم : ١٠- ١٣ .

(٤٣٤) ص : ٤٤ .

(٤٣٥) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم من زعماء قريش وألدّ أعداء الإسلام فى بدء الدعوة الإسلامية . وهو الذى نزلت فيه الآية الكريمة المذكورة أعلاه . جمهرة أنساب العرب : ١٤٤ ، ١٤٧ .

(٤٣٦) فى الأصل : « زيم » والآية من سورة القلم : ١٣ .

(٤٣٧) النص فى ثمار القلوب ٤٤ وفيه ٠ « ونغمة داود وعفة مريم » .

(٤٣٨) ابن السماك هو أبو العباس محمد بن صبيح مولى بنى عجل الكوفى الزاهد المشهور كان حسن الكلام ، وصاحب مواعظ ، لقى جماعة من الصدر الأول توفى بالكوفة سنة ١٨٣ هـ . الكنى والألقاب ١ / ٣١١ .

(٤٣٩) الجلادة : الصلابة والبأس .

(٤٤٠) فى الأصل : « ناعور » والصواب بلعم بن باعور ، وهو رجل يذكر فى قصة موسى عليه السلام ، ويذكر بأنه كان رجلا قد آتاه علما ، ثم جحد بنعمة ربه . انظر : تاريخ الطبرى ١ / ٢٢٦ .

لما أراد عمر بن عبد العزيز نفي الفرزدق لفسق ظهر عليه منه أجله ثلاثا .
فقال الفرزدق :

أتنهرني وتوعدني ثلاثا كما وعدت لمهلكها ثمود[441]

فبلغ ذلك الخبر جريرا[442] فشمت به وقال :

وسميت نفسك أشقى ثمود[443] فقالوا : هلكت ولم تبعد[444]
وقد أجلوا[445] حين حل العذاب ثلاث ليال إلى الموعد

قيل للربيع بن خثيم فى مرضه : ألا ندعو لك طبيباً فقرأ : ﴿ **وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا** ﴾[446] وقد كان فيهم أطباء ، فما المداوي بقي ولا المداوى ، هلك الباعث والمبعوث .

(٤٤١) روايته فى ديوان الفرزدق ١ / ١٨٤ :

وتوعدنى فأجلنى ثلاثا كما وعدت لمهلكها ثمود

وفى البيت إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ﴾ هود : ٦٥ .
(٤٤٢) فى الأصل : « حرير » .
(٤٤٣) أشقى ثمود عاقر الناقة الذى ذكر فى قوله تعالى : ﴿ إذ انبعث أشقاها ﴾ الشمس : ١٢ .
(٤٤٤) فى الأصل : « وشمت »وروايته فى الديوان ١ / ١٢٨ :

وشبهت نفسك أشقى ثمود فقالوا ضللت ولم تهتد

(٤٤٥) فى الأصل : « وقد أخلو » . (٤٤٦) الفرقان : ٣٨ .

الباب السادس

فى

فضل العلم والعلماء ، وفقر من محاسن انتزاعاتهم ولطائف من استنباطاتهم

الباب السادس

فى فضل العلم والعلماء ومحاسن ابتداعاتهم ولطائف من استنباطاتهم

فصـــــل

فى فضائل العلم والعلماء

من فضائل العلم أن شهادة أهله مقرونة بشهادة (الله)[1] والملائكة في قوله تعالى : ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم** ﴾[2] .

وأولى الناس بالإجلال فى الإعظام العلماء ، لأنهم ورثة الأنبياء ، ومن رفع الله درجاتهم فقال : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾[3] .
وذكرهم تعالى فى علم التأويل مع نفسه فقال : ﴿ **وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم** ﴾[4] .

وأخبر أن الأمثال التي يضربها للناس لا يعقلها إلا هم فقال : ﴿ **وتلك الأمثال نضربها [للناس] وما يعقلها إلا العالمون** ﴾[5] .

اقتبس عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي[6] قوله :

---

(1) زيادة ليست فى النص يقتضيها السياق .
(2) آل عمران : ١٨ .
(3) المجادلة : ١١ .
(4) آل عمران : ٧ .
(5) العنكبوت : ٤٣ ، وفى الأصل : « وما يعلمها وبعد الآية زيادة من خطأ النساخ وهى والذين لا يعلمون .
(6) عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثى شاعر مشهور كان ينحى فى شعره منحى الأعراب . له قصيدة عرفت بالعجيبة ، وهو أحد من نسخ شعره بماء الذهب . انظر : طبقات الشعراء : ٢٧٦ جمع شعره زكى ذاكر العانى سنة ١٩٨٠ .

سلي إن جهلت الناس عنا وعنكم   وليس سواء عالم وجهول[٧]

وقال عز ذكره : ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ﴾[٨] وقال تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾[٩] .

فصـــــل

فى نكت ذكر العلم

قال ابن عباس :

العلم أكثر من أن يحصى ، فخذوا من كل شيء أحسنه .

قتادة[١٠] : لو استغنى عالم عن التعلم مع جلاله مقدارا لاستغنى عن ذلك نجي[١١] الله موسى وقد قال للخضر عليهما السلام : ﴿ هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا ﴾[١٢] .

قال الجاحظ : العلم أبعد سبباً ، وأوسع بحرا من أن يبلغ غايته أحد ولو عمر عمر نوح[١٣] . قال الله تعالى : ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾[١٤] .

وقال بعضهم :

من استكثر[١٥] شيئا من علمه أو ظن أن العلم غاية فقد بخس العلم ، لأن الله تعالى يقول ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾[١٦] .

---

(٧) البيت ليس لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثى بل هو للسموأل بن عاديا اليهودى من قصيدة مطلعها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه   فكل رداء يرتديـــه جميـــل

انظر : ديوان السموأل ص ٩٢ والبيت من شواهد النحو حيث قدم خبر ليس على اسمها . ورواية الشطر الثانى منه : فليس سواء . . وروى منسوبا للحارثى فى مجموع شعره ص ٩٠ نقلا عن شرح حماسة أبى تمام للمرزوقى ١ / ١١٠ .

(٨) الرعد : ١٩ .   (٩) فاطر : ٢٨ .

(١٠) قتادة بن دعامة بن كريز السدوسى يكنى أبا الخطاب مات سنة سبع عشرة ومائة . انظر : الطبقات : ٢١٣ ، وفيات الأعيان ٣ / ٢٤٨ .

(١١) فى الأصل « يحيى » .   (١٢) الكهف : ٦٦ .

(١٣) فى الأصل « عمر سفينة » وهى زيادة من النساخ لأن الذى عمر هو نوح وليس سفينته .

(١٤) يوسف : ٧٦ .   (١٥) فى الأصل : « استكبر » .

(١٦) الإسراء : ٨٥ .

فصـــــل

فى أمثال تدخل فى ذكر العلم

قالت الأوائل : من جهل شيئا عاداه .

وفى القـرآن : ﴿ ولاتقـفُ مالـيس لك به علـم ﴾[17] ﴿ وإذ لم يهتـدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ﴾[18] وقـالت العـرب : لا تهرف[19] بمالا تعـرف . وفى القرآن : ﴿ ولا تقف ماليس لك به علم ﴾[20] .

وقال الشاعر :

تمام العمى طول السكوت وإنما   شفاء العمى يوما سؤالك من يدرى[21]

وفى القرآن : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾[22] .

العامة : مامن ظلمة إلا وفوقها طامة[23] .

فصـــــل

فى فقر تناسب هذا الباب

قال سفيان الثورى : الكاتب : العالم ، واحتج بقوله تعالى : ﴿ أم عندهم الغيب فهم يكتبون ﴾[24] أى يعلمون .

---

(١٧) الإسراء : ٣٦ .

(١٨) الأحقاف : ١١ ، وفى الأصل: « يهتدوا » .

(١٩) فى الصحاح : (هرف) الهرف الإطناب فى المدح والثناء على الشيء إعجابا به يقال : لا تهرف بما لا تعرف .

(٢٠) الإسراء : ٣٦ .

(٢١) فى الأصل : « شفا العمى يوما سوالك من يدرى » .

(٢٢) الأنبياء : ٧ .

(٢٣) جاء فى الصحاح مادة (طمم) : كل شيء كثر حتى علا وغلب فقد طمَّ يطم يقال فوق كل ذى طامة طامة . ومنه سميت القيامة طامة .

(٢٤) الطور : ٤١ .

قال المبرد[٢٥] : تكلمت يوما بين يدى جعفر بن القاسم الهاشمي ، وأنا حدث فاستحسن ماجئت به . وقال : أنت اليوم عالم ، ولا تظن قولي لك : أنت اليوم عالم أعني به أنك لم تكن عندي قبل ذلك ، إن الله تعالى يقول : ﴿ **والأمر يومئذ لله** ﴾[٢٦] . وقد كان له الأمر قبل ذلك اليوم .

ولما أراد المنصور أن يضم بعض العلماء إلى المهدى ، وصف له سليمان بن الحسن الواسطي فاستدعاه ، وقر به . ثم قال له : أعالم[٢٧] أنت ؟ فسكت ، ولم يجبه . فقال : ما لك لا تتكلم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إن قلت أنا عالم كنت قد زكيت نفسى . وقد نهى الله عن ذلك فقال : ﴿ **فلا تزكوا أنفسكم** ﴾[٢٨] . وإن قلت لست بعالم وقد قرأت القرآن كنت حقرت ما عظم الله . فأعجب به ، وضمه إلى المهدي .

فصـــــل
فى التعليـــــم

عُير[٢٩] أبو زيد البلخي[٣٠] بأنه معلم ، فكتب رسالة حسنة فى فضل التعليم يقول فيها :

وليس يستغنى أحد عن التعليم والتعلم ، لأن الحاجة تضطره[٣١] إليها فى جميع الديانات ، والصناعات ، والآداب ، والأنساب ، والمذاهب ، والمكاسب فما يستغني كاتب ولا حاسب ، ولا صانع ، ولا أحد من كل مكسب ومذهب من أن يتعلم صناعته ممن هو أعلم منه ، ويعلمها لمن هو أجهل[٣٢] منه . وقوام الخلق بالعلم والتعليم . والمعلم أفضل من المتعلم ، لأن صفة العلم دالة على التمام والإفادة . والمتعلم صفة دالة

---

(٢٥) المبرد هو أبو العباس محمد بن يزيد عالم فى اللغة والأدب أخذ عن أبى عمر الجرمي وأبى عثمان المازنى وأبى حاتم السجستانى وغيرهم . ولد سنة ٢١١ ، توفى سنة ٢٨٥ هـ . انظر : نزهة الألباء : ١٤٨ فما بعدها .

(٢٦) الانفطار : ١٩ .

(٢٧) فى الأصل : « اعلم » .

(٢٨) النجم : ٣٢ .

(٢٩) فى الأصل : « غير » .

(٣٠) أبو زيد البلخى هو أحمد بن سهل . ولد فى بلخ نحو ٢٣٥ وتوفى نحو سنة ٣٢٢ هـ عرضت عليه الوزارة فرفضها . كان معلما للصبيان ثم رفعه العلم إلى رتبة علية فكان يجمع بين العلوم القديمة والحديثة ، ويسلك فى مؤلفاته طريق الفلاسفة . الفهرست ٢٠٤ .

(٣١) فى الأصل : « يضطر » .

(٣٢) فى الأصل : « فمن جهل » .

على النقصان والاستفادة . وحسبك جهلا من رجل يعمد إلى فعل قد وصف به الخالق نفسه ، ثم رسوله عليه السلام ، فيذمه[٣٣] . وقد قال الله تعالى ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها** ﴾[٣٤] . وقال تعالى : ﴿ **وعلمناه من لدنا علما** ﴾[٣٥]. وقال فى وصف نبيه عليه السلام : ﴿ **ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** ﴾[٣٦] .

فصل
فى ذم علم الأنساب

قال بعض العلماء : كيف يدعي مخلوق علم الأنساب كلها ، والله تعالى يقول : ﴿ **وعادا وثمود [وأصحاب الرس] وقرونا بين ذلك كثيرا** ﴾[٣٧] . ثم قال : ﴿ **والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله** ﴾[٣٨] . وقال تعالى : ﴿ **ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك** ﴾[٣٩] .

وقال النبى صلوات الله عليه : كذب النسابون ثلاث مرات .

وكان ينسب إلى معد بن عدنان ، وينسب أولاد قحطان . ثم يمسك ويقول : أضلت مضر أنسابها ، ماخلف معد[٤٠] ، ماخلف قحطان .

فصل
فى النهي عن كتمان العلم

قال الله تعالى : ﴿ **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** ﴾ (٤١) .

---

(٣٣) فى الأصل : « فيزمته » .
(٣٤) البقرة : ٣١ .
(٣٥) الكهف : ٦٥ .
(٣٦) البقرة : ١٥١ .
(٣٧) الفرقان : ٣٨ وما بين المعضادتين سقط من أصل المخطوط . وفى الأصل تحريف : « وعادا وثمودا وأصحاب » .
(٣٨) إبراهيم : ٩ والآية جاءت بعد قوله تعالى : ﴿ قوم نوح وعاد وثمود ﴾ .
(٣٩) النساء : ١٦٤ .
(٤٠) فى الأصل : « معد واليمن » .
(٤١) التوبة : ١٢٢ .

فصـــل
فى ذكر الفقه والفقهاء

قال أبو زيد البلخي :

الفقه من أجل صناعات الدين ، وذلك بسبب ما يلزم أهله من التفقه في فروع[٤٢] الدين إذ كان الله قد أكمل أصوله فى كتابه وعلى لسان رسوله كما قال الله تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي** ﴾[٤٣] وقد علم أن هذا الكمال إنما اشترط للدين من جهة أصوله لوقوعها جميعا في ضمن كتاب الله ، وسنن رسوله المشهورة . فأما إكماله من جهة فروعه فأمر لم يكن يتصور فى العقول مكانه بسبب النوازل الجارية[٤٤] ، والحوادث الزمانية إذ كانت تخرج إلى مالا نهاية له غير موجود لسبيل الله . فاضطر السلف الأول من أهل الدين لهذا المعنى إلى تفريع الأصول والتفقه كما قال فيها ليريحوا علل العوام فيما تلزمهم الحاجة إليه من أبواب الفتيا كما قال الله تعالى : ﴿ **وما كان [المؤمنون] لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة [منهم طائفة] ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم[٤٥] لعلهم يحذرون** ﴾[٤٦] . فكان الغرض من تفريعهم ما فرعوه عن الأصول المحددة فى كتاب الله ، والسنن المأثورة عن النبى ﷺ أن يجعلوا تلك المسائل المفرعة عدة للحوادث الواقعة . وكان مثلهم فى تقديم العناية التي قدموها بذلك من الأطباء المشفقين على أنفس الناس وأجسادهم باستنباطهم لهم من فنون العلاجات والأدوية[٤٧] . لتكون معدة لمقابلة العلل المخوفة إذا عرضت لها . فحدث بعدهم من طلاب الفقه من جعل غرضه فيما يطلبه منها نيل الرياسة فى العامة ، والحظوة[٤٨] عند الملوك والرؤساء[٤٩] والتسلط على أموال اليتامى والضعفاء مع استعمال الحيل في إبطال حقوقهم والقول بها . فانقلبت الصناعة على جلالة قدرها ، وعلو خطرها من مرتبة الحمد إلى مرتبة الذم باختلاف الغرضين .

---

(٤٢) فى الأصل : « الفروع » . (٤٣) المائدة : ٣ .

(٤٤) فى الأصل : « الجزيه » . والجملة التى تليها مرتبكة المعنى .

(٤٥) فى الأصل : « الى » .

(٤٦) التوبة : ١٢٢ (وما بين العضادتين ساقط من أصل المخطوط) .

(٤٧) فى الأصل : « الاوديه » . (٤٨) فى الأصل : « الخطوة » .

(٤٩) فى الأصل : « اللوسا » .

فصـــــل

فى ذكر الكلام والمتكلمين

قال أبو زيد : صناعة الكلام في غاية الجلال والشرف ، ومن الصناعات المحتاج إليها فى قوام أمور الدنيا إذ كانت صناعة البحث والنظر ، ولا غنى بالناس عن استعمالها في تمييز الحق من الباطل ، والخطأ من الصواب فى جميع ما يعتقدونه . وهي موضوعة بإزاء أصول الدين كما أن صناعة الفقه موضوعة بإزاء فروعه . فكما لا يستغنى عن التفقه في فروع الدين بصناعة الفقه كذلك لا يستغنى في الاستبصار في أصول الدين عن صناعة الكلام التي هي صناعة البحث والنظر . وكان السلف الصالح من أهلها إنما شغلوا أنفسهم باستعمالها ، والإقبال عليها ليصيروا بها متمهرين بالمشاركة بين الملل[٥٠] المختلفة ، والنحل المتغايرة ، ويعرفوا بذلك الفضل الذي يحصل لدين الإسلام على ما سواه من الأديان فيكونوا على يقين من أمرهم على ما يعتقدونه من أصول دينهم[٥١] ، وليكونوا على بصيرة كما اشترط الله على رسوله فى قوله تعالى : ﴿ **قل هذه سبيلى أدعــو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى** ﴾ [٥٢] ، وليقوموا بمجادلة الملحدين الخاطئين على الإسلام إذا قصدوا الإلحاد فيه ، والغض منه ، إذ كان الجهاد مقتسما قسمين : أحدهما الذب عنه باللسان ، والآخر الذب عنه باليد . والذب عنه باللسان أبلغ فى نصره وتأييده فى كثير من الأحوال (والأوقات)[٥٣] وكانوا يتعاطون هذه الصناعة حسبة وابتغاء للقربة إلى الله تعالى ، والزلفة لديه . ثم حدَّث قوم من متعاطيها سلكوا فيها سبيل من تقدم ، بالمباهاة باللدد[٥٤] فى باب الجدال لقطع الخصوم والاستعلاء فى مجالس المناظرة لكى يذكر بالتبريز فيها ، وقلة الاحتفال عند خوف الانقطاع ، ولزوم الحجة بحمل النفس على الدعاوى الشنيعة والاعتلالات المستكرهة ، والشذوذ على الآراء المتلقاة من الجميع بالقبول . فصيروا هذه الصناعة ـــ على (نفاسة)[٥٥] خطرها ، وشدة الحاجة فى قوام أصول الدنيا إليها ـــ واقعة فى حسن الذم ، وصيروا الموسومين بها عرضة ألسن عائبيها ومنقصيها .

---

(٥٠) فى الأصل : « الملك » .

(٥١) فى الأصل : « فيهم » .

(٥٢) يوسف : ١٠٨ .

(٥٣) فى الأصل : « الاقوات » .

(٥٤) اللدد : شدة الخصومة . الصحاح ، لسان العرب (لدد) .

(٥٥) فى الأصل : « حفاسة » .

فصـــــل

في لمع وفقر[٥٦] من استنباطات العلماء
وفقر ، ودرر من انتزاعاتهم

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : من كان (ذا)[٥٧] داء قديم ، فليستوهب امرأته درهماً من مهرها ، وليشتر به عسلاً ، وليشربه بماء السماء ، ليكون قد اجتمع له الهنيء والمريء والشفاء المبارك . يريد قوله تعالى : ﴿ **فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا** ﴾ [٥٨] وقوله تعالى : ﴿ **يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس** ﴾ [٥٩] وقوله عز ذكره : ﴿ **ونزلنا من السماء ماءً مباركاً** ﴾ [٦٠] .

وفي العسل بماء السماء يقول مساور الوراق[٦١] :

وبدأت بالعسل الشديد بياضه	**عمدا أباكره بماء سماء**
إني سمعت بقول ربك[٦٢] فيهما	**فجمعت بين مبارك وشفاء**

كان محمد بن كعب القرظي[٦٣] من أقدر الناس على مقابلة أخبار النبي ﷺ بآي القرآن . فلما رأى قوله عليه السلام : من جدد وضوءه ، جدد الله مغفرته . قال : سوف أجد فى كتاب الله تعالى ما يوافق معناه . ثم قال بعد أيام : قد وجدت ذلك ، وهو قوله فى آية الوضوء : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ..** ﴾ [٦٤] إلى قوله : ﴿ **مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون** ﴾[٦٥] ألا ترى أنه بالتطهير تمام النعمة . وهو المغفرة .

---

(٥٦) فى الأصل : « ورعد » .
(٥٧) زيادة ليست فى الأصل .
(٥٨) النساء : ٤ .
(٥٩) النحل : ٦٩ .
(٦٠) ق : ٩ .
(٦١) مساور الوراق الكوفى ، ذكره ابن حبان فى الثقات . انظر : تهذيب التهذيب : ١٠٣ .
(٦٢) فى الأصل : « انى سمعت يقول وربك » .
(٦٣) فى الأصل: « القرطى » والصواب القرظى وهو أبو حمزة ، وقيل أبو عبد الله المدنى من حلفاء الأوس كان أبوه من سبى قريظة . سكن الكوفة ثم المدينة . روى عن العباس بن عبد المطلب ، وعلى بن أبى طالب ، وابن مسعود ، توفى سنة ١١٧ هـ الطبقات ٢٦٤ ، انظر : تهذيب التهذيب : ٢١٢/٣ .
(٦٤) المائدة : ٦ .
(٦٥) المائدة : ٦ .

وكان سفيان بن عيينة[٦٦] يجري في طريق القرظي يرده على الاستخراجات ، والانتزاعات . فسئل : هل يجد في القرآن ما يصدق الذي يروى عن النبى ﷺ أنه قال : مامن مؤمن يموت إلا مات شهيدا . فقال : أمهلوني ثلاثة أيام . فأمهل ، ثم قال : قد وجدت ظاهرا مكشوفا وهو قوله تعالى : ﴿ **والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم** ﴾ [٦٧] .

وسئل عن طيب[٦٨] الأكل فقال : هو بالحرام منه أشبه بالحلال ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ **كلوا مما في الأرض حلالا** ﴾ [٦٩] ولم يقل كلوا في الأرض .

وسئل عن قولهم : الناس الأشراف بالأطراف ، هل تجد معناه في كتاب الله ؟ قال : نعم في سورة يس : ﴿ **وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين** ﴾ [٧٠] . فلم يكن في المدينة خير وكان ينزل أقصاها .

وسئل عن قولهم : « الجار ثم الدار » هل تجد معناه في كتاب الله . فقال : بلى ، هذه امرأة فرعون تقول : ﴿ **رب ابن لي عندك بيتا في الجنة** ﴾ [٧١] أما تراها أرادت [٧٢] الجار ثم المنزل .

وسئل ابن سيرين عن خبث الحديد يحل شربه للتداوي به أم لا ؟ فقال : لا أرى فيه بأساً ، وأراه من المنافع التي قال الله تعالى : ﴿ **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس** ﴾ [٧٣] .

كان ابن عباس يقول : لا تقولوا والذي خاتمه على فمي فإنما يختم الله على فم الكافرين[٧٤] . كان قول[٧٥] الناس انصرفوا من الصلاة ويقول بل قولوا قضوا الصلاة ، وفرغوا من الصلاة . لقوله تعالى : ﴿ **ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم** ﴾ [٧٦] .

---

(٦٦) سفيان بن عيينة ، يكنى أبا محمد مولى هلال بن عامر مات سنة ١٩٨ . انظر : الطبقات : ٢٨٤ .

(٦٧) الحديد : ١٩ .

(٦٨) فى الأصل : « طين » .

(٦٩) البقرة : ١٦٨ .

(٧٠) يس : ٢٠ .

(٧١) التحريم : ١١ .

(٧٢) فى الأصل : « إرادة » .

(٧٣) الحديد : ٢٥ .

(٧٤) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ..اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم . . ﴾ يس : ٦٤ ، ٦٥ .

(٧٥) كذا فى الأصل والسياق يقتضى أن تكون ولا تقولوا . . . بل .

(٧٦) التوبة : ١٢٧ .

الزهري [٧٧] : أقرب ما يكون العبد من ربه إذا سجد ، لقوله تعالى ﴿ **واسجد واقترب** ﴾ [٧٨] .

قالت زبيدة للرشيد في كلام جرى بينهما : أنت من أهل النار . فقال الرشيد : وأنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة ، فارتابت قلوبهما فبعثا إلى أبي يوسف[٧٩] ، واستدعياه ، فاستفتياه . فقال : يا أمير المؤمنين : هل تخاف مقام ربك (ولك)[٨٠] جنتان[٨١] وأم جعفر حلال كما كانت ؟ فسرى[٨٢] عنهما وأمر له بصلة وخلعة .

ناظر بعض الفقهاء يحيى بن آدم[٨٣] فقال : أما تستحي ! تزعم أن شيئا قليله حلال وكثيره حرام ؟ أفي كتاب الله وجدت هذا أم في سنة رسول الله ﷺ ؟ فقال يحيى : نعم وجدت هذا في كتاب الله تعالى : إن الله أحل من نهر طالوت غرفة وحرم ماسواها[٨٤] ، وأحل لمن اضطر إليها بقدر مايقيمه وحرم عليه الشبع ، وأحل من النساء أربعا[٨٥] وحرم الخامسة ، ولولا الرابعة لحلت الخامسة . فأفحمه .

دعا بعض العلماء رئيسا باسمه . فغضب ، وقال له : أين التكنية لا أباً لك ؟ فقال : إن الله تعالى قد سمى أحب خلقه إليه فقال :﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل** ﴾ [٨٦] .وكنى أبغض خلقه إليه ، فقال : ﴿ **تبت يد أبي لهب** ﴾ [٨٧] .

قال بعض المحسنين : إن طاعة العبد لسيده تنقسم ثلاثة أقسام : منها عمل القلب ،

---

(٧٧) فى الأصل : « الزهد » ، والصواب : « الزهرى » وقد مرت ترجمته .

(٧٨) العلق : ١٩ .

(٧٩) أبو يوسف : هو يعقوب بن إبراهيم بن خنيس بن سعد من أهل الكوفة وهو صاحب أبى حنيفة ، وأفقه أهل عصره . ولد سنة ١٣٠ هـ وتوفى سنة ١٨٢ . انظر : وفيات الأعيان ٥ / ٤٣٠ .

(٨٠) زيادة ليست فى الأصل .

(٨١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ الرحمن : ٤٦ .

(٨٢) زيادة ليست فى الأصل .

(٨٣) يحيى بن آدم بن سليمان الأموى يكنى أبا زكريا . قال عنه ابن شيبة إنه ثقة كثير التحديث مات سنة ثلاث ومائتين . تهذيب التهذيب ١١ / ١٧٥ .

(٨٤) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فإنه منى إلا من اغترف غرفة بيده** ﴾ البقرة : ٢٤٩ .

(٨٥) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة** ﴾ النساء : ٣ .

(٨٦) آل عمران : ١٤٤ .

(٨٧) المسد : ١ .

وهو الإخلاص في اعتقاد العبودية . كما قال الله تعالى : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين** ﴾ (٨٨) . ومنها عمل اللسان وهو وصفه بما يستحقه من المدح والثناء عليه كما قال الله تعالى : ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾ (٨٩) ومنها عمل الجوارح وهو مباشرة ما (٩٠) عرف فيه رضاه من وجوه الخدمة ، كما قال الله تعالى : ﴿ **اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون** ﴾ (٩١) .

قرأت في كتاب أخبار الوزراء والكتاب لأبي عبد الله بن عبدوس الجهشياري(٩٢) ، حضر(٩٣) المأمون جماعة من المتكلمين ، ومحمد بن عبد الملك حاضر . فقال المأمون : قد كنت(٩٤) أحفظ من كتاب الله أشياء عنى بها لا إله إلا الله وقد استترت عني ، فأخبروني بها . فلم يكن عند واحد منهم علم ذلك غير محمد بن عبد الملك(٩٥) فقال : ياأمير المؤمنين ، أنا أحفظها أفأذكرها (٩٦) ؟ قال : نعم ياابن عبد الملك . فقال محمد : قال الله تعالى : ﴿ **وألزمهم كلمة التقوى** ﴾ (٩٧) يعني لا إله إلا الله . وقال تعالى : ﴿ **ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم** ﴾ (٩٨) يعنى لا إله إلا الله . وقال عز ذكره : ﴿ **قد جاءكم الحق من ربكم** ﴾ (٩٩) يعني لا إله إلا الله . وقال تعالى : ﴿ **له دعوة الحق** ﴾ (١٠٠) يعني لا إله إلا الله . وقال تعالى : ﴿ **ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله** ﴾ (١٠١) يعني لا إله إلا الله . وقال : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا** ﴾ (١٠٢) يعني لا إله إلا الله . وقال جل ذكره : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت** ﴾ (١٠٣) .

---

(٨٨) البينة : ٥ .
(٨٩) الأعراف : ١٨٠ .
(٩٠) في الأصل : « كلما » .
(٩١) في الأصل : « واسجدوا واركعوا » والصواب ما أثبتناه ، الحج : ٧٧ .
(٩٢) هو أبو عبد الله محمد بن عبدوس الكوفى المعروف بالجهشيارى ، مؤرخ قديم نال مكانة كبيرة عند الوزراء توفى نحو ٣٣١ وكتابه الوزراء والكتاب مطبوع فى القاهرة سنة ١٩٣٨ بتحقيق مصطفى السقا وآخرين .
(٩٣) النص غير موجود فى كتاب الوزراء والكتاب ولعله فى الأقسام الضائعة منه .
(٩٤) فى الأصل : « كتب » .
(٩٥) محمد بن عبد الملك كاتب مترسل مشهور استوزره المعتصم والواثق ثم نكبه المتوكل وسجنه وعذبه فمات ببغداد سنة ٢٣٣ هـ انظر : تاريخ بغداد ٢ / ٣٣٢ .
(٩٦) فى الأصل : « اذكرها » .
(٩٧) الفتح : ٢٦ .
(٩٨) غافر : ١٢ .
(٩٩) يونس : ١٠٨ .
(١٠٠) الرعد : ١٤ .
(١٠١) المائدة : ٥ وقد وقع خطأ بنسخ الآية فكتب بالله بدل الإيمان .
(١٠٢) الأحزاب : ٧٠ .
(١٠٣) فى الأصل : « الثلاثة » وهو خطأ فى النسخ والآية من سورة إبراهيم : ٢٧ .

فاستحسن المأمون جوابه[١٠٤] .

قال : مامن مؤمن يموت إلا مات[١٠٥] .

فصـــــل

فى فضـــل العقـــل

قال الله تعالى فى تعظيم شأن العقل : ﴿ **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون** ﴾ [١٠٦] .

وقال عز ذكره : ﴿ **ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب** ﴾ [١٠٧] .

وقال تعالى : ﴿ **وما يذكر إلا أولو الألباب** ﴾ [١٠٨] .

قال سعيد بن المسيب[١٠٩] في قوله تعالى : ﴿ **وأشهدوا ذوي عدل منكم** ﴾ [١١٠] قال : ذوي عقل .

مجاهد في قوله تعالى : ﴿ **لمن كان له قلب** ﴾ [١١١] أي عقل .

قال الضحاك في قوله تعالى : ﴿ **لينذر من كان حيا ويحق** ﴾ [١١٢] أي عاقلا .

قال الحسن البصري : العقل : الذي يهدي إلى الجنة ، ويحمي[١١٣] من النار ، أما سمعت قوله تعالى حكاية عن أهل النار : ﴿ **لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير** ﴾ [١١٤] .

---

(١٠٤) فى الأصل : « بجاوبتم » .

(١٠٥) كذا فى الأصل ، يجوز أن تكون تتمتها : إلا مات شهيدا . وقد مر بنا هذا الحديث وما بعد النص أصابه التلف فمحيت معظم كلماته وشوه البعض الآخر ، والذى بقى كالآتى : (الباب وفى ثلاثة أيام فإنها إلى قد وجدت فى ذكر وقوله السنة والموعظة الحسنة) .

(١٠٦) البقرة : ١٦٤

(١٠٧) ص : ٢٩ .

(١٠٨) البقرة : ٢٦٩ .

(١٠٩) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبى وهب يكنى أبا محمد توفى سنة ثلاث ويقال أربع وتسعين للهجرة . الطبقات ٢٤٤ .

(١١٠) الطلاق : ٢ .

(١١١) ق : ٥٠ .

(١١٢) فى الأصل : « وتحق » والآية من سورة يس : ٧٠ .

(١١٣) فى الأصل : « نحمى » .

(١١٤) الملك : ١٠ .

الباب السابع

فى

ذكر الأدب والعقل والحكمة والموعظة الحسنة

الباب السابع

في ذكر الأدب والعقل والحكمة والموعظة الحسنة

فصـــــل

في ذكـــر الأدب

علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا** ﴾ [(١)] . قال : أدبوهم أدباً حسنا .

سئل الشعبي عن الفرق[(٢)] بين العالم والأديب . فقال : العالم من يقصد فناً واحداً من العلم فيقتله ، والأديب من يأخذ من كل علم أحسنه .

ـ وقيل لابن عباس : ما تكتب ؟ قال : أحسن ما أسمع ، ثم تلا : ﴿ **اتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم** ﴾ [(٣)] .

قال المنذر بن جارود [(٤)] لابنه الحكيم : يابني أحيي لياليك بالنظر في الأدب فإن القلب بالنهار طائر وبالليل ساكن ، فكلما أودعته شيئا قبله . ثم قرأ : ﴿ **إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا** ﴾ [(٥)] .

---

(١) التحريم : ٦ .

(٢) في الأصل : « الرفق » .

(٣) الزمر : ٥٥ .

(٤) ذكر له ابن عبد البر أخبارا في كتابه « بهجة المجالس » .

(٥) المزمل : ٦ .

فصـــــل
فى الحكمة والموعظة الحسنة

قال الله تعالى : ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا ﴾ (٦) .

قال مجاهد في قوله : ﴿ ولقد آتينا ﴾ (٧) ، وقوله تعالى : إن الله أحل من نهر طالوت (٨) في القول . وقال تعالى : ﴿ واذكروا نعمة [الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب] والحكمة يعظكم به ﴾ (٩) .

قال الحسن البصري : يا ابن آدم اذكر قول ربك :﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ (١٠) . وقد جعلك حسيب نفسك .

وشهد بعض الأمراء وقد تعدى في إقامة الحدود ، وزاد في عدد الضرب فكلمه في ذلك ، فلما رآه لا يتعظ ، قال : أما أنك لا تضرب إلا نفسك فإن شئت فقلل ، وإن شئت فكثر . ثم تلا : ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ (١١) .

دخل أبو حازم الأعرج على بعض الملوك من بني مروان . فقال له : ياأبا حازم ما المخرج فيما نحن فيه ؟ قال : تنظر إلى ما عندك ، فلا تضعه إلا في حقه ، وما ليس عندك فلا تأخذه من حقه إلا في حقه . فقال : ومن يطيق ذلك يا أبا حازم ؟ فقال : من أجل ذلك ملئت جهنم من الجِنَّة والناس أجمعين (١٢) .

---

(٦) البقرة : ٢٦٩ وما بين القوسين أصابه التلف فى المخطوط .

(٧) من سورة سبأ : ١٠ عن داود عليه السلام : ﴿ ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبى معه والطير ﴾ وقد فسر الآية بآية البقرة : ٢٥١ فى قصة طالوت وجالوت : ﴿ وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ﴾ وما بين القوسين زيادة ليست فى الأصل .

(٨) إشارة إلى قوله تعالى عن طالوت إذ أحل غرفة من الماء فلما فصل بالجنود قال : ﴿ إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فإنه منى إلا من اغترف غرفة بيده ﴾ البقرة : ٢٤٩ .

(٩) البقرة : ٢٣١ وما بين القوسين ساقط من الأصل .

(١٠) الإسراء : ١٣، ١٤ .
(١١) البقرة : ١٧٥ .

(١٢) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ هود : ١١٩ .

وقال الأوزاعي[١٣] للمنصور : إنك ابتليت بخلة عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها[١٤] . وقد جاء في تفسير هذه الآية : ﴿ **لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها** ﴾[١٥] إن الصغيرة : التبسم ، والكبيرة : الضحك . فما ظنك بما سواهما ؟ . فانظر لنفسك يا أمير المؤمنين . قال : فبكى المنصور بكاء شديدا[١٦] .

قال : دخل عمرو بن عبيد[١٧] على المنصور قبل الخلافة ، وهو يأكل فقال : يا جارية هل في القدر بقية ؟ فقالت : لا ، قال : عندك ما يشترى به فاكهة لأبي عثمان ؟ قالت : لا ، فقرأ المنصور : ﴿ **عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون** ﴾[١٨] .

ثم دخل إليه في أيام خلافته فقال : يا أمير المؤمنين ، تذكر يوم قلت للجارية ، كذا وكذا . قال : نعم ، وتذكر قراءتك هذه الآية ؟ قال : نعم . قال : فقد أهلك الله عدوك ، واستخلفك ، فانظر كيف تعمل .

---

(١٣) الأوزاعي : هو عبد الرحمن بن عمرو المكنى أبو عمرو ، محدث واعظ زاهد ، توفى سنة ١٥٧ هـ ، انظر : الطبقات ٣١٥ ـ ٣١٦ ، حلية الأولياء ٦ / ١٣٥ فما بعدها .

(١٤) يريد قوله تعالى : ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان** ﴾ الأحزاب : ٧٢ .

(١٥) الكهف : ٤٩ .

(١٦) الخبر فى حلية الأولياء ٦ / ١٣٧ ، وفيه أن المنصور هو الذى بعث على الأوزاعى وسأله الموعظة والخبر طويل جدا . والنص الذى ذكره الثعالبى : وأرغب فى جنة السماوات والأرض التى يقول فيها رسول الله ﷺ « لقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها » يا أمير المؤمنين إن الملك لو بقى قبلك لم يصل إليك . وكذلك لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك . يا أمير المؤمنين تدرى ما جاء فى تأويل هذه الآية عن جدك ؟ ﴿ **ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها** ﴾ قال الصغيرة التبسم ، والكبيرة الضحك ، فكيف بما عملته الأيدى . وحدثت الألسن يا أمير المؤمنين .

(١٧) عمرو بن عبيد : أبو عثمان البصرى أحد الزهاد المشهورين ، اشتهر بمواعظه للمنصور ، وله خطب كثيرة ورسائل . تاريخ بغداد ١٢ / ١٦٦ .

(١٨) الأعراف : ١٢٩ ، والخبر فى تاريخ الخلفاء للسيوطى ٢٦٨ وفيه : أن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقى قال : قال : كنت أطلب العلم مع أبى جعفر المنصور قبل الخلافة فأدخلنى منزله فقدم إلىّ طعاما لا لحم فيه . ثم قال : يا جارية أعندك حلواء ؟ قالت : لا ، قال : ولا التمر ؟ قالت : لا ، فاستلقى وقرأ ﴿ **عسى ربكم أن يهلك عدوكم** ﴾ الآية . فلما ولى الخلافة وفدت إليه فقال : كيف سلطانى من سلطان بنى أمية ؟ قلت : ما رأيت فى سلطانهم من الجور شيئا إلا رأيته فى سلطانك . فقال : إنا لا نجد الأعوان . قلت : قال عمر بن عبد العزيز إن السلطان بمنزلة السوق يجلب إليها ما ينفق فيها إن كان برا أتوه ببرهم ، وإن كان فاجرا أتوه بفجورهم . فأطرق .

قال يحيى بن خالد[١٩] لابن السماك : عظني . فقال : لقد خاب وخسر من لم يكن له [مكان] في جنة عرضها السماوات والأرض [٢٠] . فسكت .

وقال بعض الملوك لمنصور بن عمار[٢١] : عظني وأوجز . فقال : ما أرى إساءة تكبر عن عفو الله ، ولا تيأس من روح الله[٢٢] . وربما أخذ الله على الصغيرة فلا تأمن مكر الله .

وقال بعض الخلفاء لبعض الزهاد : هات عظني . فقال : لقد وعظك الله أحسن العظة ، فقال : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾ [٢٣] .

وقال بعضهم : لو علم الله أن العدل يكفي عباده لما قرن[٢٤] به الإحسان في قوله تعالى : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ [٢٥] .

وقال آخر : ياأيها الإنسان عليك بالإحسان ، فإن الله أمر به ، وأحب عليه وضمن الجزاء عليه[٢٦] .

وقال محمد بن علي بن الحسين لابنه جعفر رضي الله عنهما : إذا أنعم الله عليك نعمة ، فقل : الحمد لله ، وإذا أحزنك أمر فقل : لا حول ولا قوة إلا بالله . وإذا أبطأ عليك الرزق فقل : أستغفر الله .

وقال بعض الحكماء : ليس مع الله وحشة ، ولا بغيره أنس ، فلا تستوحش لقلة أهل الطريق التي تسلكها فإن ﴿ **إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا** ﴾ [٢٧] .

---

(١٩) يحيى بن خالد بن برمك ، عهد إليه المهدى تربية ابنه الرشيد فكان الرشيد يسميه أبي توفى سنة ٢٩٠ هـ . انظر : وفيات الأعيان ٥ / ٢٧٢ .

(٢٠) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض ﴾ آل عمران : ١٣٣ .

(٢١) منصور بن عمار ، أحد كبار الزهاد الوعاظ له مواعظ وأخبار كثيرة . انظر حلية الأولياء ٩ / ٣٢٦ .

(٢٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ يوسف : ٨٧ .

(٢٣) النحل : ٩٠ .

(٢٤) في الأصل : « فدن » .

(٢٥) النحل : ٩٠ .

(٢٦) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ النحل : ٩٠ وقوله. ﴿ وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾ البقرة : ١٩٥ وقوله تعالى: ﴿ إن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ التوبة : ١٢٠ .

(٢٧) النحل : ١٢٠ .

كتب يحيى بن خالد من الحبس إلى الرشيد : ياأمير المؤمنين إن كان الذنب خاصا ، فلا تعمم[٢٨] العقوبة . فإن الله تعالى يقول[٢٩] : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ [٣٠] .

وقال سابق البربري[٣١] :

حصادك يوما (ما)[٣٢] زرعت وإنما ... يدان الفتى يوما بما هو دائن
فعاون على الخيرات تظفر ولا تكن ... على الإثم والعدوان ممن يعاون[٣٣]

وقال صالح بن عبد القدوس[٣٤] :

تقضى الحلم وانكشفت ظلال ... وصار الصقر رهناً لانكفات[٣٥]
فلو أن المفرط كان حياً ... توخى الباقيات الصالحات[٣٦]

(قال)[٣٧] حكيم : عليكم بالجادة[٣٨] فإنها المنهج ، وإياكم وبنيات[٣٩] الطرق ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ [٣٩] .

الحسن : عظ نفسك ، فإن رأيتها تتعظ فعظ غيرها ، وإلا فاستحيي من خالقك ، فإنه يقول : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ [٤٠] .

---

(٢٨) فى الأصل : « فلا تعمى بعدها » فى الوزراء والكتاب للجهشيارى : ٢٥٣ فإن لى سلامة البرىء ، ومودة الولى .

(٢٩) فى الأصل : « يقطر » وهو تحريف فى النسخ .

(٣٠) الأنعام : ١٦٤ ، وفى الوزراء والكتاب أن الرشيد كتب إليه : ﴿قضى الأمر الذى فيه تستفتيان﴾ .

(٣١) سابق البربرى : شاعر معروف بالحكمة والمواعظ قرن شعره ابن المعتز بمحمود الوراق ، وصالح بن عبد القدوس . طبقات الشعراء : ٣٦٨ .

(٣٢) زيادة ليست فى الأصل .

(٣٣) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ .

(٣٤) صالح بن عبد القدوس : شاعر من العصر العباسى اتهم فى عهد المهدى بالزندقة فقتله ، وشعره ملىء بالحكمة . انظر : طبقات الشعراء ٩٠ ، تاريخ بغداد ٩ / ٣٠٣ ، جمع شعره عبد الله الخطيب : ١٩٦٧ وقد أخل المجموع بالبيتين .

(٣٥) فى الأصل: «الصقر هنا لانكفات» . والانكفات من كفت يكفت كفتا وكفتانا وكفاتا ، أى أسرع فى العدو والطيران ، وتقبض فيه . والكفت أيضا تقلب الشىء ظهرا لبطن ، وبطنا لظهر ، وانكفتوا إلى منازلهم أى انقلبوا .

(٣٦) زيادة ليست فى الأصل .

(٣٧) الجادة معظم الطريق . الصحاح (جدد) .

(٣٨) فى الأصل : « بينات » والصواب ما أثبتناه . والمقصود ببينات الطرق : الطرق الصغار التى تنشعب من الجادة .

(٣٩) الأنعام : ١٥٣ .

(٤٠) البقرة : ٤٤ .

وقال بعض الصالحين : لا تسمعوا كلام أهل البدع ، ونزهوا أسماعكم عنه ، كي تصونوا ألسنتكم عن ذلك . وقد أدب الله تعالى بهذا الأدب فقال : ﴿ **وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم** ﴾ (٤١) . وقال تعالى : ﴿ **وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا [فأعرض عنهم]** ﴾ (٤٢) ومن هذا المعنى اقتبس من قال :

نحي عن الطرق وبساطها ... وعد عن الجانب(٤٣) والمشتبه
وسمعك صن عن سماع القبيح ... كصون اللسان عن النطق به
فإنك عند استماع القبيح ... شريك لقائله فانتبه

ابن عباس : احفظ الله يحفظك ، وخصه [بالذكر] تجده أمامك ، وتعرف إليه فى الرخاء يعرفك(٤٤) في الشدة . وإذا سألت فاسأل الله . وإن استعنت فاستعن بالله . فإن اليقين مع الصبر . ﴿ **إن مع العسر يسرا** ﴾ و ﴿ **إن مع العسر يسرا** ﴾ (٤٥) .

كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله :

أما بعد ، فأصلح مااستطعت . ﴿ **فإن الله لا يضيع أجر المحسنين** ﴾ (٤٦) . وأحسن فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا (٤٧) .

وكان إذا جلس للناس (٤٨) يقرأ : ﴿ **أفرأيت إن متعناهم سنين . ثم جاءهم ماكانوا يوعدون . ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون** ﴾ (٤٩) .

ذكر أبو بكر محمد بن عمر الترمذي(٥٠) الوراق في كتاب (المتعلمين)(٥١) فصلا فيمن يتهالك في موعظة من لا يتعظ . فقال : ومن ذلك إشغال(٥٢) قلبه وإفراطه فيمن

---

(٤١) النساء : ١٤٠ .
(٤٢) الأنعام : ٦٨ . وما بين القوسين ساقط من المخطوط .
(٤٣) فى الأصل : « وعد من الجانب » ولعلها كما أثبتناه .
(٤٤) فى الأصل : « يعرفه » .
(٤٥) الانشراح : ٦ .
(٤٦) يوسف : ٩٠ .
(٤٧) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ **إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا** ﴾ الكهف : ٣٠ .
(٤٨) فى الأصل : « الناس » .
(٤٩) الشعراء ٢٠٥ ـ ٢٠٧ .
(٥٠) هو أبو بكر محمد بن عمر الترمذى من المحدثين المشهورين له كتب فى المعاملات . الفهرس : ٣٢٩ .
(٥١) فى الأصل : « المستقطين » ولم يرد اسم هذا الكتاب ضمن كتب الترمذى ، وذكر له كتاب العالم والمتعلم . انظر : معجم المؤلفين ١١ / ٧٨ .
(٥٢) فى الأصل : « شغال وقلبه » .

يريد إرشاده ، وعظته ، وسهوه في ذلك عن [ذكر] الله عز ذكره ، وعن قضائه ، وقسمته ، وعن نفسه ، وعن قوله تعالى ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء** ﴾ [٥٣] . وقوله تعالى : ﴿ **ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين** ﴾ [٥٤] .

---

(٥٣) القصص : ٥٦ .

(٥٤) الأنعام : ٣٥ .

الباب الثامن

فى

ذكر محاسن الخصال ، ومكارم الأفعال
وطرائف الآداب

الباب الثامن

فى ذكر محاسن من الخصال

فصـــــل

فى التقـــوى

قال الله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ (1) . وقال : ﴿ إن الله يحب المتقين ﴾ (2) .

وقال تعالى : ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ (3) .

وقال : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ (4) .

وقال : ﴿ إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم [ويغفر لكم] ، والله ذو الفضل العظيم ﴾ (5) .

وقال : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (6) .

وقال : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً . ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾(7) .

وقال : ﴿ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ﴾ (8) .

---

(1) المائدة : 35 .
(2) آل عمران : 76 .
(3) المائدة : 27 .
(4) النحل : 128 .
(5) الأنفال : 29 .
(6) الحجرات : 13 .
(7) الطلاق : 2 ، 3 .
(8) الطلاق : 4 .

حدث الهيثم بن ميمون عن بعض أصحابه ، فيهم بلال[٩] وسلمان[١٠] ، وصهيب[١١] ومعاذ[١٢] كانوا جلوساً في المسجد فجاء عيينة بن حصن[١٣] يجر رداءه فقال : من هؤلاء السقاط ؟ . فقام إليه : معاذ ، فلببه[١٤] ، وانطلق به إلى رسول الله ﷺ ، فأخبره بالخبر ، فتمعر[١٥] وجهه وأمر ، فنودي إلى الصلاة الجامعة . وقام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد . فلا أعرفن أحدكم يقول ما قال هذا الغطفاني . إلا أن الله هو الرب ، والدين هو الإسلام . والقرآن هو الإمام . وآدم هو السبب ، خلق من طين . وأنا رسول الله إلى (الناس)[١٦] كافة ، و ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾[١٧] .

قال الفضيل بن عياض[١٨] : إن[١٩] الله جعل أرزاق المتقين[٢٠] من حيث لا يحتسبون .

وكان عبد الرحمن بن أبي عماد الحبشي من عباد أهل مكة ، وكان يلقب بالنفس

---

(٩) بلال بن رباح الحبشي ، أبو عبد الله مؤذن الرسول ﷺ ، وخازنه على بيت ماله . توفي في دمشق سنة ٢٠ هـ . التهذيب ١ / ٥٠٢ .

(١٠) سلمان الفارسي : صحابي أصله من أصبهان ، شهد كثيرا من المعارك مات في المدائن في خلافة عثمان وقيل سنة ٣٦ هـ أو ٣٧ هـ . انظر : التهذيب ٤ / ١٣٨ .

(١١) صهيب بن سنان الرومي صاحب رسول الله ، وكان قد أسلم وعذب كثيرا في بدء الدعوة وهاجر مع الرسول ﷺ وشهد بعض المغازي . الاستيعاب ٢ / ٧٢٢ .

(١٢) هو معاذ بن جبل بن عمر بن أوس . شهد مع النبي معارك عديدة . وأمره النبي ﷺ على اليمن ، وروى عن الرسول ﷺ . مات في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة . انظر : الطبقات : ٣٠٤ .

(١٣) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر . كان من المؤلفة قلوبهم . أسلم قبل الفتح ، ولم تصح له رواية . وشهد حنين والطائف . ارتد في زمن أبي بكر ثم عاد إلى الإسلام وقيل إن عمر قتله على الردة . انظر الإصابة ٣ / ٥٥ .

(١٤) لبّبه تلبيبا : إذا جمع ثيابه عند صدره ونحره في الخصومة ثم جره . انظر : الصحاح (لبب) .

(١٥) تمعر لونه عند الغضب ، إذا تغير . انظر : الصحاح ، لسان العرب (معر) .

(١٦) زيادة ليست في الأصل.

(١٧) الحجرات : ١٣ .

(١٨) في الأصل : « الفاضل بن عياض » والصواب ما أثبتناه وهو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي . زاهد عابد ولد بخراسان وقدم إلى الكوفة ثم انتقل إلى مكة ، وفيها مات سنة ١٨٧ هـ انظر صفة الصفوة ٨ / ٨٤ فما بعدها .

(١٩) في الأصل : « الى ان » .

(٢٠) في الأصل : « الا في » والقول إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ الطلاق : ٢ ، ٣ .

لعبادته يستمع يوماً غناء سلامة[٢١] .

وقال ابن المعتز : التقوى أنفع الزاد في المعاد[٢٢] .

وكان أبو سليمان الداراني[٢٣] يقول : ما رأيت الثلج يسقط إلا ذكرت تطاير الكتب يوم القيامة . وما سمعت الأذان إلا ذكرت منادي الحشر **﴿ واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب ﴾** [٢٤] .

فصـــــل
في الصبـــــر

قال الله تعالى : **﴿ واستعينوا بالصبر ﴾** [٢٥] ، **﴿ واصبروا ﴾** [٢٦] ، **﴿ ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾** [٢٧] ، **﴿ أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما ﴾** [٢٨] .

وقال : **﴿ فاصبر صبرا جميلا ﴾** [٢٩] .

وقال : **﴿ ولربك فاصبر ﴾** [٣٠] .

وقال : **﴿ وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا ﴾** [٣١] .

وقال الحسن البصري : إني لا أعجب ممن كفر بعد (سماعه)[٣٢] هذه الآية :

﴿ وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وماكانوا يعرشون ﴾ [٣٣] .

---

(٢١) كذا النص ويبدو أن هناك تتمة ساقطة من المخطوط .

(٢٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ البقرة : ١٩٧ .

(٢٣) في الأصل : « الداري » والصواب الداراني نسبة إلى داريا من غوطة دمشق وهو ابن حبيب الداراني قاض من ثقات التابعين من أهل الشام وكان ينعت بقاضي الخلفاء . استمر في قضاء دمشق ثلاثين سنة توفي سنة ١٢٠ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٦ / ٢٤٦

(٢٤) ق : ٤١ .

(٢٥) البقرة : ٤٥ .

(٢٦) آل عمران : ٢٠٠ .

(٢٧) النحل : ١٢٦ .

(٢٨) الفرقان : ٧٥ .

(٢٩) المعارج : ٥ .

(٣٠) المدثر : ٧ .

(٣١) الإنسان : ١٢ .

(٣٢) زيادة ليست في الأصل .

(٣٣) الأعراف : ١٣٧ .

وقال عمر بن عبد العزيز : ما أنعم الله على عبد نعمة وانتزعها منه ، ثم عاضه عنها الصبر إلا ماكان عاضه عنه أفضل مما انتزعه منه . ثم قرأ : ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ (٣٤) .

وقال غيره : جعل الله لكل ضرب من الأجر(٣٥) والثواب(٣٦) حساباً معدودا ، وحداً محدودا إلا الصبر ، فإنه جعل أجره بلا حساب حيث قال : ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ (٣٧) .

قيل : نعي إلى ابن عباس بعض أولاده ، وهو في سفر ، فاسترجع وقال : صبراً لحكم الله ، ثم نزل وصلى ركعتين ، وركب . ثم قال : قد فعلنا ما أمر الله تعالى ، يعني قوله ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة** ﴾ (٣٨) .

وقال الضحاك(٣٩) في قوله تعالى : ﴿ **إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين** ﴾(٤٠) . قال : نتقي الزنا ، ونصبر على العزوبة .

فصل

في الشكر

قال الله تعالى : ﴿ **نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر** ﴾ (٤١) .

﴿ **اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور** ﴾ (٤٢) .

﴿ **وقليل من عبادي الشكور** ﴾ (٤٣)

﴿ **ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم** ﴾.(٤٤) .

---

(٣٤) الزمر : ١٠ .
(٣٥) في الأصل : « الآخر » .
(٣٦) في الأصل : « الثواب » .
(٣٧) الزمر : ١٠ .
(٣٨) البقرة : ٤٥ .
(٣٩) الضحاك : هو أبو بحر بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة ، كان من سادات التابعين أدرك عهد النبي ﷺ ولم يصحبه . وشهد كثيرا من الفتوحات . توفي سنة ٦٧ هـ . الطبقات : ٢٩ ، ١٢٧ ، ١٨٥ ، ٣٠١ .
(٤٠) يوسف : ٩٠ .
(٤١) القمر : ٣٥ .
(٤٢) سبأ : ١٣ .
(٤٣) سبأ : ١٣ .
(٤٤) النساء : ١٤٧ .

﴿ واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ (٤٥) .

﴿ اشكر لي ولوالديك إلي المصير ﴾ (٤٦) .

﴿ إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضي لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ﴾ (٤٧) .

﴿ بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ (٤٨) .

لما قام النبى ﷺ حتى تورمت قدماه . قيل : يارسول الله أليس قد غفر الله ما تقدم من ذنبك ، وما تأخر ؟ . فقال عليه السلام : أفلا أكون عبداً شكورا .

وقال محمود الوراق(٤٩) :

فلو كان يستغنى عن الشكر ماجد	لعـزة نفـس أو علـو مكـان
لمـا أمـر الله العبـاد بشكـره	فقال : اشكروني(٥٠) أيها الثقلان

فصـــــل
لأبى علـى البصيـر

إن الله قال وله المثل الأعلى ، خلق العباد وهو غني عنهم ، ليحسن إليهم ، وينعم ، ويتفضل عليهم ، وعرفهم مصالحهم ، وحاطهم بالمكاره(٥١) التي يرونها(٥٢) مبثوثة جلالاً لهم ، وجعل ما فى الأرض مسخراً لهم ثم رضي على ثواب ذلك بأن يحمدوه عليه ،

(٤٥) النحل : ١١٤ .
(٤٦) لقمان : ١٤ .
(٤٧) الزمر : ٧ .
(٤٨) الزمر : ٦٦ .
(٤٩) البيتان فى معجم الأدباء ١٧ / ٢٩ منسوبان لكلثوم العتابى .
(٥٠) فى الأصل : « اشكر » والبيتان فى ديوانه ١٢٥ ، الفاضل ٩٥ والإعجاز والإيجاز ٥٤٠ ونثر النظم وحل العقد ص ٥٥ وروايته فى أحسن ما سمعت ١٩ :

لما أمر الله الحكيم بشكره فقال اشكروا لى أيها الثقلان

وكذلك رواية الشطر الثانى فى أدب الدنيا والدين ١٦٠ .
(٥١) فى الأصل : « فى المكاره » .
(٥٢) فى الأصل : « يدونها » .

وينسبوا الإحسان منه إليه ولم يرض لشاكر نعمته بما قدم عنده منها دون أن أوجب له مزيدا . فقال : ﴿ **وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد** ﴾ [٥٣] . فسمي التارك لشكره كافراً ، وأوعده على تركه عذاباً شديدا .

وقرأت لابن عباد فضلاً من كتاب له إلى فخر الدولة[٥٤] استحسنه جدا ، وهو :

لعل مولانا أعز الله نصره وحفظ على الدنيا ظلمه تأمل في خادمه[٥٥] ـــ وما أزال إليه ـــ قول الله تعالى : ﴿ **إن هو إلا عبد أنعمنا عليه** ﴾ [٥٦]وإلا فأين استحقاق[٥٧] الخدم من هذه النعم التي تغشى ناظر الفرقد ، وترد الثريا بطرف الأرمد .

وله من كتاب :

فالملوان[٥٨] يتعاقبان على ما يختاره ميامن ، ومياسر . وصنع الله يضيف إلى[٥٩] مآثره مآثر[٦٠] ، ﴿ **أليس الله بأعلم بالشاكرين** ﴾ [٦١] .

وله أيضا :

إن كلمة الشكر أزكى مقال ، (ولدوام)[٦٢] النعم[٦٣] أوثق عقال . ﴿ **ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد** ﴾ [٦٤] .

ولغيره : الشكر قبل النعمة[٦٥] ، ومفتاح الزيادة . والله تعالى قال : ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾ [٦٦] . ويقول : ﴿ **كلوا من رزق ربكم واشكروا له** ﴾ [٦٧] .

---

(٥٣) إبراهيم : ٧ .

(٥٤) فخر الدولة : هو على ابن ركن الدولة أمير تولى الرى سنة ٣٦٦ هـ انظر : معجم الأسرات الحاكمة ٢٧ ، طبقات سلاطين الإسلام ١٣٧ .

(٥٥) فى الأصل : « خادمة » .

(٥٦) الزخرف : ٥٩ .

(٥٧) فى الأصل : « استحقا » .

(٥٨) الملوان : الليل والنهار ، الصحاح ، لسان العرب (ملو) .

(٥٩) في الأصل : « يستضيف لنا » .

(٦٠) في الأصل : « مباشر » .

(٦١) الأنعام : ٥٣ .

(٦٢) فى الأصل : « ولد اوهن » وهو خطأ فى النسخ .

(٦٣) في الأصل : تكرار للكلمة : النعم ، وهو خطأ فى النسخ أيضا .

(٦٤) لقمان : ١٢ .

(٦٥) كذا فى الأصل ويجوز أن تكون قبول .

(٦٦) إبراهيم : ٧ .

(٦٧) سبأ : ١٥ .

فصـــــل

فى العفـــــو

قال الله تعالى : ﴿ فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ﴾ [٦٨] ﴿ وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ [٦٩] .

وقال : ﴿ فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون ﴾ [٧٠] .

حذيفة بن اليمان[٧١] قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة نادى مناد : أين الذين أجرهم على الله تعالى ؟ فلا يقوم إلا العافون عن الناس ، فيؤمر بهم إلى الجنة . ثم تلا : ﴿ فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ [٧٢] » .

ولما امتحن[٧٣] أحمد بن حنبل[٧٤] قال لأصحابه : اشهدوا أني جعلت المعتصم فى حل[٧٥] لأني[٧٦] قرأت قوله تعالى : ﴿ فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ [٧٧] .

وقال علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ في قوله : ﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾ [٧٨] قال رضى بلا عتاب .

سب رجل رجلا بحضرة (الحسن)[٧٩] . قال الحسن : فلما فرغ قام المسبوب وهو يمسح العرق عن وجهه ، ويقرأ : ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ [٨٠] قال الحسن : عقلها والله ، وفهمها ، إذ ضيع الجاهلون .

---

(٦٨) المائدة : ١٣ .

(٦٩) النور : ٢٢ .

(٧٠) الزخرف : ٨٩ .

(٧١) حذيفة بن اليمان واسم اليمان حسل بن جابر من بنى عبس أمه امرأة من الأنصار . يكنى أبا عبد الله . مات بالكوفة سنة ٣٠ هـ الطبقات ٤٨ ، ١٣٠ .

(٧٢) الشورى : ٤٠ .

(٧٣) فى الأصل : « اختص » وهو تحريف فى النسخ .

(٧٤) وهو أحمد بن حنبل بن أسد بن إدريس الإمام المحدث الفقيه المشهور انظر ترجمته فى طبقات الحنابلة ١ / ٤ فما بعدهما .

(٧٥) الحل من قولهم حل يحل حلالا وهو حل أى طلق . الصحاح (حلل) .

(٧٦) فى الأصل : « لانى » .

(٧٧) الشورى : ٤٠ .

(٧٨) الحجر : ٨٥ .

(٧٩) فى الأصل : « بحضرة » .

(٨٠) الشورى : ٤٣ .

ولما نكب المنصور أبا أيوب المورياني[٨١] استدعاه إلى حضرته وجعل يوبخه، ويقرعه. فقال أبو أيوب: يا أمير المؤمنين. ما أسألك أن تعطف علي بحرمة، ولا تقيلني لخدمة، ولكن استعمل في أدب (الله) [٨٢] تعالى في أنه يقول: ﴿ **وهو الذي يقبل التوبة عن** [٨٣] **عباده ويعفو عن السيئات** ﴾[٨٤] وقد عفا الله عن ذنوب علم حقائقها، وقبل توبة عرف ما كان قبلها [٨٥]. فقال المنصور: ﴿ **الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين** ﴾[٨٦].

ومن كلام إبراهيم بن المهدي[٨٧] في الاعتذار إلى المأمون[٨٨]، والتماس العفو منه: ياأمير المؤمنين، ولي الثأر[٨٩] محكم في القصاص، وأن[٩٠] تعفو أقرب للتقوى.

وقرأت في كتاب التاجي لأبي إسحاق الصابي:

كان أبو الحسن[٩١] بن ناصر مشتهرا بالشرب، واتخاذ الندماء، وسماع الغناء فهجره أبوه[٩٢] من أجل فعله، فخرج إلى أذربيجان. وبقي بها مدة[٩٣]. وتاب من

---

(٨١) في الأصل: «المزرباني» والصواب المورياني نسبة إلى موريان قرية من قرى الأحواز. كان المنصور قد اشتراه صبيا قبل الخلافة، وثقفه ثم اختصه السفاح أيام خلافته، واستوزره المنصور بعد نكبة البرامكة، ثم نكبه. انظر: الوزراء والكتاب الجهشياري ١٢١، الفخرى ١٢١ الكامل ٥ / ١٥٣.

(٨٢) زيادة ليست في الأصل. (٨٣) في الأصل: «عن».

(٨٤) الشورى: ٢٥.

(٨٥) نكب المنصور أبا أيوب المورياني كما يذكر ابن الطقطقى، لأنه عهد إليه بعمارة أرض الأحواز، وأعطاه ثلثمائة ألف درهم فأخذ أبو أيوب المال، ولم يصنع بالضيعة شيئا. وصار في كل سنة يحمل عشرين ألف درهم. ويقول: هذه حاصل الضيعة المستجدة. ثم وشي به عند المنصور. فذهب بنفسه إلى الضيعة. وتأكد من خيانة أبي أيوب فنكبه، وقيل لأن المورياني سم ابنا من أبناء المنصور وقتله حسدا لمكانته العظيمة في نفس المنصور ولم يكن يعلم أن الفتى الذى اختصه المنصور هو ابنه. انظر: الوزراء والكتاب للجهشيارى: ١٢٢، الفخرى ١٢٨. (٨٦) يونس: ٩١.

(٨٧) هو إبراهيم بن المهدى بن عبد الله أبى جعفر المنصور وأمه شكلة، عاصر المأمون وبايعه أهل بغداد بعد قتل الأمين ثم عفا عنه المأمون بعد قدومه العراق. انظر: معجم الأدباء ٢ / ١٥٧، وانظر أيضا كتاب الخليفة المغنى إبراهيم بن المهدى.

(٨٨) القول من رسالة بعث بها إبراهيم بن المهدى إلى المأمون يستعطفه فيها. وقد وقع المأمون فى حاشية هذه الرسالة (القدرة تذهب الحفيظة والندم توبة، وبينهما عفو الله وهو أكثر مما يسأله) انظر: بغداد: ابن طيفور: ١٠١ تاريخ اليعقوبى ٢ / ٥٥٨، تاريخ بغداد ٦ / ١٤٤، انظر أيضا: الخليفة المغنى: ١٦٥.

(٨٩) فى الأصل: «النار» والصواب ما هو مثبت. (٩٠) من قوله تعالى فى سورة البقرة: ٢٣٧.

(٩١) فى الأصل: «أبو الحسين» وأبو الحسن هذا ذكر له الثعالبى شعرا فى ثمار القلوب: ٣٨٠.

(٩٢) فى الأصل: «أباه» وهو خطأ فى النسخ. (٩٣) فى الأصل: «مرة».

فعله . فكاتبه أبوه في العودة إليه . فعاد إليه . فلما رآه قال له : ﴿ **إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم** ﴾ [٩٤] .

قال الشاعر :

صلى مدنفاً خائفاً	سيرضيك عما اقترف
ولا تذكرى ما مضى	عفا الله عما سلف

ولبعضهم :

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف	بما جناه وانتهى عما اقترف[٩٥]
لقوله قل للذين كفروا	إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف[٩٦]

فصل
فى صلة الرحم

من فضيلة صلة الرحم أن يقول الرجل لصاحبه عند الحاجة الشديدة : أسألك بالله ، وبالرحم إعظاما لحقها (واتحافاً) بالبرهان[٩٧] .

قال الله تعالى : ﴿ **واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام** ﴾ [٩٨] . وقد ذم قاطع الرحم فقال : ﴿ **ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون** ﴾ [٩٩] .

وقال في مدح واصلي الرحم : ﴿ **والذين يصلون ما أمر الله [به] أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب** ﴾ [١٠٠] .

وفي الخبر : القاطع لرحمه ملعون . برهان ذلك قوله تعالى : ﴿ **فهل عسيتم إن توليتم**

---

(٩٤) المائدة : ٣٤ .

(٩٥) فى الأصل : « يستوجب العفو الفتى إذا ما اعترف » وهى زيادة فى النسخ .

(٩٦) البيت الثانى زيادة اقتضاها السياق لاتمام معنى البيت الأول الذى تمثل به الثعالبى فى باب العفو وهما معا منسوبان لأبى حفص الشهرزورى ص ١٣١ .

(٩٧) فى الأصل : « رابحا » .

(٩٨) النساء : ١ .

(٩٩) البقرة : ٢٧ .

(١٠٠) الرعد : ٢١ .

أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم . أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾ [١٠١] .

قال مجاهد : قوله تعالى : **﴿ وآت ذا القربى حقه ﴾** [١٠٢] .

وقرأت في كتاب كتبه المنصور إلى عبد الله بن علي[١٠٣] . وهذا مكان فصل منه :

أما بعد ، فإني نظرت إلى أمرك ، وما ركبت من نصيبك ورحمك ، وخدمك[١٠٤] ، وخاصك ، وعامتك ، فلم[١٠٥] أجد لذلك مثل مدافعة قطيعتك بالصلة ، ومباعدتك بالمقاربة ، وكثرة ذنوبك بقلة التثريب[١٠٦] .

ووجدت ذلك أدب الله تعالى ، وأمره . فإنه قال : عز من قائل : **﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾** [١٠٧] ولعمرك ما فرق كل حميم مثل نزغة الشيطان[١٠٨] . وإني أذكر الله الذي هو آخذ بناصيتك ، وحائل بينك وبين قلبك . ومعادك الذي أنت صائر إليه . والرحم التي أمرت بصلتها ، والعهد الذي أنت مسئول عنه . وأدعوك إلى ما أمر الله به من التواصل والتعاون على البر والتقوى[١٠٩] ، وأنهيك عما نهى الله عنه من قطيعة الأرحام والفساد في الأرض ، وأحذرك عقوبة الله ومقته على ذلك ، فإنه تعالى يقول : **﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم . أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم . أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾** [١١٠] .

---

(١٠١) محمد : ٢٢ ، ٢٣ . (١٠٢) الإسراء : ٢٦ .

(١٠٣) فى الأصل: «عبد الله بن معلى» وهو خطأ فى النسخ والصواب ما أثبتناه ، وقد ورد فى تاريخ الطبرى ٩ / ١٧٢ أن المنصور لما عزل سليمان عن البصرة توارى عبد الله بن على وأصحابه فبلغ ذلك المنصور فكتب إلى والى البصرة أن يرسل إليه عبد الله بن على وله الأمان ، فلما أتى بعبد الله وجماعته إلى المنصور حبسهم ، وقتل بعضهم . وانظر أيضا : الكامل لابن الأثير ٥ / ٤٩٦ ، البداية والنهاية : حوادث سنة ١٣٩ .

(١٠٤) فى الأصل : «وخدمتك» . (١٠٥) فى الأصل : «فكم» .

(١٠٦) التثريب كالتأنيب والتعيير والاستقصاء فى اللوم . الصحاح (ثرب) .

(١٠٧) فصلت : ٣٤ .

(١٠٨) كذا فى الأصل ولعل صوابها ما فرّق بين حميم وحميم مثل . . وفيه إشارة إلى قوله تعالى : **﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ﴾** .فصلت : ٣٤ .

(١٠٩) فى النص إشارات كثيرة إلى آيات قرآنية كريمة **﴿ يؤخذ بالنواصى والأقدام ﴾** الرحمن : ٤١ **﴿ واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ﴾** الأنفال : ٢٤ و **﴿ أوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ﴾** الإسراء : ٣٤ .

(١١٠) محمد : ٢٢ - ٢٤ .

فصـــــل
لأبي القاسم الإسكـافى

عليك بتقوى الله ، ومراقبته في هذه الخطة[111] التي ركبتها ، والظلمة التى دخلتها . واعلم أن الله تعالى قد وصله بقوله بالرحم فقال تعالى : ﴿ **واتقوا الله**[112] **الذي تساءلون به ، والأرحام** ﴾ تنزيها [113] منه تعالى لها عن دواعى الانقطاع والانفصام وتنبيهاً على ما جعله الله لها من (الحرمات)[114] العظام .

فصـــــل
فى بـــر الوالديــــن

قال الله تعالى : ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا** ﴾ [115] . وقال عز ذكره : ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير** ﴾ [116] فأمر بشكر الوالدين بعد شكره .

وقال ابن عباس في قوله : ﴿ **إن [كتاب] الأبرار لفي عليين** ﴾ [117] قال : هم الذين بروا الآباء ، والأولاد . وكما أن لوالديك عليك حقاً ، فلولدك عليك حقاً .

فصـــــل
لابـــن عبـــاد

أما والذي تحشمته[118] اعتداداً به ، وإحماداً[119] . فقد كنت أحب غير راد

---

(111) الخطة : الطريقة يقال الزم ذلك الخط ولا تظلم عنه شيئا . اللسان (خطط) .

(112) فى الأصل : « والتوا الله » وهو خطأ فى النسخ ، والآية من النساء : ١ .

(113) فى الأصل : « تتريها » .

(114) فى الأصل : « الجهات » ويجوز أن تكون الحرمات كما أثبتناه .

(115) العنكبوت : ٨ . (116) لقمان : ١٤ .

(117) فى الأصل : « فى عليين » . والآية من المطففين : ١٨ .

(118) تحشمته من الحشمة وهى الحياء والانقباض . القاموس المحيط ٤ / ٦٧ .

(119) إحمادا ، من قولهم أحمده أى وجده محمودا . انظر لسان العرب (حمد) .

لقوله ، ولا محاد[١٢٠] لحكمته أن يراني أسر به ، وأخص ، وأجد في مودته ، وأشد من أن يجريني بهذا القول مجرى الأباعد ، ويعلم أني أفرض في موالاته[١٢١] ما يفرضه الولد للوالد . وإنما ضربت الوالد مثلا لما قرن الله الشكر بشكره وإلا فهو السيد عظم الله خطره ، وأودع صحف المجد خبره .

فصـــــل

فى الإنفــاق والجــود

قال الله تعالى :﴿ **يأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة** ﴾ [١٢٢] .

وقال : و ﴿ **الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهـار سـراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾[١٢٣] . ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض** ﴾[١٢٤] . ﴿ **ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها**[١٢٥] **سيجعل الله بعد عسر يسرا** ﴾[١٢٦] . ﴿ **وما تنفقوا من خير يوفَّ إليكم وأنتم لا تظلمون** ﴾[١٢٧] ، ﴿ **وأنفقوا خيرا لأنفسكم** ﴾[١٢٨] ، ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾[١٢٩] .

وعاتب الله قوماً فى إمساكهم عن الإنفاق فقال : ﴿ **لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا** ﴾ [١٣٠] .

قال المأمون لمحمد بن عباد المهلبي[١٣١] : إنك متلاف[١٣٢] . فقال : يا أمير المؤمنين

---

(١٢٠) محاد من المحادة وهى المخالفة ومنع ما يجب عليك . لسان العرب (حدد) .

(١٢١) فى الأصل : « مولاته » .

(١٢٢) البقرة : ٢٥٤ .

(١٢٣) نفسها : ٢٧٤ .

(١٢٤) نفسها : ٢٦٧ .

(١٢٥) فى الأصل : « ما اتها » .

(١٢٦) الطلاق : ٧ .

(١٢٧) البقرة : ٢٧٢ .

(١٢٨) التغابن : ١٦ .

(١٢٩) الحشر : ٩ .

(١٣٠) الإسراء : ١٠٠ .

(١٣١) محمد بن عباد المهلبى من أبناء المهلب بن أبى صفرة . أمير البصرة زمن المأمون . توفى نحو ٢١٦ هـ . وله أخبار فى الأغانى ط ساسى جـ ٥ / ٢٤ ، ٦ / ١٦٧ ، ٩ / ٩٣ ، ٩٤ .

(١٣٢) النص فى نهاية الإرب ٣ / ٢٩٥ وربيع الأبرار ٣ / ٧٠٣ وفيه أن المأمون أمر له بمائة ألف وقال : إن مادتك والله مادتى فأنفق ولا تبخل .

منع الجود [١٣٣] سوء الظن بالمعبود . وهو تعالى يقول : ﴿ **وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين** ﴾ [١٣٤] .

وقد قيل في تفسير قوله : وهو خير الرازقين : إن المخلوق يرزق ، فإذا سخط قطع الرزق . والخالق تعالى يسخط[١٣٥] فلا يقطع الرزق .

دخل الفرات بن زيد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يعطي الناس ، فتمثل بقول المتلمس[١٣٦]:

لَحِفْظ المال أيسر من بغاه[١٣٧]	**وسعي في البلاد بغير زاد[١٣٨]**
وإصلاح القليل يزيد فيه	**ولا يبقى الكثير مع الفساد**

فقال عمر : قول الله أفضل ، وأصدق : ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ [١٣٩] .

كتب[١٤٠] طلحة بن الفياض على باب داره : أيها الضيف ﴿ **ادخلوها بسلام آمنين** ﴾ [١٤١] .

كان الربيع بن خيثم[١٤٢] لا يطعم إلا صحيحا ، ولا يكسو إلا جديداً ، ولا يعتق إلا سوياً . يتأول قوله تعالى : ﴿ **ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه** ﴾ [١٤٣] .

اشترى صفوان بن (محرز)[١٤٤] بدنة[١٤٥] بعشرة دنانير . فقيل له : أتشتري[١٤٦]

---

(١٣٣) في الأصل : « الموجود » .

(١٣٤) سبأ : ٣٩ .

(١٣٥) في الأصل : « سخط » .

(١٣٦) المتلمس جرير بن عبد العزى شاعر جاهلي وهو خال طرفة بن العبد . انظر : خزانة الأدب ٣ / ٧٣ ، ديوانه بتحقيق حسن كامل الصيرفي . القاهرة ١٩٧٠ والبيتان في ديوانه ق ٢ ص ١٧٢ .

(١٣٧) في الأصل : « بقاه » وروايته في نهاية الإرب ٣ / ٣١٤ : وحبس المال أيسر من بغاه .

(١٣٨) روايته في نهاية الإرب ٣ / ٣١٤ وضرب في البلاد بغير زاد .

(١٣٩) الحشر : ٩ .

(١٤٠) في الأصل : « دخل » .

(١٤١) الحجر : ٤٦ .

(١٤٢) مرت ترجمته .

(١٤٣) البقرة : ٢٦٧ .

(١٤٤) في الأصل : « صفوان بن محدربه » وهو تحريف في النسخ ، والصواب بن محرز وهو بن زيادة المازني وقيل الباهلي . كان ثقة وله فضل وورع . مات سنة ٧٤ هـ . في ولاية عبد الملك . انظر : الطبقات : ١٩٣ .

(١٤٥) في الأصل : « بدنه » .

(١٤٦) في الأصل : « اشترى » .

هذه بعشرة دنانير ، وليس عندك غيرها ؟ فقال : نعم ، سمعت الله تعالى يقول : ﴿ لكم فيها خير ﴾ (١٤٧) فأحببت تفخيم الخير . فقال تعالى (١٤٨) : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ (١٤٩) .

إن يكن عاقك عن إنجاز ما أنفقت خطب
فتأول فى كتاب الله فيما يستحب
لن ينال(١٥٠) البر إلا منفق مما يحب

وقال الله تعالى : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ (١٥١) .

قال أبو الفتح كشاجم(١٥٢) مقتبساً :

والمؤثرون على النفوس هم الأولى ... فضلوا الورى بشمائل وخلائق(١٥٣)

قال الحجاج : كنت أشتهي أن أدرك ثلاثة ، فأتقرب إلى الله بدمائهم : أبا سماك الأسدي(١٥٤)، فإنه ضل له بعير يعز عليه فقال : يارب ، لئن لم ترد علي ضالتي لا صليت ، ولا زكيت فوجدها ، فقال يخاطب نفسه : عرف ربك صبري ، عرفك فرد عليك ضالتك(١٥٥)، وعبيد الله بن زياد بن ظبيان(١٥٦)، فإنه خطب يوماً ، فأحسن ، فقال له قومه : كثر الله فينا مثلك ، فقال : هيهات ، هيهات . لقد سألتم شططا ،

---

(١٤٧) من قوله تعالى فى سورة الحج : ٣٦ ﴿ والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير ﴾ .
(١٤٨) فى الأصل : « نقاله » .
(١٤٩) آل عمران : ٩٢ .
(١٥٠) فى الأصل : « لن ينالوا » .
(١٥١) الحشر : ٩ .
(١٥٢) كشاجم هو محمود بن الحسين بن السندى شاعر أديب ومن الكتاب المشهورين توفى نحو ٣٦٠ هـ . انظر الفهرست لابن النديم ٢٠٦ .
(١٥٣) فى الأصل : « نفوسهم الاولى » وهى زيادة من النساخ والبيت من ديوانه ق ٣٦ ص ٢٧١ .
(١٥٤) أبو سماك الأسدى هو سمعان بن هبيرة بن مساحق بن بجير بن أسامة . انظر : نوادر المخطوطات م ٥ / ٢٨٢ . وفى جمهرة الأمثال للعسكرى ١ / ٥٧٢ أبو سمال .
(١٥٥) فى جمهرة الأمثال ١ / ٥٧٢ : عن نفطويه عن أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابى أنه قال : كان أبو سمال الأسدى متهما فى دينه فضلت ناقته فحلف لا يصلى أو يردها الله فأصابها ، وقد علق زمامها . فقال : علم الله أنها صبرى يقول : أصررت على يمينى فردها . فضرب به المثل .
(١٥٦) عبيد الله بن زياد بن ظبيان من فتاك العرب كان مقربا من عبد الملك بن مروان . وهو الذى قتل مصعب بن الزبير . مات فى عمان سنة ٧٥ هـ . انظر البصائر والذخائر : ٢٨٣ .

ومقاتل بن مسمع[157] فإنه ولي فارس (وأتاه)[158] الناس من العراقين ، فأعطاهم الأموال الكثيرة ، فلما عزل ، ورجع إلى البصرة ، دخل مسجدها فبسط الناس أرديتهم ليمشي عليها ، وجعلوا يدعون له ، ويثنون[159] عليه ، فالتفت إلى بعض أصحابه فقال : ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ [160] .

فصـــــل
فى الاقتصـــــاد

قال الله تعالى : ﴿ **وإن من شيء إلا عندنا** [161] **خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم** ﴾ [162] .

وقال الله تعالى : ﴿ **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء** ﴾[163] .

قال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه : من أشعر الناس ؟ فقالوا الذي قال :

فأنفق وأتلف إنما المال عارة وكله مع الدهر الذي هو آكله

فقال عبد الملك : قول الله أصدق ، وأحسن : ﴿ **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** ﴾[164] .

وقال يوماً لعمر بن عبد العزيز : كيف نفقتك يا أبا حفص ؟ فقال : يا أمير المؤمنين الحسنة بين المسألتين . قال : وكيف [165] ؟ قال : يقول الله تعالى : ﴿ **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** ﴾ [166] .

---

(١٥٧) مقاتل بن مسمع من بنى مازن له أخبار فى الكوفة بعد وفاة يزيد بن معاوية ، وكان فى جيش مصعب بن الزبير فى حرب المختار أميرا على الرجال . انظر الطبرى ٢ / ٤٥٩ ، ٧٢٥ (ط الأوربية) .

(١٥٨) فى الأصل : « وانتهم » .

(١٥٩) فى الأصل : « ويثنون » .

(١٦٠) الصافات : ٦١ .

(١٦١) فى الأصل : « عدنا » .

(١٦٢) الحجر : ٢١ .

(١٦٣) فى الأصل : « بقدره » . والآية من سورة الشورى : ٢٧ .

(١٦٤) الفرقان : ٦٧ .

(١٦٥) فى الأصل : « وكفف » وهو تحريف .

(١٦٦) الفرقان : ٦٧ .

وسئل بعضهم عن الاقتصاد . فقال : هو قوله تعالى :﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط** ﴾ (١٦٧) . وهذا الأدب ليس في الإنفاق وحده بل في كل معنى من المعاني يستحب التوسط ، ويكره الإفراط ألا تسمع العرب تقول(١٦٨): لا يكن حبك كلفا ، ولا بغضك تلفا .

وتقول : لا تكن حلواً فتحتسى ، ولا مراً فتلفظ(١٦٩).

وفي الخبر : إن المنبت لا أرضاً قطع ، ولا ظهرا أبقى(١٧٠).

وفي القرآن الكريم : ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا** ﴾ (١٧١).

فصـــــل

فى ذكـــر المـروءة

سئل محمد بن حرب الهلالي(١٧٢)عن المروءة فقال : جماعها في قول الله تعالى : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾ (١٧٣).

قال ابن عباس : كل ماشئت من الطيبات ، والبس ما أحببت من الثياب السرية .

---

(١٦٧) الإسراء : ٢٩ .　　(١٦٨) فى الأصل : « يقول » .

(١٦٩) فى الأصل : « فتجشأ » وهو/تحريف فى النسخ . وفى الفاخر : ٢٤٧ : (لاتكن حلوا فتزدرد ولا مرا فتلفظ) .

(١٧٠) المثل فى مجمع الأمثال ١ / ١ والمنبت : المنقطع عن أصحابه فى السفر والظهر الدابة . قال عليه الصلاة والسلام لرجل اجتهد فى العبادة حتى هجمت عيناه أى غارتا فلما رآه قال له : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، إن المنبت . . » أى الذى يجد فى سيره حتى ينبت أخيرا . ويضرب المثل لمن يبالغ فى طلب الشىء ، ويفرط حتى ربما يفوته على نفسه .

(١٧١) الإسراء : ١١٠ .

(١٧٢) محمد بن حرب الهلالى . ذكر الجاحظ فى البيان والتبيين أخبارا رواها عنه وأقوالا بليغة . انظر البيان والتبيين ٢ / ٧٤ ، ٧٧ ، ١١٥ ، ١٥١ ، ١٧٩ ، ٢٥٧ ، وذكر أبو الفرج الأصفهانى أنه كان على شرطة محمد بن سليمان العباسى . انظر الأغانى ١٧ / ٨٨ .

(١٧٣) النحل : ٩٠ .

إذا أخطأتك اثنتان سرف أو مباهاة [174] ثم قرأ : ﴿ **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق** ﴾ [175] .

وكان إذا خرج (إلى)[176] المسجد يرتدي ...[177] يتأول قوله تعالى : ﴿ **خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾ [178] .

قيل لبعضهم في حسن كسوة وظهور رياسة فقال : إنما آخذ بأدب الله تعالى في قوله : ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾ [179]. ولسان الحال أنطق من لسان المقال لا سيما والنبي صلوات الله عليه يقول : « **إن الله إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يرى أثرها عليه** » .

وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول : لا يمنعكم من ارتباط الدواب خوف قوتها ، فإن الله تعالى لم يخلق دابة إلا رزقها ، وإذا جعلها لكم جعل أرزاقها عندكم يريد قوله تعالى : ﴿ **وما من دابة في الأرض [إلا] على الله رزقها** ﴾ [180] .

وكان جعفر بن محمد[181] رضي الله عنهما يقول : استكثروا من العبيد والخدم فإن مرافقها ، وأرزاقها على الله تعالى .

فصـــــل
في حسن القول للناس

قال الله تعالى : ﴿ **وقولوا للناس حسنا** ﴾ [182] .

وقال تعالى : ﴿ **وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن** ﴾ [183] .

وأمر نبيه موسى وأخاه هارون بتليين القول لفرعون فقال لهما : ﴿ **فقولا له قولا**

---

(174) القول في عيون الأخبار ٣ / ٣٩٦ : (كل ما شئت) والبس ما شئت إذا ما أخطأك شيئان ، سرف ومخيلة .

(175) الأعراف : ٣٢ .

(176) زيادة ليست في الأصل .

(177) الكلمة غير واضحة في المخطوط ولعلها : « أفخر ثيابه » .

(178) الأعراف : ٣١ .

(179) الضحى : ١١ .

(180) هود : ٦ . وما بين القوسين زيادة ليست في الأصل .

(181) جعفر بن محمد الإمام أبو عبد الله جعفر المعروف بالصادق بن محمد الباقر أحد الأئمة الإثنى عشر . توفى سنة ١٤٨ . انظر وفيات الأعيان ١ / ٢٩١ .

(182) البقرة : ٨٣ .

(183) الإسراء : ٥٣ .

لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ (١٨٤). وقال تعالى :﴿ قول معروف (ومغفرة) خير من صدقة يتبعها أذى ﴾ (١٨٥) .

فصـــــل

في المـــداراة(١٨٦)

قال بعض الحكماء : من العقل بعد الإيمان بالله المداراة . وينبغي للعاقل أن يداري زمانه مداراة السابح للماء الجاري (١٨٧) . وقد أمر الله تعالى بها فى قوله : ﴿ ادفع بالتى هي أحسن السيئة ﴾ (١٨٨) .

كان(١٨٩) أبو سليمان الخطابي البستي(١٩٠) إذا أنشد قوله :

مادمت حياً فدار الناس كلهم ... فإنما أنت فى دار المداراة(١٩١)

تلا قوله تعالى : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة ﴾ (١٩٢) .

فصـــــل

فى الصـــــدق

قال الله تعالى : ﴿ وكونوا مع الصادقين ﴾ (١٩٣). وقال :﴿ ليجزي الله الصادقين

---

(١٨٤) طه : ٤٤ .

(١٨٥) ما بين القوسين ساقط من أصل المخطوط والآية من سورة البقرة : ٢٦٣ .

(١٨٦) فى الأصل : « المراراة » .

(١٨٧) فى الأصل: « الماء الحارى » والقول فى ثمار القلوب ٤١٩ .

(١٨٨) المؤمنون : ٩٦ .

(١٨٩) فى الأصل : « قال » والصواب : « كان » .

(١٩٠) أبو سليمان الخطابى : هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطابى البستى كان فقيها أديبا محدثا سمع بالعراق أبا على الصفار ، وأبا جعفر الرزاز . وروى عنه الحاكم النيسابورى . انظر وفيات الأعيان ١ / ٤٥٥ .

(١٩١) البيت فى ، التمثيل والمحاضرة ٤١٩ ، يتيمة الدهر ٤ / ٣٣٤ وفيات الأعيان ١ / ٤٥٥ وبعده .

من يدرى يدرى ومن لم يدر سوف يرى ... عما قليـل نديما للندمـات

وبعده فى أحسن ما سمعت ١٥٧ :

دنياك تغر فكن منها على حذر ... فالتغر مثوى مخافات وآفات

(١٩٢) المؤمنون : ٩٦ .

(١٩٣) التوبة : ١١٩ .

بصدقهم ويعذب المنافقين ﴾ [١٩٤] .

وقال الفضيل بن عياض[١٩٥]: إن الله يسأل الصادقين عن صدقهم منهم عيسى بن مريم فكيف الكاذبين المرائين[١٩٦] الذين قيل فيهم : « رب صائم قائم ليس له من صومه إلا الجوع ومن قيامه إلا السهر »[١٩٧].

فصـــــل

فى الحلـــــم

قال الحسن : مانعت[١٩٨] الله تعالى نبيا من أنبيائه أجل[١٩٩] مما نعتهم به من الحلم فإنه قال : ﴿ **إن إبراهيم لحليم أواه** ﴾[٢٠٠] يعنى أنه الحلم فى الناس عزيز .

وقال بعضهم[٢٠١]: إن الحلم أجل من العقل لأن الله تعالى تسمّى به ، ولم يتسم بالعقل .

وفى قوله تعالى : ﴿ **وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما** ﴾[٢٠٢] أمر منه ــ عزّ ذكره ــ بالحلم . وكذلك قوله : ﴿ **وأعرض عن الجاهلين** ﴾[٢٠٣].

فصـــــل

فى الاعتبار

قال الله تعالى : ﴿ **فاعتبروا يا أولى الأبصار** ﴾[٢٠٤] . وقال : ﴿ **إن فى ذلك**

---

(١٩٤) الأحزاب : ٢٤ .

(١٩٥) مرت ترجمته .

(١٩٦) فى الأصل : « المرابين » .

(١٩٧) فى النص إشارة إلى سؤال الله عز وجل عيسى بن مريم فى سورة المائدة : ١١٦ . النص فى حلية الأولياء ٨ / ١٠٨ وفيه أنه قال : (ما تزين الناس بشىء أفضل من الصدق ، والله عز وجل يسأل الصادقين عن صدقهم منهم عيسى بن مريم عليه السلام كيف بالكذابين المساكين ثم بكى . وقال : أتدرون فى أى يوم يسأل الله عز وجل عيسى بن مريم عليه السلام ؟ يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين آدم فمن دونه . ثم قال : وكم من قبيح تكشفه القيامة غدا .

(١٩٨) فى الأصل : « بعث » .

(١٩٩) فى الأصل : « اقل أنبيائهم أقل » .

(٢٠٠) هود : ٧٥ .

(٢٠١) فى الأصل « بعض » .

(٢٠٢) الفرقان : ٦٣ .

(٢٠٣) الأعراف : ١٩٩ .

(٢٠٤) الحشر : ٢ .

لعبرة لمن يخشى ﴾[٢٠٥].

وقال بعض الصالحين : إنى لأخرج من منزلى فما تقع عينى على شيء إلا ولله علىّ فيه نعمة ، ولى فى ذلك عبرة . ثم قرأ : ﴿ **إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار** ﴾[٢٠٦].

وكان الفضل بن عيسى الرقاشى[٢٠٧] يقول فى قصصه : اسأل[٢٠٨] الأرض فقل من شق[٢٠٩] أنهارك وحثا ترابك ، وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك ، فإن لم تجبك جوابا أجابتك اعتبارا . ثم يقرأ ﴿ **وكأين من آية فى السماوات والأرض يمرون عليها ، وهم عنها معرضون** ﴾[٢١٠].

قال صالح المرى[٢١١] : دخلت دار أبى أيوب الموريانى[٢١٢] بعد زوال أمره فاستفتحت بثلاث آيات استخرجتها من كتاب الله تعالى فى الاعتبار بخراب المساكن ، قوله تعالى : ﴿ **فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين** ﴾[٢١٣] . وقوله : ﴿ **ولقد تركناها آية فهل من مدكر** ﴾[٢١٤] وقوله : ﴿ **فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا** ﴾[٢١٥] . قال : فخرج إلىَّ أسود وقال : يا أبا بشر ، هذه سخطة المخلوق ، كيف سخطة الخالق .

لما اتصل بعبيد الله بن سليمان أن على بن نصر بن بسّام قال[٢١٦]:

بقربك داران مهدومتان[٢١٧] ودارك ثالثة تُهدم
فليت السلامة للمنصفين تُرجّى فكيف[٢١٨] لمن يظلِمُ

---

(٢٠٥) النازعات : ٢٦ .
(٢٠٦) آل عمران : ١٣ ، النور : ٤٤ .
(٢٠٧) فى الأصل : « الفاضل » والصواب : الفضل بن عيسى بن إبان الرقاشى الواعظ البصرى . كان من رجال المعتزلة . انظر : تهذيب التهذيب ٨ / ٢٨٣ وثقه بعضهم . وقال النسائى عنه إنه ضعيف .
(٢٠٨) فى الأصل : « سئل » .
(٢٠٩) فى الأصل : « أشق » .
(٢١٠) يوسف : ١٠٥ .
(٢١١) صالح المرى بن بشير بن وادى . كان من أحد رجال الحديث توفى سنة ١٢٧ هـ . الطبقات : ٢٢٣ .
(٢١٢) فى الأصل : « المرزبانى » والصواب: الموريانى وقد مر بنا تحقيق هذا الاسم فى فصل العفو ، وانظر أيضا الفخرى ١٢٨ .
(٢١٣) القصص : ٥٨ .
(٢١٤) القمر : ١٥ .
(٢١٥) النمل : ٥٢ .
(٢١٦) البيتان فى مجموعة الشعرى ق ١٢٢ عن نهج البلاغة ١٩ / ٧٢ .
(٢١٧) فى الأصل : « ذاراى » ورواية البيت فى المجموع « يحنبك » .
(٢١٨) روايته فى الديوان : « دامت ففكيف » .

يعنى دار صاعد[٢١٩] وأبى الصقرا[٢٢٠] الوزيرين كانا قبله . قال عبيد الله : وعظ نفسه بدار أبيه[٢٢١] فقد كانت أحسن من دورنا . وقد وعظ الله تعالى فى خير موضع من كتابه فقال : ﴿ **أو لم يسيروا[٢٢٢] فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** ﴾[٢٢٣] . وهذا عدى بن زيد يقول :

أين كسرى كسرى الملوك أبو ساسان أم قبله سابور[٢٢٤]

وقال آخر :

وإنا مورثون كما ورثنا عن الاباء إن مُتنا وبنّا[٢٢٥]

وقال آخر :

كل إلى الغاية محثوثٌ والمرءُ موروثٌ ومبعوث

فكن حديثا حسنا ذكره بعدك فى الناس أحاديثُ

فصل

فى المشورة

قال الحسن : إن الله تعالى لم يأمر نبيه بمشاورة أصحابه لحاجة منه إلى آرائهم[٢٢٦] ، وإنما أراد أن يعلمنا ما فى المشورة من الفضل حيث قال : ﴿ **وشاورهم فى الأمر** ﴾[٢٢٧] .

---

(٢١٩) مرت ترجمته .

(٢٢٠) فى الأصل : أبو القصر ، والصواب : أبو الصقر ، هو إسماعيل بن بلبل استوزره الموفق لأخيه المعتمد وجمع له السيف والقلم . انظر الفخرى ١٧٨ .

(٢٢١) كذا فى الأصل .

(٢٢٢) فى الأصل : « يشيروا » .

(٢٢٣) الروم : ٩ .

(٢٢٤) البيت فى ديوان عدى ٨٧ وروايته :

أين كسرى كسرى الملوك أنو شروان أم أين قبله سابور

من قصيدة مطلعها :

أرواح مودع أم بكور لك فاعلم لأى حال تسير

(٢٢٥) فى الأصل : « بتنا » .

(٢٢٦) فى الأصل : « أدائهم » .

(٢٢٧) آل عمران : ١٥٩ .

قال الأصمعى : قلت لبشار بن بُرد : ما سمعت أحسن من شعرك فى المشورة :

إذا بلغَ الرأىُ المشورةَ فاستعن بحزم نصيح أو نصاحة(٢٢٨) حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فإن الخوافى قوةٌ للقوادم

فقال : إن المتشاور بين إحدى الحسنيين ، بين صواب(٢٢٩) يفوز بثمرته ، أو خطأ يشارك فى مكروهه(٢٣٠). فقلت : أنت فى هذا الكلام أشعر منك فى شعرك .

قال الجاحظ : الشورى لقاح العقول وبريد(٢٣١) الصواب(٢٣٢)، والمستشير(٢٣٣) على طرف النجاح (واستشارة المرء برأى أخيه من عزم الأمور ، وحزم التدبير)(٢٣٤).

وقد أمر الله تعالى بالمشورة أكمل الخلق لبابة(٢٣٥)، وأولاهم بالإصابة ، فقال لرسوله الكريم الحكيم ﴿ **وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله** ﴾(٢٣٦) .

وقال الشاعر :

شاور صديقك فى الخفىّ المشكل(٢٣٧) (واقبل)(٢٣٨) نصيحة مشفق متفضل

---

(٢٢٨) الخبر والبيتان فى ديوانه ٤ / ١٧٢ وفى نهاية الإرب ٦ / ٧١ ورواية البيت فيه :

إذا بلغ الرأى المشورة فاستعن برأى نصيح أو نصيحة حازم
ولا تحسب الشورى عليك غضاضة فإن الخوافى رافدات القوادم

وهذان البيتان من قصيدة كان بشار بن برد قد كتب بها إلى إبراهيم بن عبد الله بن الحسن يمدحه بها ، ويحرضه على أبى جعفر المنصور فمات إبراهيم قبل وصول القصيدة إليه فخاف بشار من اشتهارها فقلبها. وجعل التحريض على أبى مسلم الخراسانى فقال :

أبا مسلم ما طيب عيش بدائم ولا سالم عما قليل بسالم

(٢٢٩) فى الأصل : « فقوات » .

(٢٣٠) العبارة الأخيرة فى ثمار القلوب : ٤١٧ .

(٢٣١) فى الأصل : « القول وريد » .

(٢٣٢) فى الأصل : « الصوات » .

(٢٣٣) فى الأصل : « المستشين » .

(٢٣٤) العبارة فى التمثيل والمحاضرة : ٤١٧ غير منسوبة للجاحظ .

(٢٣٥) اللبابة : الحسب الخالص . القاموس المحيط (لبب) .

(٢٣٦) آل عمران : ١٥٩ .

(٢٣٧) فى الأصل : « والمشكل »

(٢٣٨) فى الأصل : « اقبل نصحة » .

فالله قد أوصى النبى محمدا في قوله : شاورهم[239] وتوكل

فصل

فى أدب الحرب

قد أمر الله تعالى فى الحرب بالاجتماع ، والتعاضد فقال : ﴿ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ﴾[240] .

وكان المهلب بن أبى صفرة يقول : محرّض خير من ألف مقاتل ، ثم يقرأ : ﴿ يا أيها النبى حرّض المؤمنين على القتال ﴾[241] ، وقوله ﴿ فقاتل فى سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرّض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا ﴾[242] .

وقد جمع الله آداب الحرب بقوله : ﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾[243] .

فأمر أولا بالثبات عند لقاء العدو ، ثم بذكر[244] الله الذى به يستنزل النصر ، ثم بطاعة الله التى لابد منها فى جميع الأحوال ، ثم بطاعة الرئيس التى لك غنمها ، وعليك عدمها ، ثم نهى عن التنازع المؤدى إلى التخالف ، وذهاب الريح ، وكلال الجدّ[245] ثم أمر بالصبر الذى هو ملاك الأمر . ومن أخذ بهذه الآداب الحسنة فى الحرب فلابد من إفلاحه وإنجاحه .

قال بعض أصحاب الجيوش : التعزير[246] مفتاح البؤس ، وقد نهى الله عن ذلك

(٢٣٩) فى الأصل : « وشارهم » وفى البيت إشارة إلى الآية السابقة : آل عمران : ١٥٩ .

(٢٤٠) التوبة : ٣٦ .

(٢٤١) الأنفال : ٦٥ .

(٢٤٢) النساء : ٨٤ .

(٢٤٣) الأنفال : ٤٥ ، ٤٦ .

(٢٤٤) فى الأصل : « يذكر » .

(٢٤٥) الجد : الرزق والعظمة . القاموس المحيط (جدد) .

(٢٤٦) التعزير : التعظيم ولعل المقصود بها المبالغة فى التعظيم كما نهى الله سبحانه فى الآية المذكورة عن الإسراف المؤدى إلى التهلكة .

فقال : ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾(٢٤٧).

ومن وهن الأمر إعلانه قبل إحكامه . وقد ذمَّ الله الإذاعة فقال : ﴿ **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به** ﴾(٢٤٨).

استأذن بعض أصحاب أبي مسلم إياه في الانصراف ،وهو في بعض الحروب فقرأ بعض قوّاده : ﴿ **إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون** ﴾(٢٤٩). فغضب أبو مسلم ، وهم بقتله . فقال المستأذن أيها الأمير ، هذه الآية منسوخة بقوله تعالى : ﴿ **فإذااستأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم** ﴾(٢٥٠) فأذن له ، وقد سكن عنه الغضب .

لما ركب المأمون للقبض على ابن عائشة الخارج(٢٥١)كان من علية شيعته العباس ابن الحسن بن عبيد الله العلوي(٢٥٢) ، فجمعوا إليه ، وخدمه بالأسلحة الشاكة . فقال له المأمون : (ويحك)(٢٥٣) ما هذه الخرجة ؟ فقال : اتباعا لقول الله تعالى : ﴿ **ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه** ﴾(٢٥٤)، فاستحسن ذلك من كلامه واستصحبه .

حكى أبو عبد الله ابن خالويه(٢٥٥)، قال : بلغني عن ابن نفيس صاحب كان لسيف الدولة أنه حكى حكاية ظريفة قال : قلت لسيف الدولة وهو يكتب إلى ملك الروم : أيها الأمير أراك تدني(٢٥٦) ملك الروم إلى طاعتك ، فتجعله أكبر من ملك ،

---

(٢٤٧) البقرة : ١٩٥ .

(٢٤٨) النساء : ٨٣ .

(٢٤٩) التوبة : ٤٥ .

(٢٥٠) النور : ٦٢ .

(٢٥١) كذا في الأصل ، وهو إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام المعروف بابن عائشة خرج على المأمون سنة عشر ومائتين وسعى في البيعة لإبراهيم بن المهدي فقبض عليه المهدي وحبسه ، ثم قتله وصلبه . انظر : الطبري ١٠ / ٢٦٩ ، ٢٧٠ حوادث سنة ٢١٠ .

(٢٥٢) العباس بن الحسن بن عبد الله العلوي من ولد العباس بن علي بن أبي طالب كان من أصحاب الرشيد : جمهرة أنساب العرب ٦٧ .

(٢٥٣) في الأصل : « وقرر » ولم يرد ذكر الصحبة في الطبري .

(٢٥٤) التوبة : ١٢٠ .

(٢٥٥) أبو عبد الله بن خالويه لغوي نحوي مشهور جالس سيف الدولة وله مع المتنبي مجالس ومباحث توفي سنة ٣٧٠ هـ . وفيات الأعيان ١ / ٤٣٣ .

(٢٥٦) في الأصل : « تدني » .

فضحك وقال : و ﴿ لا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم ﴾(٢٥٧).

فصـــــل
فى أنواع من المكارم والمحاسن

قال النبى ﷺ : « من أغاث مكروبا ، أغاثه الله يوم الفزع الأكبر » .

وقال يوما : « من أعطى فشكر ،وابتلى فصبر ، وظلم فاستغفر » ثم سكت . فقالوا : ما له يا رسول الله ؟ فقال « ﴿ أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾(٢٥٨) » .

وكان يقال : قد جمع الله محاسن الخصال ، ومكارم الأخلاق فى قوله : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾(٢٥٩).

وقال بعض الولاة لرجل من رعيته : قد أمرنا باستعمال العدل معك فى صناعتك ، ومعاشك . قال : وما يجزينى ذلك أيها الأمير ، مع خدمتى وحرمتى(٢٦٠)، فقال : وهل وراء العدل شيء . فقال : نعم ، الإحسان الذى قرنه الله به فى قوله : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾(٢٦١).

وقال بعض الصالحين لابنه : يا بنى عليك بالقناعة ، فإن (من) لم يغنه قناعة لم يغنه مال .

كان قتادة يقول : ما استقصى كريم قط . أما سمعتم قول الله تعالى : ﴿ عرّف بعضه وأعرض عن بعض ﴾(٢٦٢) .

وكان الأحنف(٢٦٣)يقول : التغافل من أفعال الكرام ، ثم يقول : ﴿ وإذا رأيت

---

(٢٥٧) محمد : ٣٥ .
(٢٥٨) الأنعام : ٨٢ .
(٢٥٩) الأعراف : ١٩٩ .
(٢٦٠) فى الأصل : « وجرمتى » .
(٢٦١) النحل : ٩٠ .
(٢٦٢) التحريم : ٣ .
(٢٦٣) هو الأحنف بن قيس يكنى أبا بحر الضحاك المعروف بالأحنف وقيل اسمه صخر ، وهو الذى يضرب بـه المثل =

الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ﴾ (٢٦٤).

وهذا المعنى أراده أبو تمام فى قوله :

ليس الغبيُّ بسـيد(٢٦٥) فى قومه   لكن سـيد قومه المتغـابى(٢٦٦)

= فى الحلم . كان من ساذات التابعين أدرك النبى ولم يصحبه توفى سنة ٦٧ هـ وقيل ٧٦ هـ وقيل ٧٧ هـ . انظر وفيات الأعيان ٢ فما بعدها .

(٢٦٤) الأنعام : ٦٨ .

(٢٦٥) فى الأصل : « بسيدو » .

(٢٦٦) البيت من قصيدة طويلة يمدح بها أبو تمام مالك بن طوق التغلبى ومطلعها :

لو أنَّ دهرا رد رجع جوابى   أو كف من شاديه طول عتابى

انظر : بدر التمام : ٨٢ .

الباب التاسع

فى

ذكر معائب الأخلاق من الخلال ، ومقابح الأعمال ، وذم الغاغة والسقاط والجهال وعورات الرجال

الباب التاسع

فى ذكر معائب الأخلاق من الخلال ومقابح [1] (الأعمال) وذم الغاغة [2] والسقاط، والجهال، وعورات [3] الرجال

فصـــل

فى ذم الهــوى

قال ابن عباس : الهوى إله معبود، ثم قرأ ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾ [4]

وقال ابن طباطبا من أبيات :

سُمْتَني ما محا الهوى من ضميرى فالهوى اليوم حبله منك واهى
بعدما كان لى هــواك إلهــا طــالما قد عبدتــه كالإلــه

قيل لبعض الزهاد [5] : أوصنا . قال : خالفوا أهواءكم تسلموا من الضلالة فإن الله يقول : ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه ﴾ [6] ويقول : ﴿ ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ [7] ويقول : ﴿ ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيــرا وضلوا عن سواء السبيل ﴾ [8] ، ويقول : ﴿ قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذا ومــا أنا من المهتدين ﴾ [9] .

---

(١) فى الأصل : « مفاتح » وما بين القوسين زيادة ليست فى الأصل وقد ذكرت فى ثبت الكتاب .

(٢) فى الأصل : « الفاغة » والغاغة السقاط من الناس وهو فى الأصل شيء يشبه البعوض ولا يعض لضعفه . انظر : القاموس المحيط (غوغ) .

(٣) فى الأصل : « وعوارف » وهو خطأ صوبناه من مقدمة الكتاب .

(٤) الجاثية : ٢٣ .

(٥) فى الأصل : « الرهاة » .

(٦) القصص : ٥٠ .

(٧) ص : ٢٦ .

(٨) المائدة : ٧٧ .

(٩) الأنعام : ٥٦ .

فصـــــل
فى كفر النعمـــة

قال بعض الحكماء : كفر النعمة طبيعة مركبة فى الإنسان . قال الله تعالى : ﴿ **إن الإنسان لكفور** ﴾[10] ، ﴿ **إن الإنسان لظلوم كفّار** ﴾[11] .

قال الحسن : فى قوله : ﴿ **إن الإنسان لربه لكنود** ﴾[12] قال هو الذى ينسى النعم ، ويذكر المصائب .

قال بعضهم :

يأيهـا الظالـم فى فعلـه والظلم مردود على من ظلم
إلى متـى أنت ، وحتى متـى تشكو المصايب وتنسى النعـم ؟

بلغ سليمان بن جعفر بن أبى جعفر قول إبراهيم بن المهدى : والله ما عفا عنى المأمون صلة لرحمى ، ولا تقربا[13] إلى الله بحقن دمى ، ولكن قامت له سوق فى العفو ، فكره أن يقدح[14] فيها بقتلى . فقال سليمان : ﴿ **قتل الإنسان ما أكفره** ﴾[15] أما المأمون فقد فاز بذكرها ، وفضلها ، وجميل الأحدوثة عنها ﴿ **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾[16] . قال الله تعالى : ﴿ **ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم** ﴾[17] .

قال أبو تمام :

أشكرُ نُعمى منـك مكفـورة وكافرُ النعمة كالكافر[18]

---

(10) الحج : ٦٦ فى الأصل : « إن الإنسان لكفور مبين » وهو خطأ فى النسخ .
(11) إبراهيم : ٣٤ . (12) العاديات : ٦ .
(13) فى عيون الأخبار ١ / ١٠٠ : ولا محبة لاستحيائى ، ولا قضاء لحق .
(14) يقدح : أى يطعن . والخبر فى عيون الأخبار ٢ / ٢٥٢ : عمومتى ، ولكن قامت له سوق فى العفو فكره أن يفسدها بى . انظر أيضا : الخليفة المغنى : ٨٧ .
(15) عبس : ١٧ . (16) الكهف : ٢٩ . (17) النمل : ٤٠ .
(18) البيت الأول فى بدر التمام فى شرح ديوان أبى تمام ١ / ٥١٦ وتمثل به الثعالبى فى المنتحل : ٨٩ وهو من قصيدة يمدح بها أبا سعيد ، ومطلعها :

قل للأمير الأريحى الذى كفّاه للبادى وللحاضر

قال البحترى :

سأجهدُ فى شكر لنعماك إننى أرى الكفر للنعماء ضربا من الكفر[١٩]

فصل

فى البخل

كان الشعبى يقول : والله ما أفلح بخيل قط ثم يقرأ ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾[٢٠].

قال ابن مسعود فى قوله تعالى : ﴿ **سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة** ﴾[٢١] قال : يطوّق بثعبان فينقر رأسه ، ثم ينظم فى عنقه فيقول : أنا مالك بخلت به .

وقال بعض السلف : لو لم ينطق القرآن فى ذم[٢٢] البخيل إلا بقوله تعالى : ﴿ **الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله** ﴾[٢٣] .

وقال غيره : قد ذم الله تعالى : من منع خيره ، وأمر[٢٤] بالبخل غيره ، فإياك أن تكنه .

فصل

فى الظلم

قال الله تعالى : ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب** ﴾[٢٥]. ثم قال :

---

(١٩) البيت الثانى من قصيدة يمدح بها المعتز ومطلعها :

حبيب سرى فى خفية وعلى ذعر يجوب الدجى حتى التقينا على قدر

ديوان البحترى جـ ١ / ١٠٥٤ .

(٢٠) الحشر : ٩ .

(٢١) آل عمران : ١٨٠ .

(٢٢) الأصل : « دم » .

(٢٣) النساء : ٣٧ وفى الأصل : « ولا تحسبن » .

(٢٤) فى الأصل : « ويأمر » .

(٢٥) الصف : ٧ .

﴿ **والله لا يهدى القوم الظالمين** ﴾[٢٦]. وقال : ﴿ **وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون** ﴾[٢٧] وقال تعالى : ﴿ **وما للظالمين من أنصار** ﴾[٢٨]. وقال تعالى : ﴿ **ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون** ﴾[٢٩] وقال تعالى : ﴿ **ولا تزد الظالمين إلا تبارا** ﴾[٣٠].

قال بعض الحكماء : الظلم خطة فى الحيوان لا سيما فى الإنسان[٣١] ، كما قال الله تعالى : ﴿ **إن الإنسان لظلوم كفار** ﴾ [٣٢].

قال المتنبى :

والظلمُ من شيمِ النفوس فإن تجدْ ذا عفةٍ فلعلةٍ لا يظلـــم[٣٣]

سمع ابن عيينة قائلا يقول : الظلم مرتعه وخيم . فقرأ : ﴿ **وقد خاب من حمل ظلما** ﴾ [٣٤]، ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون** ﴾ [٣٥].

وقال عبد الله بن مسعود : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾[٣٦] شق ذلك على أصحاب النبى ﷺ . وقالوا : يا رسول الله أيّنا لم يظلم نفسه ؟ فقال عليه السلام : « الظلـم ها هنـا الشرك ، أمـا سمعتم قوله تعالى حكاية عن لقمان : ﴿ **يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ [٣٧] » .

جمع ابن عباس وكعب الأحبار[٣٨] مجلس جرى فيه ذكر الظلم والظلمة . فقال

---

(٢٦) الصف : ٧ .
(٢٧) العنكبوت : ٤٩ .
(٢٨) البقرة : ٢٧٠ .
(٢٩) إبراهيم : ٤٢ .
(٣٠) نوح : ٢٨ .
(٣١) فى الأصل : « فى الانسان لا سيما فى الانسان » وهو تحريف فى النسخ ولعلها كما أثبتناها . والخطة الطريقة والعادة .
(٣٢) إبراهيم : ٣٤ .
(٣٣) البيت فى ديوان المتنبى ٤ / ١٢٥ .
(٣٤) طه : ١١١ .
(٣٥) الشعراء : ٢٢٧ .
(٣٦) الأنعام : ٨٢ .
(٣٧) لقمان : ١٣ والحديث أخرجه البخارى وأورده ابن كثير فى تفسيره ٣ / ٤٤٤ .
(٣٨) كعب الأحبار هو كعب بن ماتع بن ذى هجن الحميرى تابعى كان فى الجاهلية من كبار علماء اليهود فى اليمن ، أسلم زمن أبى بكر، وقدم المدينة زمن عمر فأخذ عنه الصحابة أخبار الأمم الغابرة . انظر حلية الأولياء ٥ / ٣٦٤ .

كعب : إني واجد في التوراة : أن من يظلم يخرب بيته[٣٩] . فقال ابن عباس : أنا أوجدك هذا في القرآن . فقال : هات يابن[٤٠] عم رسول الله ﷺ ، فقرأ : ﴿ **فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا** ﴾[٤١] . ومن ها هنا روى عنه عليه السلام : « اليمين الكاذبة تدع الديار[٤٢] بلا قع » . وقد اقتبس أبو تمام هذا المعنى فقال :

وبلاقعا حتى كأن قطينها حلفوا يمينا خلّفتك غموسا[٤٣]

لما بلغ عبد الله بن الزبير[٤٤] أن عبد الملك بن مروان قتل عمرو بن سعيد الأشدق[٤٥] قام خطيبا فقال في خطبته :

أما بعد ، فإن (أبا ذبان)[٤٦] قتل (لطيم)[٤٧] الشيطان ، ثم قرأ : ﴿ **وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون** ﴾[٤٨] .

أنشد القاضي أبو بكر لنفسه :

وظالما قلت له واعظا الظلم مما ينكر[٤٩] العالمون
اقصر عن الظلم وامسك يدا فإنه لا يفلح الظالمون

---

(٣٩) في الأصل : « يجرب نبيه » .
(٤٠) في الأصل : « ابى احد » .
(٤١) النمل : ٥٢ .
(٤٢) في الأصل : « الربار » والبلاقع الخالية .
(٤٣) البيت في ديوان أبي تمام : من قصيدة ١٣١ يمدح بها أبا الغيث موسى بن إبراهيم ومطلعها :

أقشيب ربعهم أراك دريسا وقرى ضيوفك لوعة ورسيسا

القطين : السكان ، واليمين الغموس هي الكاذبة .
(٤٤) في الأصل : « عبيد الله » وهو تحريف في النسخ .
(٤٥) عمرو بن سعيد الأشدق ولي المدينة لمعاوية ويزيد ثم طلب الخلافة وغلب على دمشق وخرج على عبد الملك بن مروان فقتله عبد الملك سنة ٧٠ هـ ، ولقب بلطيم الشيطان وقد قال الجاحظ إن هذا اللقب يقال لمن به لقوة أو شتر إذا سب . انظر الحيوان ٦ / ١٧٨ ، لطائف المعارف : ٣٧ .
(٤٦) في الأصل « أبا الرمان » وهو تحريف في النسخ والصواب أبو ذبان وهي كنية عبد الملك ابن مروان قيل لشدة بخره وموت الذبان إذا دنت من فمه . انظر : لطائف المعارف ٣٦ ، ثمار القلوب : ٥٩ .
(٤٧) في الأصل : « لظليم » وهو تحريف في النسخ ، ولطيم الشيطان لقب عمرو بن الأشدق والخطبة في البيان والتبيين ١ / ٤٠٦ ، جـ ٢ / ٩٥ ، ثمار القلوب : ٥٩ ، لطائف المعارف : ٣٦ .
(٤٨) الأنعام : ١٢٩ .
(٤٩) في الأصل : « سكر » والصواب ما أثبتناه أعلاه

فصــــل

فى الكـــذب

قال الحسن : ينبغى للمؤمن أن ينزه دينه عن الكذب فإن الله تعالى قد نسبه إلى من لا يؤمن به فقال : ﴿ إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ﴾[٥٠] . وقال عز ذكره : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب ﴾ [٥١].

قال بعض الحكماء : الكذب بين مهانة الدنيا ، وعذاب الآخرة فإن الله تعالى يقول : ﴿ ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾[٥٢].

فصــــل

فى الحســـد

كان الأصمعى إذا أنشد :

إن العرانين تلقاها محسَّدة ولن ترى للئام الناس حسّادا[٥٣]

تلا قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا ﴾[٥٤].

قال الحسن : الحسد أسرع فى الدين من النار فى يبس العرفج[٥٥]، وما أوتى المحسود من حاسد إلا من قبل فضل الله عنده ، ونعمته عليه . قال الله تعالى : ﴿ أم

---

(٥٠) النحل : ١٠٥ . (٥١) الصف : ٧ .

(٥٢) البقرة : ١٠ .

(٥٣) البيت للمغيرة بن حبناء شاعر آل المهلب وقبله :

إلى المهلب قوم إن مدحتهم كانوا الأكارم آباءً وأجدادا

وفى العقد الفريد ٢ / ١٥٦ وفيه أن المنصور قال لسليمان بن معاوية المهلبى : ما أسرع حسد الناس إلى قومك ؟ فقال يا أمير المؤمنين . .

والعرانين السادة الأشراف ، الواحد عرنين

(٥٤) الفرقان : ٣١ .

(٥٥) العرفج شجر سهلى . القاموس المحيط (عرفج) .

يحسدون الناس على ما آتاهم (الله) من فضله ﴾[٥٦] . والحسد عقيد الكفر ، وضد الحق . وقد ذم الله به أهل الكفر فقال : ﴿ ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم ﴾[٥٧]وفيه تتولد العداوة ، وهو سبب كل قطيعة ، ومنتج كل وحشة ، ومفرق كل جماعة ، وقاطع كل رحم بين الأقرباء ، ومحدث كل فرقة بين الأصدقاء ، وملقح كل شر بين الخلطاء . ثم هو أول خطيئة ظهرت فى السماء ، وأول معصية حدثت فى الأرض ، أما التى فى السماء فمعصية إبليس لما حسد آدم[٥٨] . وأما[٥٩] التى فى الأرض فقتل ابن آدم حسدا[٦٠] له كما حكى الله عنه ، قال تعالى ﴿ فقتله فأصبح من النادمين ﴾[٦١] . وقد أمر الله بالتعوذ من شر الحاسد إذا حسد[٦٢] .

فصـــــل

فى ذم ذى الوجهين

قال الأحنف يوما لأصحابه : إن ذا الوجهين خليق ألا يكون وجيها عند الله[٦٣] . فقالوا له : وكيف ذو الوجهين يا أبا بحر ؟ قال : كما قال الله تعالى : ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون ﴾[٦٤] وكما قال عز ذكره : ﴿ وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ﴾[٦٥] .

(٥٦) ما بين القوسين ساقط من المخطوط والآية من سورة النساء : ٥٤ .

(٥٧) البقرة : ١٠٩ .

(٥٨) فى لطائف المعارف ٥ : أما فى السماء فما كان من حسد إبليس لآدم حين ترفع عن السجود ، وهو فى العقد الفريد ٢ / ٣٢٠ غير منسوب .

(٥٩) نسب الثعالبى القول ابتداء من هذه الجملة فى لطائف المعارف : ٥ إلى بعض السلف .

(٦٠) فى لطائف المعارف : وأما فى الأرض فما كان من حسد قابيل لأخيه هابيل على تقبل القربان منه دونه حتى قتله فأصبح من النادمين . وفى العقد الفريد : وأما فى الأرض فحسد قابيل هابيل .

(٦١) كذا فى الأصل والصواب : فأصبح من الخاسرين . المائدة : ٣٠ . أما قوله : فأصبح من النادمين ، فهو من قوله تعالى : ﴿ أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين ﴾ المائدة : ٣١ .

(٦٢) من قوله تعالى : ﴿ ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ الفلق : ٥ .

(٦٣) فى البيان والتبيين ٢ / ١٢٩ : أنه سمع رجلا يطرى يزيد عند معاوية حتى إذا خرج ذمهما فقال له : « مه فإن ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها » .

(٦٤) البقرة : ١٤ . (٦٥) آل عمران : ١١٩ .

وعن النبى ﷺ : «مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين تهوى إلى هذه مرة ، وإلى تلك أخرى » . ثم قرأ . ﴿ **مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء** ﴾[66] .

وقد وصفهم بأجلّ لفظ ، وأحسن معنى : ﴿ **الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين** ﴾[67] .

وقال تعالى فيهم : ﴿ **يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم** ﴾[68] .

دخل أبو العيناء على عبيد الله بن يحيى بن خاقان[69] ، وعنده نجاح بن سلمة وموسى بن عبد الملك ، وأحمدبن إسرائيل[70]. فقال :وأشار إليهم : أيها الوزير ﴿ **تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى** ﴾[71] فقال نجاح : كذبت يا عدو الله . فقال أبو العيناء : ﴿ **لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون** ﴾[72] .

فصـــل

فى الكـــبر

قال النبى ﷺ : « من كان فى قلبه مثقال ذرة من الكبر لم يرح رائحة الجنة »[73] . ثم قرأ : ﴿ **أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين** ﴾[74] .

وقال بعض الحكماء : إياكم والكبر ، فإن إبليس لما تكبر عن امتثال أمر الله تعالى قال له : ﴿ **فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين** ﴾[75] .

وقال تعالى : ﴿ **سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق** ﴾[76] .

وقال تعالى :﴿ **إن الله لا يحب كل مختال فخور** ﴾[77] .

---

(66) النساء : ١٤٣ .

(67) حدث خطأً فى كتابة الآية فى أصل المخطوط إذ كتبت عبارة ﴿ **قالوا لم نكن معكم** ﴾ قبل عبارة ﴿ **الذين يتربصون** ﴾ . وصواب الآية كما أثبتناها وهى من سورة النساء : ١٤١ .

(68) التوبة : ٨ .

(69) فى الأصل : « عبيد الله بن سليمان » .

(70) أحمد بن إسرائيل أبو جعفر الأنبارى أحد الكتاب الأذكياء ولى الوزارة للمعتز وقتله الأتراك سنة ٢٥٥هـ . انظر الفخرى : ١٨١ .

(71) الحشر : ١٤ .

(72) الأنعام : ٦٧ .

(73) فى صحيح مسلم ١ / ٦٥ : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر » .

(74) الزمر : ٦٠ .

(75) الأعراف : ١٣ .

(76) الأعراف : ١٤٦ .

(77) لقمان : ١٨ .

فصـــل
فى ذم الغيبــة

قال الحسن : الغيبة إدام الكلاب التى فى النار . قال الله سبحانه : ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ﴾[٧٨] .

أضاف إبراهيم بن آدم قوما فلما تمكنوا فى مجلسه أخذوا فى غيبة الناس . فقال لهم : إن الناس يأكلون الخبز قبل اللحم ، وأنتم تأكلون اللحم قبل الخبز ، ثم قرأ ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ﴾[٧٩] .

وقال بعضهم : الغيبة فاكهة المرائى ، وبستان الملوك ، ومرتع النساء وإدام كلاب أهل النار .

فصـــل
فى الظـــن

قال الله تعالى : ﴿ إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا ﴾[٨٠] .

وقال تعالى : ﴿ اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ﴾[٨١] .

دخل عبد الملك بن صالح[٨٢] على الرشيد ، وكان الرشيد واجدا[٨٣] عليه ، متغيرا له ، فسلَّم عبد الملك ، وجلس ، وأقبل الرشيد يعاتبه ، ويقرعه . فأقبل عليه عبد الملك كأنه صقر ، وقال : يا أمير المؤمنين ، اتق الله فيما ولاك ، ورعيته فيما استرعاك ، ولا

---

(٧٨) الحجرات : ١٢ .
(٧٩) الحجرات : ١٢ .
(٨٠) النجم : ٢٨ .
(٨١) الحجرات : ١٢ .
(٨٢) عبد الملك بن صالح بن على العباسى أمير من بنى العباس ، ولاه الهادى ثم عزله الرشيد ، ثم ولاه الرشيد وبلغه أنه يطلب الخلافة فحبسه ثم أطلقه الأمين وولاه توفى نحو ١٩٦ هـ . انظر : فوات الوفيات ٢ / ١٢ ، مروج الذهب ٣ / ٣٤٤ ، النجوم الزاهرة ٢ / ٩٠ ، ١٥١ ، تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٨٠ فما بعدها .
(٨٣) فى الأصل : « وامرا » .

تضع الكفر مكان الشكر ، ولا العقاب موضع الثواب ، فقد والله محضتك[٨٤] النصيحة ، وشددت أواخى[٨٥] ملكك بأثقل من يلملم[٨٦] ، فالله (الله) فى ذى رحمك أن تقطعه برجم[٨٧] أفصح الكتاب بآية (أنه)[٨٨] إثم . فرضى عنه الرشيد ، ورجع له .

فصـــــل
فى أنواع من الخلال[٨٩] المذمومة

قيل لبعضهم : قال يحيى بن خالد : الشرف[٩٠] فى السرف ، فقال قول الله أحق أن يتبع : ﴿ أنّ المسرفين هم أصحاب النار ﴾[٩١] .

وقال بعض الحكماء : المنّ يهدم الصنعة ، ويفسد المعروف . وقد نهى الله عنه فقال : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ﴾[٩٢] .

وقال بعضهم : الفخر عند الرجاء لؤم ، وعند البلاء حمق .

وقال الحسن : القنوط تفريط ، وهو من الضلالة . قال الله تعالى : ﴿ ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ﴾[٩٣] .

---

(٨٤) فى الأصل : « مخصبتك النصيحة » وفى الكامل لابن الأثير : فقد نخلت لك النصيحة ، ومحضت لك الطاعة . وقوله هذا فى مروج الذهب ٣ / ٣٤٤ وروايته تختلف عن رواية الثعالبى وابن الأثير .

(٨٥) فى الكامل : وشددت أواخى ملكك بأثقل من ركنى يلملم وتركت عدوك منشغلا .

(٨٦) يلملم : موضع على ليلتين من مكة ، وقيل هو جبل من الطائف على مسيرة ليلتين أو ثلاث . انظر : معجم البلدان ٤ / ١٠٣٦ .

(٨٧) فى الأصل : « برحم » وفى الكامل لابن الأثير : فالله الله فى ذى رحمك أن تقطعه بعد أن وصلته بظن أفصح الكتاب لى بعضه ، أو ببغى باغ ينهش اللحم . ويلغ الدم . . وللنص تتمة .

(٨٨) ما بين القوسين زيادة ليست فى الأصل فى مروج الذهب ٣ / ٣٤٤ : أن الرشيد قال للأصمعى بعد أن سمع كلامه : والله والله يا أصمعى لقد نظرت إلى موضع السيف فى عنقه مرارا ، يمنعنى فى ذلك ابقائى على قومى فى مثله . وفى الكامل لابن الأثير ، والله لولا بقائى على بنى هاشم لضربت عنقك ، ثم أعاده إلى مجلسه .

(٧٣) فى الأصل : « الحلال » .

(٩٠) فى الأصل : « البشرف فى » .

(٩١) غافر : ٤٣ .

(٩٢) البقرة : ٢٦٤ .

(٩٣) الحجر : ٥٦ .

وقال ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ هُمزة لمزة ﴾[٩٤] قال : هو المشاء بالنميمة ، المفرق بين الجمع ، المصدع[٩٥] بين الإخوان . وقد ذمَّ الله تعالى ذلك : ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين . همّاز مشاء بنميم ﴾[٩٦] .

وقال النبى ﷺ : عدلت[٩٧] شهادة الزور بالإشراك بالله . قال الله تعالى : ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ﴾[٩٨] .

فصــــل
فى ذكر العامة والجهال

قال الله تعالى : ﴿ وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ﴾[٩٩] .

وكأن محمود الورّاق اقتبس منه :

يا ساهرا يرنو بعَيْنَىْ راقد . ومشاهدا[١٠٠] للأمر غير مشاهدْ[١٠١]

---

(٩٤) الهمزة : ١ وفى تفسير الطبرى جـ ٣٠ / ٢٩٢ : عن ابن عباس أيضا قال:هم المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة الباغون أكبر العيب .

(٩٥) فى الأصل : « المصدن نبى » .

(٩٦) القلم : ١٠ ، ١١ .
ورد هذا التفسير فى جامع البيان ٣٠ / ٢٩٢ .

(٩٧) الحديث فى شرح صحيح الترمذى جـ ٩ / ١٧٤ ، ١٧٥ وقد قاله الرسول ﷺ فى إحدى خطبه .

(٩٨) الحج : ٣٠ . (٩٩) الأعراف : ١٩٨ .

(١٠٠) فى الأصل : « ومشاهد » والبيت فى ديوانه ق ٤٩ ، ٦١ مع ثلاثة أبيات أخرى . وروايته فيه « يا ناظرا يرنو . . . » .

(١٠١) وهو فى العقد الفريد ٣ / ١٧٩ وروايته :

يا غافلا ترنو بعينى راقد ومشاهدا للأمر غير مشاهد

وبعده :

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجى درك الجنان بها وفوز العابد
ونسيت أن الله أخرج آدما منها إلى الدنيا بذنب واحد

وكان بعضهم إذا نظر إلى العامة قال : ﴿ تحسبهم أيقاظاً[١٠٢] وهم رقود ﴾[١٠٣].

وقال الله تعالى : ﴿ ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ﴾[١٠٤]. منه اقتبس من قال :

جهِلْتَ ولم تعلمْ بأنّك جاهــل فمنْ لى بأنْ يدرى بأنك لا تدرى[١٠٥]

قال الله تعالى : ﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾[١٠٦].

وقال منصور الفقيه :

يا مُعْرِضــا إذ رآنــى لمّــا رآنى ضــريــرا
كم قــد رأيت بصيــرا أعمــى وأعمــى بصيرا[١٠٧]

وقال تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون . إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ﴾[١٠٨] فلو كانوا صما وبكما ، وكانوا لا يعقلون لما عيَّرهم بذلك ، كما لم يعيّر من خلقه أعمى ، (وكما)[١٠٩] لم يعير من خلقه معتوها كيف لم يعقل ، كما لم يَلُمْ الدواب ولم يعاقب السباع ، ولكن سمّى البصير المتعامى ، والسميع المتصام[١١٠] أصما ، والعاقل المتجاهل جاهلا . وقد قال الله تعالى : ﴿ أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾[١١١] . فلو عنى آن عماهم كعمى العميان وصممهم كصمم الصم لما قال : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾[١١٢] ، وإنما ذلك كقوله : ﴿ إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم

---

(١٠٢) فى الأصل : « ايقاظ » .

(١٠٣) الكهف : ١٨ .

(١٠٤) البقرة : ١٣ .

البيت للخليل بن أحمد الفراهيدى . انظر شعره ق ١٦ ومعه ثلاثة أبيات أخرى وروايته فيه « جهلت فلم تدر » وروايته فى الأصل « فمن لى بأن يدرى . . » .

(١٠٦) الحج : ٤٦ .

(١٠٧) البيت فى شعر منصور بن إسماعيل الفقيه ٩٦ وهما فى معجم الشعراء ٢٨ ، يتيمة الدهر ٢ / ١٤٤ .

(١٠٨) الأنفال : ٢١ ، ٢٢ .

(١٠٩) فى الأصل : « وكيف » .

(١١٠) فى الأصل : « المتعام اصم » .

(١١١) محمد : ٢٣ .

(١١٢) محمد : ٢٤ . وفى الأصل : « أفلا يبصرون » .

الدعاء إذا ولّوا مدبرين ﴾[113]. وقد قال الله تعالى لناس يبصرون ويسمعون **﴿ صم بكم عمى فهم لا يرجعون ﴾**[114]، فذلك على المثل .

ونظر بعضهم إلى قوم من العامة يتكلمون فى القدر ، وقد عَلَتْ أصواتهم فى الجدال . فقال : **﴿ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد . كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير ﴾**[115] .

وقد ذم الله قوما يخافون الناس أشد من خوفهم الله فقال تعالى : **﴿ لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون ﴾** [116].

فصـــل

فى مثل ذلك من ذم الفساق

كان الحسن إذا نظر إلى أصحاب الدنيا قال : رفعوا الطين[117]، ووضعوا الدين وركبوا البراذين ، واتبعوا الشياطين ، وأشبهوا الدهّاقين خلافا على المتقين ، وهكذا أفعال المجانين فسوف يعلمون .

وكان محمد بن عبد الملك بن صالح[118] يقول : ما فَسَقَ من أهل البيت رجل[119] حتى استخلف المهدى . فحدثت[120] فى عصره أحداث ، (و)[121] اشتهر باللذات . ولقد أدركتُ من مضى من أهل بيتى يصونون عن الدنس أعراضهم ، ويحفظون من العار أنسابهم ثم **﴿ خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة**[122] **واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ﴾**[123] .

---

(113) النمل : 80 .
(114) البقرة : 18 .
(115) الحج : 3 ، 4 وما بين القوسين ساقط فى الأصل .
(116) الحشر : 13 .
(117) فى الأصل : « الطير » .
(118) محمد بن عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن العباس كان غاية فى الرفعة ومن جلة قومه مدحه البحترى وحبيب . انظر جمهرة أنساب العرب : 36 .
(119) فى الأصل : « رجلا » .
(120) فى الأصل : « فحدث » .
(121) زيادة ليست فى الأصل .
(122) فى الأصل : « المصلاة » .
(123) مريم : 59 .

كتب أبو على البصير[١٢٤] إلى أبي[١٢٥] العيناء :

أخبرني فلان أنك أصبحت متخضبا بالوسمة فعرفت أنك التمست بذلك الزينة عند أهل الدنيا لما رأيت من قُبح وجهك عند أهل الآخرة بتركك الصلاة ، واتباعك (الشهوات)[١٢٦]، ومنعك الصدقات ، واستحلالك الحرمات ، وكلما أردت ذلك كنت[١٢٧] عند أهل السماء من الممقوتين ، وعند الصالحين من المارقين الذين قال الله فيهم : ﴿ **ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم** ﴾[١٢٨].

---

(١٢٤) فى الأصل : « البصيرى » .
(١٢٥) فى الأصل : « أبو » .
(١٢٦) زيادة ليست فى الأصل .
(١٢٧) فى الأصل : « كتب » .
(١٢٨) الأنفال : ٢٣ .

الباب العاشر

فى

ذكر أنواع من الأضداد، والأعداد

الباب العاشر

فى ذكر أنواع من الأضداد ، والأعداد

فصل
فى ذكر الغنى والفقر

قلت فى الكتاب المبهج : لو لم يكن فى الغنى إلا أنه من صفات الله تعالى لكفى[1] به فضلا . وقد سمّى الله تعالى المال خير[2] فى قوله : ﴿ **كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً** ﴾[3] .

وقال المفسرون فى قوله تعالى : ﴿ **وإنه لحب الخير لشديد** ﴾[4] أى لحب المال وسمَّى الله جل اسمه الخيل خيرا فى قصة سليمان عليه السلام . فقال حكاية عنه : ﴿ **إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى** ﴾[5] . وسمَّى الطعام خيرا فى قصة موسى عليه السلام حيث قال : ﴿ **رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير** ﴾[6] .

عن عبد الرحمن : يا حبَّذا المال أصون به عرضى ، وأقرضه[7] ربى فيضعفه .

قال شاعر :

حالان (لا)[8] تحسن الدنيا بغيرهما . . . . . .[9] فيه الجود والولد

---

(1) فى الأصل : « وكفى » .   (2) فى الأصل : « خير » .

(3) البقرة : ١٨٠ والنص غير موجود فى ما نشر من المبهج .

(4) العاديات : ٨ .   (5) ص : ٣٢ .

(6) القصص : ٢٤ .

(7) فى الأصل : « وافرضه » والقول إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ **من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له** ﴾ . البقرة : ٢٤٥ وقد سقط سند الخبر .

(8) زيادة ليست فى الأصل .   (9) فراغ فى الأصل .

زين الحياة هما لو كان غيرهما كان الكتاب به فى ديننا يرد

يعنى قوله تعالى : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾[10] .

قال ابن عباس : فى قوله تعالى : ﴿ ويزدكم قوة إلى قوتكم ﴾[11] أى مالا إلى مالكم .

وقد اختار قوم من الصالحين الفقر لقوله تعالى :﴿ إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى ﴾[12] . وقوله : ﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض ﴾[13] وقوله : ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾[14] .

قال بعض المفسرين فى قوله تعالى : ﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾[15] (قال : ما) جددوا[16] لله معصية إلا جدد لهم نعمة يستدرجهم بها .

وكان يقال : شر الفقراء الذين يسألون الناس إلحافا ، ويأكلون إسرافا[17] .

فصـــــل

فى فضل المال والسعى فى كسبه (و) ذكر التجارة واعتماد الصنعة

مدح الله تعالى قوما يسعون فى طلب فضله فقال : ﴿ وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله ﴾[18] .

وأمر الله تعالى بالحركة فى الطلب ، وحث عليها فقال : ﴿ فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾[19] وقال تعالى : ﴿ ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ﴾[20] .

---

(10) الكهف : ٤٦ .
(11) هود : ٥٢ .
(12) العلق : ٦ ، ٧ .
(13) فصلت : ٥٠ .
(14) التغابن : ١٥ .
(15) الأعراف : ١٨٢ .
(16) فى الأصل : « ما جدد الله جددوا لله معصية إلا أخذ » وانظر تفسير الآية فى تفسير الطبرى جـ ٩ / ١٣٥ .
(17) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ لا يسألون الناس إلحافا ﴾ البقرة : ٢٧٣ وقوله : ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ الأعراف : ٣١ .
(18) المزمل : ٢٠ .
(19) الجمعة : ١٠ .
(20) النساء : ١٠٠ .

وقال صاحب البصرة[٢١] :

إذا الأرض ضاق بها زندها ففسحتها فى فراق الزناد
إذا صارم قرّ[٢٢] فى غمده حوى غيره الفضل يوم الجلاد[٢٣]
ولو يستوى بالقعود النهوض لما ذكر الله فضل الجهاد

قال تعالى : **﴿ وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله ﴾**[٢٤] فجعلهم فى الرخصة مع المجاهدين الذين هم أهل الجنة .

وعنه عليه السلام : « أطيب ما أكل الرجل من كسبه . والكسب فى كتاب الله تعالى التجارة »[٢٥] .

وعنه عليه السلام : « التاجر الصدوق مع النبيين ، والصديقين ، والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » .

وقد غَبَر[٢٦] عليه السلام برهة من دهره تاجرا ، وشخص مسافرا واشترى حاضرا وباع ، وما شان[٢٧] أمره فى ذلك . قال المشركون : **﴿ ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا . أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها ﴾**[٢٨] فيستغنى بها عن الشراء والبيع والقيام فى الأسواق[٢٩] ، فأوحى الله إليه : **﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ﴾**[٣٠] فأخبر أن الأنبياء قبله قد كانت لهم تجارات ، وصناعات .

---

(٢١) فى الأصل : « التبصرة » والصواب : البصرة ، ويريد به صاحب الزنج المعروف ، انظر ثورة الزنج — فيصل السامر .

(٢٢) فى الأصل : « فرمى » .

(٢٣) فى الأصل : « حرى » والبيتان فى تاريخ الطبرى ٨ / ٣١١ وقبلها :

رأيت المقام على الاقتصاد قنوعا به ذلة فى العباد

(٢٤) المزمل : ٢٠

(٢٥) إشارة إلى قوله تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾** البقرة : ١٧٢ .

(٢٦) فى الأصل : « عبر » .

(٢٧) فى الأصل : « واباع رما شبهان » .

(٢٨) الفرقان : ٧ ، ٨ وفى الأصل : « انزل عليه » .

(٢٩) إشارة إلى قوله تعالى : **﴿ فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك انما أنت نذير ﴾** هود : ١٢ .

(٣٠) الفرقان : ٢٠ وما بين القوسين زيادة ليست فى الأصل .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : ما من ميتة بعد القتل فى سبيل الله (أحبّ إلىّ) من أن أموت بين شعبتى رحلى أضرب فى الأرض ، وأبتغى من فضل الله . وقال بعض السلف : الأسواق موائد الله فى أرضه فمن أتاها أصاب[٣١] منها ، ثم قرأ : ﴿ **يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم** ﴾[٣٢] يعنى[٣٣] التجارة فى الأسواق .

وقال رجل لمعروف[٣٤] : يا أبا محفوظ : أتحرك فى طلب الرزق أم لا ؟ فقال : تحرك فإن الله تعالى قال لمريم : ﴿ **وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا** ﴾[٣٥] ولو شاء الله أن ينزله من غير أن تسعى فى هز هذه النخلة لفعل .

فصـــل

فى ضد ذلك

كان الحسن رحمه الله يقول : لعن الله أقواما أقسم الله فلم يصدقوه . ثم يقرأ : ﴿ **وفى السماء رزقكم وما توعدون . فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون** ﴾[٣٦] .

وقال محمود الورّاق :

لقد خمّن الله رزق العباد ..... وابه من رزقه[٣٧]
فلا يشعر القلب خوف المعاش فيتهم الله فى صدقه
ويقطع رزقك بعد الضمان والهر والكلب فى رزقه

---

(٣١) فى الاصل : « اصحاب » .
(٣٢) البقرة : ٢٦٧ .
(٣٣) فى الأصل : « معنى » .
(٣٤) هو معروف بن فيروز الكرخى المكنى أبو محفوظ ، زاهد متصوف كان مولى للإمام على الرضا توفى سنة ٢٠٠ هـ . صفة الصفوة ٢ / ١٧٩ ، طبقات الحنابلة ١ / ٣٨١ ـ ٣٨٩ ، تاريخ بغداد ١٩٩/١١ .
(٣٥) مريم : ٢٥ .
(٣٦) الذاريات : ٢٢ ، ٢٣ .
(٣٧) كذا فى الأصل ، والأبيات ليست فى ديوانه .

قال النبي ﷺ : « ما أوحي إليّ أن أجمع المال وأكون من التاجرين ، ولكن أوحى إليّ أن ﴿ سبح بحمد ربك وكن من الساجدين . واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ [٣٨] » .

فصـــــل

في التأني والعجلة

قال الله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا إن[٣٩] جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾[٤٠] .

قال بعض الحكماء : ينبغي للوالي أن يتثبت[٤١] في كل ما انتهى إليه ، ولا يعجل[٤٢] حتى ينظر[٤٣] الحال فيه ، ويأخذ بأدب سليمان عليه (السلام)[٤٤] إذ قال : ﴿ سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ﴾[٤٥] .

وأنشد الأصمعي قول (مروان بن حفصة)[٤٦] :

إليك قصرنا[٤٧] النصف من صلواتنا ... مسيرة شهر بعد شهر نحاوله[٤٨]

ولسنا نخاف[٤٩] أن يخيب رجاؤنا ... لديك ، ولكن أحسن[٥٠] البر عاجله

ولما أنشد سديف بن ميمون السفاح[٥١] قصيدته التي يحرض بها على استئصال بني أمية ، ومنها[٥٢] :

---

(٣٨) الحجر : ٩٨ ، ٩٩

(٣٩) في الأصل : « إذ » .

(٤٠) الحجرات : ٦ .

(٤١) في الأصل : « يثبت » .

(٤٢) في الأصل : « تعجل » .

(٤٣) في الأصل : « تنظر » .

(٤٤) زيادة ليست في الأصل .

(٤٥) النمل : ٢٧ .

(٤٦) في الأصل : « مردان بن حفصة » .

(٤٧) في الأصل : « قصدنا » .

(٤٨) في الأصل : « تعد شهر يخاوله » وفي البيت إشارة إلى قصر الصلاة عن السفر والبيتان من مجموعه « مروان بن أبي حفصة وشعره » ص ٢٦ .

(٤٩) في الأصل : « بخافل » وفي مجموع شعره : « ولا نحن نخشى » .

(٥٠) في الأصل : « أهنا » .

(٥١) سديف بن ميمون قيل إنه من موالي بني العباس ، شاعر وأديب كان في أيام الأمويين وعند قيام دولة العباسيين توجه نحوهم ، وحرضهم على بني أمية ثم إنه والى إبراهيم بن عبد الله بن الحسن حين خرج على المنصور فقتل بأمر من المنصور . انظر : الأغاني ٤ / ٩٤ .

(٥٢) الخبر والأبيات في طبقات الشعراء : ٤٠ ، الأغاني جـ ٤ / ٩٤ وأولها : =

لا يغـرنك مـا تـرى مـن رجـال | إن تحـت الـضلـــوع داء دويّا
فضع السيف ، وارفع السوط حتى | لا تـرى فـوق ظـهرهـا أمـويـا[٥٣]

قال : يا سديف ﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾[٥٤] ثم أمر بقتلهم .

ولأبى تمام قصيدة[٥٥] :

قد كـان وعدك لى بحـرا فصيـرنى | يوم[٥٦] الزماع إلى الضحضاح والوشل[٥٧]
وبيـّن الـلــــه هـذا فـى بـريـتـه | فى قوله ﴿خلق الإنسان من عجل﴾[٥٨]

وللسرى الموصلى[٥٩] من قصيدة[٦٠] :

ما بال رسمى من جدوى يديك عفا | فصار أوضح منـه دارس الطلل[٦١]
لقد تجاوزت بى وقتى وأى[٦٢] حيا | فى غيـر إبانه يشـفى من الغـلل[٦٣]

= يا بن عم النبى أنت ضياء | استبنا بك اليـقين الجليـا

(٥٣) روايته فى الأغانى جـ ٤ / ٩٤ :

جرد السيف وارفع العفو حتى | لا ترى فوق ظهرها أمويا

(٥٤) الأنبياء : ٣٧ .

(٥٥) البيتان من قصيدة له طويلة (ديوانه ص ١٨٨) مطلعها :

مالى بعادية الأيام من قبل | لم يثن كيد النوى كيدى ولا حيلى

(٥٦) فى الأصل : لوم والزماع من زمعت بالأمر إذا أقدمت ولم تثن ويريد به الفراق .

(٥٧) فى الأصل : « الورشل » والضحضاح الماء اليسير . والوشل مثله .

(٥٨) الأنبياء : ٣٧ .

(٥٩) هو أبو الحسن السرى بن أحمد الكندى الموصلى شاعر أديب كانت له مهاجاة مع الشاعرين الخالديين ، وقد آذاه الخالديان وسببا قطع رسمه من سيف الدولة توفى نحو سنة ٣٦٠ هـ معجم الأدباء ٤ / ٢٢٧ ــ ٢٢٩ ديوان المعانى ١ / ٣٢٣ ، جـ ٢ / ١٧ .

(٦٠) الأبيات من قصيدة يمدح بها بروخ التركى وقد قصده يستنجزه رسما كان له عليه ، وأول القصيدة :

حمى الأمير أمان الخائف الوجل | وراحتاه حياة السهل والجبل

(٦١) قد حدث خطأ كبير فى نسخ البيت فى المخطوطة إذ كتب فى الأصل (قد كان جدوى يدك عنى / فما أوضح منه دارس الطلل) وقد صوبناه من رواية الديوان .

(٦٢) الحيا : المطر .

(٦٣) إبانه : وقته ، الغلل : شدة العطش .

وقد تمهلت شهرا بعده كملا   وإنما ﴿خلق الإنسان من عجل﴾[٦٤]

قيل لأبى العيناء : لا تعجل[٦٥] إن العجلة من الشيطان . قال[٦٦] : لو كانت من الشيطان لما قال كليم الرحمن : ﴿ وعجلت إليك ربى لترضى ﴾[٦٧] .

فصــــل

فى الحب والبغض

قال الله تعالى فى تراجع القلوب بعد تنافرها : ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ﴾[٦٨] .

وقال جل ذكره : ﴿ لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾[٦٩] .

فصــــل

فى الشباب والشيب

قال النبى ﷺ : « أوصيكم (بالشباب) [٧٠] خيرا ، فإنه أرق (قلبا) [٧١] إن الله بعثنى بشيرا ونذيرا فحالفنى الشباب ، وخالفنى الشيوخ » ثم قرأ ﴿ فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم ﴾[٧٢] .

وقال الصولى فى كتاب فضل الشباب على الشيب الذى ألفه للمقتدر بالله[٧٣] : إن السن لا تؤخر مؤخرا[٧٤] ولا تؤخر مقدما بل ربما عدل بجليل الأمور ، ومهم الخطوب

---

(٦٤) الأنبياء : ٣٧ .
(٦٥) فى الأصل : « لا يعجل » .
(٦٦) فى الأصل : « قالت » .
(٦٧) طه : ٨٤ .
(٦٨) فى الأصل « غاديتم » والآية من سورة الممتحنة : ٧ .
(٦٩) الأنفال : ٦٣
(٧٠) فى الأصل : « بالعنبات » .
(٧١) فى الأصل : « قده » .
(٧٢) الحديد : ١٦ .
(٧٣) فى الأصل « المقيدد » والصواب المقتدر .
(٧٤) فى الأصل : « موجدا » .

(الفتيان)[٧٥] لاستقبالهم إياها[٧٦] ، وسرعة حركاتهم ، وحدة أذهانهم ، وتيقظ طباعهم ، ولأنهم[٧٧] على بناء المجد أحرص ، وإليه أحب وأحوج . وقد أخبر الله عز وجل عن يحيى بن زكريا عليهما السلام (أنه منح) الحكمة فى سن الصبى فقال : ﴿ **يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا** ﴾[٧٨] فلم يمنعه صغر سنه من أن أتاه الحكمة وأهله لحملها والاستقلال بها بالكتاب والقوة .

قال ابن عباس فى قوله : ﴿ **وآتيناه الحكم صبيا** ﴾[٧٩] قال : أوتى الفهم والعبارة وهو ابن سبع سنين . وقد ذكر الله تعالى الفتية فى غير موضع من كتابه فقال : ﴿ **إذ أوى الفتية إلى الكهف** ﴾[٨٠] وقال : ﴿ **إنهم فتية آمنوا بربهم** ﴾[٨١] ، وقال تعالى : ﴿ **قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم** ﴾[٨٢] .

وقال المفسرون فى قوله تعالى : ﴿ **وجاءكم النذير** ﴾[٨٣] قالوا : الشيب ، ومن ذلك قال الحكماء : الشيب نذير المنية .

وقال عدى بن زيد فى الجاهلية :

وافتضاض السواد من نُذُر الشيب ... وما بعده لحى نذير

فصل

فى ذكر القلة والكثرة

وقال بعض العلماء : الكثرة ليست مما وجد فى كتاب الله تعالى ، وإنما الممدوحون هم الأقلون ، لأنا سمعنا الله يثنى على أهل القلة ، ويمدحهم ، ويذم أهل الكثرة ، حيث يقول : ﴿ **ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون** ﴾[٨٤] . وقال : ﴿ **ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم** ﴾[٨٥] . ﴿ **وقليل من عبادى الشكور** ﴾[٨٦] .

---

(٧٥) فى الأصل : القيتان .

(٧٦) فى الأصل : « لاستقبال أباهم » وهو تحريف فى النسخ .

(٧٧) فى الأصل : « ولا يهتم » .

(٧٨) مريم : ١٢ .

(٧٩) نفسها .

(٨٠) الكهف : ١٠ .

(٨١) نفسها : ١٣ .

(٨٢) الأنبياء : ٦٠ .

(٨٣) فاطر : ٣٧ .

(٨٤) البقرة : ٨٣ .

(٨٥) المائدة : ١٣ .

(٨٦) سبأ : ١٣ .

وقال تعالى فى ذم أهل الكثرة : ﴿ ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم ﴾(٨٧) وقال : ﴿ بل أكثرهم لا يؤمنون ﴾(٨٨) وقال : ﴿ ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾(٨٩) وقال : ﴿ وأكثرهم لا يعقلون ﴾(٩٠) ﴿ ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾(٩١) وقال : ﴿ وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين ﴾(٩٢) .

فصـــل

فى الأعــداد

روى(٩٣) عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه كان يقول : ثلاث مَن كُن فيه كن عليه : البغى والنكث ، والمكر ، قال الله تعالى : ﴿ إنما بغيكم على أنفسكم ﴾(٩٤) وقال تعالى : ﴿ فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ﴾(٩٥) وقال : ﴿ ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ﴾(٩٦) .

وقال غيره : ثلاث من صانهن الله فلا خوف عليه (٩٧) ، ﴿ إن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾(٩٨) ﴿ أن الله لا يهدى كيد الخائنين ﴾(٩٩) ﴿ إن الله لا يصلح عمل المفسدين ﴾(١٠٠) .

وعن جعفر بن محمد رضى الله عنهما : عجبت لأربعة يغفلون(١٠١) عن أربعة : عجبت لمن يبتلى بالغم كيف يذهب عنه أن يقول :﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ﴾(١٠٢) والله تعالى يقول : ﴿ فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين ﴾(١٠٣) .

---

(٨٧) البقرة : ١٠٩ .
(٨٨) نفسها : ١٠٠ .
(٨٩) نفسها ٢ / ٢٤٣ .
(٩٠) المائدة : ١٠٣ .
(٩١) الأعراف : ١٧ .
(٩٢) نفسها : ١٠٢
(٩٣) الحبر فى التمثيل والمحاضرة : ٤٧٣ .
(٩٤) يونس : ٢٣ .
(٩٥) الفتح : ١٠ وفى الأصل : «ومن» .
(٩٦) فاطر : ٤٣ .
(٩٧) فى الأصل : «خلف عليهن» .
(٩٨) التوبة : ١٢٠ .
(٩٩) يوسف : ٥٢ .
(١٠٠) يونس : ٨١ .
(١٠١) فى الأصل : «يعقلون» .
(١٠٢) الأنبياء : ٨٧ .
(١٠٣) نفسها : ٨٨ .

وعجبت لمن يخاف العدو ، وكيف لا يقول : حسبى الله ونعم الوكيل[١٠٤] والله يقول : ﴿ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ﴾[١٠٥] .

وعجبت لمن كابد العدو ، وكيف لا يقول : ﴿ وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد ﴾[١٠٦] والله يقول : ﴿ فوقاه الله سيئات ما مكروا ﴾[١٠٧] .

وعجبت لمن يستحسن سيئا ، ويتمناه كيف لا يقول : ﴿ ما شاء الله لا قوة إلا بالله (إن ترن) أنا أقل منك مالا وولدا . فعسى ربى أن يؤتين خير من جنتك ﴾[١٠٨] .

وعنه رضى الله عنه : أربعة لا تستجاب دعواهم :

رجل جالس فى بيته ، فاتح فاه ، يقول : يارب ارزقنى ، فيقول الله : ألم آمرك بالطلب ، ألم تسمع قولى : ﴿ وابتغوا من فضل الله ﴾[١٠٩] .

ورجل له امرأة مؤذية يقول : يارب خلصنى منها فيقول له : ألم أجعل أمرها بيدك .

ورجل كان له مال فأتلفه[١١٠] إسرافا ، ثم جعل يقول : (يا رب اخلف علىَّ فيقول : ألم تسمع قولى : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾[١١١] .

ورجل دفع مالا إلى رجل بغير بينة[١١٢] ، ثم طالبه ، فأنكر ، فجعل يقول : يارب ، أنصفنى منه ، فيقول له : ألم آمرك بالشهادة ، ألم تسمع قولى : ﴿ وأشهدوا إذا تبايعتم ﴾[١١٣] .

---

(١٠٤) من قوله تعالى فى سورة آل عمران : ١٧٣ ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ .

(١٠٥) آل عمران : ١٧٤ .

(١٠٦) غافر : ٤٤ .

(١٠٧) نفسها : ٤٥ .

(١٠٨) الكهف : ٣٩ ، ٤٠ .

(١٠٩) الجمعة : ١٠ .

(١١٠) فى الأصل : « فابله » .

(١١١) الفرقان : ٦٧ .

(١١٢) فى الأصل : « بغير بينه » .

(١١٣) البقرة : ٢٨٢ .

وكان سفيان يقول : أربع لا حساب عليهن فيهن : سدّ الجوع[١١٤] ، وردّ العطش[١١٥] ، وستر العورة ، والاستكنان من البرد والحر .

قال بعض العلماء : الأرزاق ثلاثة : رزق معلوم ، ورزق مقسوم ، ورزق مضمون . فالمعلوم قول الله تعالى : **﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾**[١١٦] والمقسوم قوله تعالى : **﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ﴾**[١١٧] والمضمون قوله تعالى : **﴿ وفى السماء رزقكم وما توعدون . فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾**[١١٨] .

---

(١١٤) فى الأصل : « الجوعة » .

(١١٥) فى الأصل : « العطشة » .

(١١٦) الحجر : ٢١ .

(١١٧) الزخرف : ٣٢ .

(١١٨) الذاريات : ٢٢ ، ٢٣ .

فهارس الكتاب

الأشعار

كل إلى الغايــة محثــوث　　والمرء موروث ومبعـــوث

قل لمن يحمــل العصا　　خيث أمسى وأصبحـــا

قلبى مقيم بنيسابور عند أخ　　مامثله حين تستقرى البلاد أخ

ما كلف الله نفسا فوق طاقتها　　ولا تجود يد إلا بما تجد

أخ لى أما الود منه فرائدٌ　　وإن شهد ارتاحت إليه المشاهد

أبا مجرم ما غيّر الله نعمة　　على عبده حتى يغيرها العبد

إن الشهاب الذى يحمى ذماركم　　لا يخمد الدهر لكن جمرة يقد

حالان لا تحسن الدنيا بغيرهما　　. . . . فيها الجود والولد

أتنهرونى وتوعـــدونى ثلاثـــا　　كما وعدت لمهلكها ثمودُ

سبحان من سخر الأقوام بعضهم　　بعضا حتى استوى التدبير واطردا

لى نفس أحبت الله فى اللـ　　ـه حسينـــا ولا تحب يزيـــدا

إن العرانين تلقاها محسدة　　ولن ترى للئام الناس حسادا

وسميت نفسك أشقى ثمود　　فقالوا هلكت ولم تبعدِ

يا علم العالم فى الجودِ　　مثلك جود غير موجودِ

لقد أسمعت لو ناديت حيا　　ولكن لا حياة لمن تنادى

أريـد حياته ويريـد قتلى　　عذيرى من خليلى من مرادِ

لحفظ المال أيسر من بغاه　　وسعى فى البلاد بغير زادِ

يا ساهرا يرنو بعينى راقد　　ومشاهدا للأمر غير مشاهد

أبا الفضل فى تسع وتسعين نعجة　　غنى لك عن ظبى بساحتنا فردِ

بك الله حاط الدين واحتاط أهله　　من الموقف الدحض الذى مثله يردى

إذا الأرض ضاق بها زندها　　ففسحتها فى فراق الزناد

صلى الإله على امرئٍ ودعته　　وأتم نعمته عليك وزادها

أحلـــف بالله وآياتـــه　　شهـــادة صادقـــة خالـــدة

عسى فرج يأتى به الله إنه　　له كل يوم فى خليقته أمر

أربع بربع للربيع وكن له　　ضيفا يكن ندماءك الأنوار

أين كسرى كسرى الملوك أبو　　ساسان أم أين مثله سابور

دانت لك الشام بأقطارها　　وأذعـن المؤمـــن والكافـــرُ

وافتضاض السواد من نذر الشيب　　ومـا بعـــده لحى نذيـــر

يا معـــــرضا إذ رآنى　　لما رآنى ضريـــــــرا

الأعلام والقبائل

(التاء)

(الثاء)

(الجيم)

(الحاء)

(الشين)

(الصاد)

(الضاد)

(الطاء)

(العين)

(الفاء)

(القاف)

(الكاف)

(اللام)

(الميم)

(النون)

(الهاء)

(الياء)

فهرس الأماكن

فهرس الحروب

فهرس الكتب

كتب للمحققة

(١) التعابير القرآنية والبيئة العربية فى مشاهد القيامة

مطبعة الآداب . النجف ١٩٦٦ .

(٢) مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعى

مطبعة الإرشاد . بغداد ١٩٦٨ .

(٣) المفسرون والشعر

(مستل) مجلة كلية الآداب العدد الحادى عشر ١٩٦٨ .

(٤) ألفاظ الألوان ودلالتها على الذوق العربى

(مستل) مجلة اللغات العدد الثانى ١٩٦٩ .

(٥) الإحساس بالزمن فى الشعر العربى

(مستل) مجلة الأقلام ١٩٦٩ .

(٦) نسيم السحر (تحقيق)

للثعالبى أبى منصور (٤٢٩ هـ) .

مجلة المورد العراقية العدد الأول .

(٧) التذكير والتأنيث (تحقيق)

للسجستانى (ت ٢٥٥)

(مستل) من مجلة البلاغ العدد الثامن ١٩٧٢ .

(٨) ثقافة أبى تمام من خلال شعره

وزارة الإعلام . بغداد ــ سلسلة كتاب الجماهير ــ مطبعة دار الحرية ١٩٧١ .

(٩) التعازى (تحقيق بالاشتراك مع د. بدرى محمد فهد)

للمدائنى أبى الحسن ت (٢٢٧ هـ)

مطبعة النعمان . النجف ١٩٧٢

(١٠) صور من الحضارة العربية الإسلامية (تأليف بالاشتراك مع د. بدرى محمد فهد)

مطبعة النعمان . النجف ١٩٧٢ .

(١١) الاقتباس من القرآن الكريم تحقيق

(الثعالبى أبى منصور ٤٢٩ هـ) .

(١٢) أثر القرآن فى الأدب العربى (القرن الأول الهجرى)

مطبعة اليرموك . بغداد .

فهرس الموضوعات

الباب الثالث

فى ذكر العترة الزكية رضى الله عنهم ونبذ من فضائلهم وقطعة من فقر أخبارهم وغرر ألفاظهم

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب السابع
فى ذكر الأدب والعقل والموعظة الحسنة

الباب الثامن

فى ذكر محاسن من الخصال

الباب العاشر

فى ذكر أنواع من الأضداد والأعداد

صدر من هذه السلسلة

١ - ديوان أبى الطيب المتنبى تحقيق د. عبد الوهاب عزام

٢ - الإشارات الإلهية لأبى حيان التوحيدى تحقيق د. عبد الرحمن بدوى

٣ - قصة الحلاج وما جرى له مع أهل بغداد تحقيق : سعيد عبد الفتاح

٤، ٥ - ديوان الحماسة لأبى تمام تحقيق : د. عبد المنعم أحمد فرج

٦ - رسائل إخوان الصفا (المجلد الأول)

٧ - رسائل إخوان الصفا (المجلد الثانى)

٨ - رسائل إخوان الصفا (المجلد الثالث)

٩ - رسائل إخوان الصفا (المجلد الرابع)

١٠ - كتاب التيجان فى ملوك حِمْيَرَ

١١ - ألف ليلة وليلة (المجلد الأول)

١٢ - ألف ليلة وليلة (المجلد الثانى)

١٣ - ألف ليلة وليلة (المجلد الثالث)

١٤ - ألف ليلة وليلة (المجلد الرابع)

١٥ - ألف ليلة وليلة (المجلد الخامس)

١٦ - ألف ليلة وليلة (المجلد السادس)

١٧ - ألف ليلة وليلة (المجلد السابع)

١٨ - ألف ليلة وليلة (المجلد الثامن)

١٩ - تجريد الأغانى (المجلد الأول)

٢٠ - تجريد الأغانى (المجلد الثانى)

٢١ - تجريد الأغانى (المجلد الثالث)

٢٢ - تجريد الأغانى (المجلد الرابع)

٢٣ – تجريد الأغانى (المجلد الخامس)

٢٤ – تجريد الأغانى (المجلد السادس)

٢٥ – الحكايات العجيبة والأخبار الغريبة مج ١ تحقيق : هنس وير

٢٦ – الحكايات العجيبة والأخبار الغريبة مج ٢ تحقيق : هنس وير

٢٧ – حلبة الكميت للنَّواجى

٢٨ – البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ (المجلد الأول)

٢٩ – البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ (المجلد الثانى)

٣٠ – رسائل ابن عربى (المجلد الأول)

٣١ – رسائل ابن عربى (المجلد الثانى)

٣٢ – منامات الوهرانى . مراجعة د. عبد العزيز الأهوانى

٣٣ – الكشكول (المجلد الأول)

٣٤ – الكشكول (المجلد الثانى)

٣٥ – أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول

٣٦–٤٨ – بدائع الزهور فى وقائع الدهور لابن إياس (فى ثلاثة عشر مجلدًا)

٤٩ – فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم (المجلد الأول)

٥٠ – فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم (المجلد الثانى)

٥١–٥٤ – المواعظ والاعتبار (فى أربعة مجلدات)

٥٥ – سيرة أحمد بن طولون ، تحقيق : محمد كرد على

٥٦ – مجموعة مصنفات شيخ إشراق للسهروردى (المجلد الأول)

٥٧ – مجموعة مصنفات شيخ إشراق للسهروردى (المجلد الثانى)

٥٨ – اتعاظ الحنفا للمقريزى (المجلد الأول)

٥٩ – اتعاظ الحنفا للمقريزى (المجلد الثانى)

٦٠ – اتعاظ الحنفا للمقريزى (المجلد الثالث)

٦١ – مقالات الإسلاميين للأشعرى ، صحّحه هِلموت ريتّر

٦٢–٦٥ – ديوان أبى نواس (٤ مج) تحقيق : إيڤالد ڤاغنر وغريغور شولر

٦٦ – ولاة مصر تأليف محمد بن يوسف الكندى ، تحقيق د. حسين نصّار

٦٧ – المنتخب من أدب العرب (الجزء الأول)

٦٨ – الهوامل والشوامل لأبى حيان التوحيدى ، ومسكويه ، تحقيق : أحمد أمين والسيد أحمد صقر

٦٩ – المنتخب من أدب العرب (الجزء الثانى) جمعه طه حسين وآخرون

٧٠ – نوادر المخطوطات تحقيق عبد السلام هارون (المجلد الأول)

٧١ – نوادر المخطوطات تحقيق عبد السلام هارون (المجلد الثانى)

٧٢ – طبقات فحول الشعراء لابن سلام (مج ١) تحقيق : محمود محمد شاكر

٧٣ – طبقات فحول الشعراء لابن سلام (مج ٢) تحقيق : محمود محمد شاكر

٧٤–٨٠ – الحيوان (فى سبعة مجلدات) تحقيق : عبد السلام هارون

٨١ – الأشباه والنظائر للخالديين (جزآن فى مجلد واحد) تحقيق د. السيد محمد يوسف

٨٢ – سيرة صلاح الدين لابن شداد تحقيق د. جمال الدين الشيّال

٨٣ – الإمتاع والمؤانسة (ثلاثة أجزاء فى مجلد واحد) تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين

٨٤ – ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمى تحقيق محمد حسن الأعظمى وآخرين

٨٥–٨٨ – البيان والتبيين (فى أربعة مجلدات) تحقيق عبد السلام هارون

٨٩ – المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد الأندلسى (القسم الخاص بالفسطاط) تحقيق د. شوقى ضيف وزميليه

٩٠ – الفتح القسى فى الفتح القدسى للعماد الأصفهانى تحقيق محمد محمود صبح

٩١ – ديوان ابن سناء الملك تحقيق د. محمد إبراهيم نصر

٩٢ – السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد تحقيق : فهيم محمد شلتوت

٩٣ – معجم الشعراء للمرزبانى تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج

٩٤ – فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء تحقيق د. محمد رجب النجار
٩٥ – أساس البلاغة للزمخشرى ج ١ عن طبعة مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية
٩٦ – أساس البلاغة للزمخشرى ج ٢ عن طبعة مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية
٩٧ – مقاتل الطالبيين لأبى الفرج الأصفهانى ج ١ تحقيق السيد أحمد صقر
٩٨ – مقاتل الطالبيين لأبى الفرج الأصفهانى ج ٢ تحقيق السيد أحمد صقر
٩٩ – الصاحبى لابن فارس تحقيق السيد أحمد صقر
١٠٠ – التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا . تحقيق : محمد بن تاويت الطنجى
١٠١ – عيون الأخبار لابن قتيبة . المجلد الأول ، عن طبعة دار الكتب المصرية
١٠٢ – عيون الأخبار لابن قتيبة . المجلد الثانى ، عن طبعة دار الكتب المصرية
١٠٣ – عيون الأخبار لابن قتيبة . المجلد الثالث ، عن طبعة دار الكتب المصرية
١٠٤ – عيون الأخبار لابن قتيبة . المجلد الرابع ، عن طبعة دار الكتب المصرية
١٠٥ – الفلاكة والمفلوكون . تأليف : أحمد بن على الدلجى
١٠٦ – التحدث بنعمة الله . لجلال الدين السيوطى



الذخائر

سلسلة نصف شهرية

هذا الكتاب

يخطئ من يتصوّر أن القرآن الكريم هو كتاب دين فحسب ، إنه كذلك فعلا ، ولكنه مع ذلك كان العاملَ الأخطرَ والأكثرَ أثرا فى قيام العلوم العربية، فمن أجل فهمه وتفسيره جُمعت متون اللغة ونصوص الشعر العربى، ومن أجل الاحتراس من الخطأ فى قراءته وُضعت علوم العربيّة ووُضِعت الكتبُ فى إعرابه، ومن أجل التثبّت من إعجازه وروعة أسلوبه وُضعت علوم البلاغة وكتب الإعجاز، وإيمانا بذلك الإعجاز وهذه الرّوعة صار هو المثل الأعلى الذى يطمح المنشئون إلى محاولة احتذائه والاقتباس منه ، ودُوِّنت الكتب فى تأثيره على المنشئين والنقاد . وهذا الكتاب الذى نقدمه بين يدى هذه الكلمة شهادة لاتَقبَل الشك على بعض ماكان لكتاب الله من عظيم الأثر فى نفس المجال الذى تحدى به العرب . . مجال البلاغة وفنّ القول

الكتاب القادم : الاقتباس من القرآن الكريم لأبى منصور بن محمد الثعالبى
(الجزء الثانى)




الشركة الدولية للطباعة

الثمن : خمسة جنيهات